


International Islamic university Islamabad, Pakistan, Faculty of Islamic studies, Department of Dawah and Islamic culture		الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد باكستان، كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
--	---	---

الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر

«دراسة تاريخية استنباطية»

رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراة في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

إعداد

روح الله حبيب الله

Reg No: 316/FU/PHDDIC/F17

إشراف

الأستاذ الدكتور - سليمان حماد الحوامدة

أستاذ مساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية سابقاً

العام الجامعي

2025م - 1446هـ

الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، كلية أصول الدين قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الإهداء

إلى:

- ✦ الوالدين الكريمين حفظهما الله
- ✦ إلى كل أفراد أسرتي
- ✦ إلى أجدادي و جداتي رحمهم الله
- ✦ إلى كل الأصدقاء، ومن كانوا بمصاحبي أثناء دراستي في الجامعة
- ✦ إلى كل من لم يدخر جهدا في مساعدتي
- ✦ وإلى كل من ساهم في تلقيني ولو بحرف في حياتي الدراسية.

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله الذي يسر لي سبيل العلم وهياً لي ذلك، أحمده وأشكره على جزيل عطائه وعظيم امتنانه، الحمد لله القائل ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ⁽¹⁾﴾ وله الشكر والتقدير على إعطاء التوفيق لي لإعداد هذا البحث، أسأل الله تعالى كما سأل سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ⁽²⁾﴾، والصلاة والسلام على من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده وهو القائل: " لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ "⁽³⁾ وأيضاً قال: " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ "⁽⁴⁾.

وأقدم بالشكر الجزيل إلى والديين الكريمين اللذين كانا لي بعد الله سنداً بالرعاية والاهتمام والتربية والتشجيع لطلب العلم والدعاء والسؤال المتواصل، فأسأل الله تعالى أن يمتعهما بالصحة والعافية ويبارك في عمرهما. ثم أتقدم بالشكر والتقدير إلى الجامعة الإسلامية العالمية، كلية أصول الدين لاسيما قسم الدعوة والثقافة الإسلامية التي مهدت لي طريقة الوصول إلى هذه الدرجة، وأتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور سليمان حماد الحوامدة المشرف على رسالتي وهو الذي ساعدني في أمور الرسالة وغيرها من الأمور، حيث استفدت من إرشاداته ومشورته القيمة، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور خليل الرحمن رئيس قسم

(1) سورة إبراهيم، الآية رقم (7)

(2) سورة النمل الآية رقم (19)

(3) أبي داود السجستاني بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق:

محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، (4/ 255) رقم الحديث (4811)

(4) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، سنن الترمذي، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلام-

بيروت، 1998م (3/ 403)، رقم الحديث (1954)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

الدعوة والثقافة الإسلامية الذي أولاني برعايته واهتمامه وإرشاداته القيمة للنهوض بهذا البحث، فكنت أستشيريه في كل حين ولا أجد منه إلا سعة الصدر وحسن القبول والاستقبال. والشكر موصول بوافر الاحترام والتقدير إلى كل من الأساتذة الفضلاء والإخوة والزملاء الكرام الذين أعطوني من جهودهم وخبراتهم العلمية والعملية التي كانت نبراسا وعونا وتوجيها ونصيحة في كتابتي لهذه الرسالة، جزاهم الله خيرا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

كان العالم (النظام الدولي) غداة ظهور الإسلام منقسم إلى قوتين عظيمتين هما الامبراطورية الفارسية والامبراطورية البيزنطية، وتاريخ القرون السابقة على ظهور الإسلام هو تاريخ الصراع بين هاتين القوتين، ولقد ترك هذا الصراع الطويل آثاره السلبية على النسيج الاجتماعي والمؤسسات السياسية والموارد الاقتصادية والقوة العسكرية لكلا الامبراطوريتين اللتين كانتا تشرفان بحدودهما على الجزيرة العربية، وقد تدنت ظروف الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية، فلما قام الصحابة رضوان الله عليهم بالجهاد على الامبراطوريتين أيام الراشدين استطاعوا في زمن قياسي أن يقوضوا أركان الامبراطورية الفارسية فانتصروا عليها نهائيا، كما فتحوا الشام ومصر وشمال أفريقيا من الامبراطورية البيزنطية، ولم يوقف حركة الفتوحات الإسلامية الأولى إلا أحداث الفتنة التي شهدتها المراحل الأخيرة من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وماتلاها من حروب داخلية بين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان رضوان الله عليهم اجمعين، ولقد أدت هذه الفتنة إلى انشغال المسلمين عن تثبيت أقدامهم في البلاد التي فتحوها، وعن نشر الدعوة، مما يعكس الأثر السلبي للخلافات الداخلية على وضع الدولة الإسلامية الناشئة على الساحة الدولية.

ولما قام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بتأسيس الدولة الأموية ولما شملت الأمة قبل أن تتفتت تماما وبعد أن كاد الأمل يضيع في امكانية الحفاظ على الوعاء

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْطَائِيَّةٌ

الذي يوحد الأمة ويحفظ الشريعة فأقام دولة قوية استطاع أن يبدأ بها مرحلة نشطة في العلاقات الدولية والتي كان قطباها حينئذ هما الدولة الأموية والدولة البيزنطية. فقد أثبت خلفاء بني أمية أنهم على قدر عال من الاقتناع بسياسة رسول الله الخارجية، فالدولة الأموية استوعبت حجم وطبيعة الخطر القادم من الدول غير الإسلامية على الإسلام و آمنت أن خير وسيلة هي حمل راية الإسلام وتبليغ رسالته إلى أقطاب الأرض المعمورة، وهذه الغاية لها دلالة عظيمة فيما يتعلق بشكل النظام الدولي التي كانت الدولة الأموية تسعى إلى اقامتها.

ففي ظل الدولة الأموية استأنف المسلمون فتوحاتهم لسواد العالم القديم فأحيوا حركة الفتوحات الكبرى فامتدت الدولة الإسلامية في عهدهم من الصين شرقا إلى بلاد الأندلس و جنوب فرنسا غربا، وتوزعت فتوحاتهم على أربع جبهات في وقت واحد الجبهة البيزنطية والجبهة الأوربية اسبانيا وفرنسا) والجبهة الافريقية (شمال أفريقيا) وكذلك الجبهة الشرقية والتي امتدت من العراق إلى الشرق حيث تفرعت. ولقد مرت الفتوحات الإسلامية بمراحل متنوعة كما يراها الدعاة والمؤرخون أنها تمثل أمرين:

الأمر الأول: الدفاع عن الدولة الإسلامية الناشئة لأنها كانت تقع تحت تهديد الفرس الدائم من جهة الشرق، ثم الدولة الرومانية من جهة الغرب، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.⁽⁵⁾

(5) سورة البقرة، الآية رقم (190)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

والأمر الثاني: أن المسلمين وجدوا أنفسهم مكلفين بأداء دورهم الدعوي والحضاري لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.⁽⁶⁾

ولعل لبثا شديدا جعل الناس بين فتوحات كانت من أجل الدفاع عن المسلمين ورد العدوان، ثم تحولت بعد ذلك إلى دعوة قام فيها المسلمون بأداء دورهم الدعوي المطلوب.

وكذلك البلاد التي دخلها الإسلام (بلاد ما وراء النهر) وانتشرت فيها تعاليمه في فترة وجيزة، انتمى أهلها إلى الإسلام فكراً وعقيدة، ممارسين الدعوة الإسلامية بصورة تسامحية كما يقول عدد من المستشرقين، منهم توماس أرنولد في كتابه (الدعوة الإسلامية)، «ذكرت كتب المستشرقين في الأمثلة، لأن الخير هو ما شهدت به الأعداء».⁽⁷⁾

ولقد لفت نظر المستشرق مونتهجمري وات في كتابه (تأثير الإسلام على أوروبا) والذي ترجمه د. عادل نجم، فذكر أن المسلمين لم يمارسوا عنفا مع النصاري وغيرهم، وإنما وضعوا الوثنيين تحت خيار الإسلام أو الجزية أو السيف، حيث اعتبروا أن أهل الكتاب شقائق لهم في أتباع دين سماوية.

ولم يرد أن الفاتحين قد أجبروا أصحاب البلاد الأصليين على اعتناق الدين أو اللغة العربية.

(6) سورة المائدة، الآية رقم (67)

(7) كما يقول الشاعر: شهد الأنام بفضلته حتى العدا * والفضل ما شهدت به الأعداء. أنظر: علي بن يونس العاملي، الصراط المستقيم، ط 1، مطبعة الحيدري، 1384هـ (1/ 154)

الْجُهُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

لذلك أردت من خلال هذا البحث أن أناقش على أرض الواقع قضايا الفتح الإسلامي وأسبابها، ونشر الدعوة الإسلامية، وجهود الفاتحين وكيف تمت وماذا قاموا به من أعمال؟

ومما تقدم اخترت هذا البحث لمرحلة الدكتوراة ولم أقصد فيه السرد التاريخي المجرد، وإنما أردت عبرة الحاضر من وقائع الماضي، وإبراز ضرورة الدعوة الإسلامية اليوم كضرورتها بالأمس بل أشد لكثرة أعداء الإسلام حولنا، وسميت هذا البحث: **الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر دراسة تاريخية استنباطية**. وهي تلك البلاد والأقاليم الواقعة وراء نهر جيحون، ويُقصد بنهر جيحون هي الاسم القديم لجزء من آسيا الوسطى، تشمل أراضيها جمهورية أوزبكستان والجزء الجنوب الغربي من كازاخستان حالياً، وهي مدن: سمرقند، بخارى، فرغانة، خوارزم وغيرها.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها الفرعية:

تتركز مشكلة البحث في إبراز الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر وعرضها للاستفادة منها في الدعوة المعاصرة، والأسئلة التالية في فهم ذلك:

- كيف تعامل الفاتحون في بلاد ما وراء النهر مع تطبيق كلمة اختيار الشعوب بين الإسلام والجزية والسيوف؟
- ما هي أنواع الجهود والآثار الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر؟
- هل تعدى المسلمون في بلاد ما وراء النهر خلال الدعوة الإسلامية على الكنائس المسيحية أو غيرها بالهدم أو بالسرقة؟
- هل تأثر الفتوحات، أم حركة الدعوة الإسلامية التسامحية، أم كلاهما معا في

الْجُهُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

نشر الإسلام في هذه البلاد؟

- كيف تعامل الدولة الأموية في نشر الدعوة الإسلامية من خلال حل المشاكل الاجتماعية والثقافية؟
- ما هي الوسائل والأساليب المستخدمة للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر في نشر الدعوة الإسلامية؟

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

- قد اخترت هذا الموضوع للدراسة لعدة أسباب، من أهمها ما يلي:
- إن الدعوة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر قد بلغت أوج عظمتها واتساعها بعد فترة قصيرة من الفتح الإسلامي، لا سيما منذ القرن الأول الهجري.
 - من أهم أسبابها، أن بلاد ما وراء النهر بعد الفتوحات الإسلامية ازدادت فيه العلوم الدنيوية (العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية) بجانبها العلوم الدينية.
 - نشر طريقة الإسلام ومعاملة الفاتحين معاملة تسامحية وعدم إجبار الناس بدخول الإسلام في البلاد التي فتحوها، واحترام دينهم وعقيدتهم والوقوف بالعهد معهم.
 - ومن أسبابها، النظرة لتطبيق الدعوة الإسلامية من خلال حل المشاكل الصحية والاقتصادية في هذه البلاد.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة من أهمية موضوع ذاته، ومن قلة المراجع التي تناوله، حيث لم نعثر على دراسات متخصصة وكافية تلتفت إلى الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر تحديداً. ونظراً للجهود العظيمة التي قامت بها الدولة الأموية في

الْجُھُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

مجال الدعوة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر وغيرها، اخترت هذا الموضوع مستهدفا توضيح هذه الجهود العظيمة في مجال الدعوة الإسلامية التي قامت بها هذه الدولة، فمن أهمية اختيار الموضوع ما يلي:

• اسهامات الدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر واستقرار تعاليمها في جوانب شتى للعالم.

• إبراز العلاقات الثقافية والتاريخية بين بلاد ما وراء النهر وغيرها من الدول.

• لقاء الضوء على الأعمال الدعوية خلال الفتوحات العظيمة.

• محاولة انهاء الطبقية التي كانت سائدة في بلاد ما وراء النهر.

الدراسات السابقة:

بعد الإطلاع والبحث والمراجعة حسب إمكاني في مكتبات الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام اباد (المكتبة المركزية ومكتبة حميد الله)، مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة خلال الانترنت، والجامعات الأخرى على الانترنت التي أجاز قسم المكتبات عناوين البحوث، وغيرها من المواقع المختلفة على الانترنت، إلا أنني وجدت بعض الرسائل العلمية التي لمست هذا الجانب ولم يعثر الباحث في حدود علمه على أي بحث أو دراسة سابقة تناولت جهود الدعوة الإسلامية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر، وهذه الرسائل:

- الجهود الدعوية لمؤسسات الدولة السياسية في نشر الإسلام دراسة دعوية تاريخية للدولة الإسلامية منذ عصر النبوة إلى سقوط الخلافة العثمانية، للباحث الحسين عماد الدين أحمد علي، المشرف على الرسالة: البر محمد موسى محمد أحمد، رسالة الدكتوراة في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية الخرطوم -

الْجُهْدُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

السودان، التي نشرت عام 2007م / 1428هـ.

إن صاحب هذه الرسالة تكلم عن الجهود الدعوية للدول الإسلامية المختلفة، حتى أنه تكلم بعض الشيء عن جهود الدولة الأموية وذكر بعض الخلفاء، لكنه لم يلفت نظره في نشر الدعوة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، ولم يدقق نظره في كيفية نشر الدعوة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر حيث إنه ليس من موضوع عنوان رسالته، مع أنني قمت بتوضيح الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر من خلال الفتوحات والأعمال الاجتماعية والاقتصادية.

• القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لدرجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي لـ عبد الرحمن فريح العفنان، تحت إشراف جميل عبد الله محمد المصري سنة 1413هـ، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية.

الباحث تكلم عن بيئة خراسان وما وراء النهر والقبائل العربية وغيرها التي استوطنت في هذه البلاد، وسياسة بني أمية في توطينهم هناك، وأيضا شرح الباحث الأوضاع الاقتصادية والفكرية والاجتماعية لهذه القبائل في خراسان وبلاد ما وراء النهر، فالفرق بين الرسالتين هي أن الباحث تناول الفتوحات الإسلامية والأحوال الاجتماعية والاقتصادية لهذه الدولة وازداد بها باستنباط الأعمال الدعوية منها وكيفية استخدامها في نشر الدعوة الإسلامية.

• الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد ما وراء النهر من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة السامانية (46-385هـ/ 650-998م)، رسالة لمرحلة الدكتوراة كتبه الباحث محمد أحمد محمد جودة، في جامعة عين شمس كلية الآداب 2004م. قد تناول الباحث الحياة الاقتصادية والاجتماعية لهذه الدولة، لكنه لم يطرق على

الْجُهُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

الحياة الدعوية أو لم يبحث عن الفتوحات الإسلامية في هذه البلاد بأحسن وجه، وقد وضع للبحث مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة، وكل باب له فصول، ركز الدكتور محمد جودة على الحياة السياسية في التمهيد بالإختصار، مع أن تركيز الباحث على الجهود الدعوية في هذه الرسالة محض.

- وسائل الإتصال في الدولة الإسلامية وجهودها في نشر الوعي الديني، لمحمد موسى محمد أحمد البر، هي رسالة الدكتوراة في الجامعة القرآن الكريم والدعوة الإسلامية في الخرطوم - السودان.

تطرق الباحث للاتصال ووسائله وجهوده في نشر الإسلام في العصر الأموي (والعصور من قبله وما بعده)، ثم تتبع الوسائل إلى العصر الحديث، وبين تعدد وسائل الاتصال فيه وأهميتها من خلال نشر الدعوة والوعي الديني. إن الباحث تطرق لموضوع الوسائل المستخدمة في نشر الدعوة الإسلامية لكنه لم يكتف لشرح موضوع هذه الرسالة.

- الحياة الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر أثناء الحكم المغولي، للدكتور إبراهيم عبد المقصود عبد الونيس الشرقاوي. مقال نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 2016م شهر مايو/ رجب. صاحب هذا المقال حاول أن يشرح مجتمعات هذا البلاد، ففي بداية الأمر أنه وضع المقدمة الجغرافية لهذه المنطقة ثم دخل في موضوعه محددا بفترة المغول في بلاد ما وراء النهر، لكنه لم يبحث عن الجهود الدعوية وعن نشر الإسلام، وكذا أن المقال لم يكفي لتشريح الموضوع.

وهناك كتب كثير من العلماء والمؤرخين عن الدولة الأموية وخلفائهم، لكن الموضوع الذي اختير لهذا البحث والهدف المقصود فيه لم يبحث المؤرخون عنه.

الْجُهُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

منهج البحث:

اعتمدت بمشيئة الله تعالى في هذا البحث بالمنهج التاريخي والتحليلي ثم الاستنباطي، وذلك لأن الموضوع يشتمل جميع هذه الجوانب.

خطوات البحث:

أولاً: أقوم بعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث والآثار من الصحيح والضعيف، وتراجم الرجال وشرح الكلمات الغامضة والمجهولة، وتوضيح الأماكن من الأسماء القديمة والجديدة، وكذلك أقوم بتحليل الأحداث، من جهة الأسباب والمسببات وذكر أخذ العبر والدروس منها، وذكر أخطاء العلامات، ثم النتائج الدعوية المستنبطة منه.

ثانياً: أقوم باستنباط الجوانب الدعوية منه.

ثالثاً: التأكد من صحة المعلومات قدر الإمكان معتمداً على المصادر والمراجع الأصلية، فأولاً اعتمدت على المصادر التي كتبت في عصر الموضوع، ثم القرن الذي بعده، واعتمدت على الكتب الدعوية المتقدمة والمتأخرة، وأحياناً أجد كتاباً متأخراً أكثر اعتماداً وصحة، فاعتمدت عليه أكثر من الكتاب التي عاصرت هذه الدولة.

رابعاً: أذكر في الهوامش المؤلف، والكتاب والطبعة والسنة ثم الجزء والصفحة، وإذا ذكرت كتاباً في المرة الأولى كتبت عنه كل المعلومات، لكن في المرة الأخرى أكتب اسم المؤلف والكتاب والجزء والصفحة دون المعلومات الإضافية للكتاب.

خامساً: ذكر الجهود الدعوية المستفادة من كل باب أو فصل.

خطة البحث:

الْجُهُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

تشتمل الخطة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وفي كل باب فصول، وكل فصل يشتمل على مباحث ومطالب.

المقدمة:

عنوان الرسالة: الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر (دراسة تاريخية استنباطية)

التمهيد: نبذة مختصرة عن الدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر

الباب الأول: الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر في المجال السياسي ونشر الإسلام والوسائل والأساليب المستخدمة فيها.
وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الجهود الدعوية في المجال السياسي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأحوال السياسية في بلاد ما وراء النهر قبيل الفتح الإسلامي

المبحث الثاني: حركة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر

المبحث الثالث: الدور الدعوي الإسلامي للقيادة وتعاملهم مع الشعوب المفتوحة

الفصل الثاني: نشر الإسلام والجهود الدعوية في بلاد ما وراء النهر

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: أسباب نجاح الفتوحات الإسلامية

المبحث الثاني: نشر الإسلام والجهود الدعوية.

الفصل الثالث: الوسائل والأساليب المستخدمة في المجال السياسي ونشر الإسلام

في بلاد ما وراء النهر

الْجُھُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: الوسائل المستخدمة فيها

المبحث الثاني: الأساليب المستخدمة فيها.

الباب الثاني: الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر في المجال

الاجتماعي والثقافي، والوسائل والأساليب المستخدمة فيها.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر في المجال

الاجتماعي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأحوال الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر وطبقات المجتمع

المبحث الثاني: الاهتمام بقضية الفقر للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر

المبحث الثالث: الاهتمام بقضية الصحة للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر

الفصل الثاني: الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر في المجال

الثقافي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأحوال الثقافية في بلاد ما وراء النهر قبيل الفتح الإسلامي

المبحث الثاني: الاهتمام بالمساجد والمدارس

المبحث الثالث: الاهتمام بقضايا الترجمة والتعريب

المبحث الرابع: الاهتمام بالمؤلفات والمصنفات

الفصل الثالث: الوسائل والأساليب المستخدمة في المجال الاجتماعي والثقافي

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: الوسائل المستخدمة فيها

المبحث الثاني: الأساليب المستخدمة فيها

الباب الثالث: آثار الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الآثار الدعوية المترتبة في المجال السياسي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الدعوية المترتبة على الفتح الإسلامي

المبحث الثاني: الآثار الدعوية المترتبة على الدور الدعوي للجيش

المبحث الثالث: الآثار الدعوية المترتبة في المجال السياسي والأخلاقي

الفصل الثاني: الآثار الدعوية المترتبة في المجال الاجتماعي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الدعوية المترتبة على تقسيم طبقات المجتمع

المبحث الثاني: الآثار الدعوية المترتبة على الاهتمام بقضايا الفقر والصحة

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الاهتمام بالقضايا الأسرية

الفصل الثالث: الآثار الدعوية المترتبة في المجال الثقافي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار المترتبة على الاهتمام بالمساجد والمدارس

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الاهتمام بالترجمة والتعريب

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الاهتمام بالمؤلفات والمصنفات.

وفي نهاية البحث وضع الباحث خاتمة للدراسة شملت أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث في دراسته مع وضع الفهارس الفنية اللازمة للبحث.

التمهيد

نبذة مختصرة لبلاد ما وراء النهر

الأول: جغرافية بلاد ما وراء النهر تاريخ أقاليمها وأديانها

أولاً: مفهوم بلاد ما وراء النهر:

تسميتها: أطلق العرب في القرون الوسطى على نهر أوكس (Oxus) ونهر جكزيش (Jaxartes) اسمي: جيحون⁽⁸⁾ وسيحون⁽⁹⁾ على ولاء، وفي القرون الأخيرة سمي هذين النهرين بأمو دريا (جيحون) وسير دريا (سيحون)، وكذلك سموها العرب "الهيطل"⁽¹⁰⁾.

(8) وهو ما يسمى (أمو دريا) حالياً لأن جيحون هو الاسم العربي، وبالإنجليزية سماه (Oxus) من جبال البامير، هذا النهر يشق الإقليم ويفيض في بحيرة خوارزم وعليه كور جلييلة ومدن عدة وينشعب، منه يقلب الأنهار الستة الأخرى، هو حد بين خراسان وبلاد ما وراء النهر، انظر: المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مديبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، 1411هـ/ 1991م (ص/ 284). وانظر: أبو الحارث محمد بن أحمد الفريغون، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمة: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 1423 هـ، (ص/ 55). وسأشرح ذلك في أنهار بلاد ما وراء النهر.

(9) وهو ما يسمى (سير دريا) حالياً، وبالإنجليزية سماه (Jaxartes)، فهو يخرج من بلد الترك وهو يعظم من أنهار تجتمع إليه، تأتي من الجبال ويدخل وادي فرغانة العظيم، انظر: ابن حوقل، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت - 1983م، (2/ 512 - 513)

(10) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 45 - 46. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس و كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، (ص/ 476 - 477). وقد كان الهياطلة في المئة الخامسة للميلاد، وهم أعدى أعداء الدولة الساسانية. أنظر: محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، الطبعة الأولى، 1998 م. دار ابن حزم. (ص/ 29)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

أطلق الجغرافيون العرب على المناطق الخصبة والمتحضرة السهلة محصورة بين نهري سيحون وجيحون اللذين يصبان في بحر خوارزم⁽¹¹⁾ والشاطئ الأيسر لنهر سيحون، من أهم مدنها: بخارى، وسمرقند الذي سيأتي تفصيله، ومن الناحية الأخرى يشمل فيه طخارستان الذي سيأتي تفصيله، والختل⁽¹²⁾ على اختلاف بعض الجغرافيين، هذه البلاد يطلق عليها المسلمون قديما (بلاد ما وراء النهر).

كانت هي مناطق التي تمتد بلاد الإسلام، وقد قامت في هذه المنطقة عدة ممالك مستقلة عن بعضها البعض، وهذه الممالك منها ما يقع على نهر جيحون، ومنها ما يقع على نهر سيحون⁽¹³⁾. ويلاحظ أن نهر آمو دريا يفصل الآن بين أفغانستان جنوبا، والتركستان الغربية شمالا.⁽¹⁴⁾

وكان هذا الإقليم من أجلها في حينها، كان فيها أجل علماء الوقت، وهو معدن الخير، وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم، وكان له من أحسن الملوك وأحسن الجنود في بلاد الإسلام، فيها قرى حسينة، وأشجار ملتفة، وأنهار جارية⁽¹⁵⁾، يقول القلقشندي⁽¹⁶⁾: "وفيه من الدواب: الخيل، والبغال، والحمير، والإبل البخت، والبقر، والغنم أكثرهم فإنها كما يقال أعوزها للزرائب، وفيها من المباح ما فيه

(11) وهو ما يسمى (ارال) حاليا، يقع على بعد أربعين فرسخا بين المغرب والشمال، وتحيط به مساكن الغوز من كل جانب ومحيط هذا البحر ثلاثمائة فرسخ. انظر: أحمد الفريغون، حدود العالم، (ص/ 28)

(12) بضم أوله، وتشديد ثانيه وفتح، هي كورة واسعة كثيرة المدن، خلف جيحون أجل من صغانيان، وإنما هي قرية في طريق خراسان، وضممت الختل الى ما وراء النهر لأنه بين نهري وخشاب وخراب. انظر: ابن حوقل، صورة الأرض، (2/ 426). صفى الدين البغدادى، مراصد الإطلاع، (1/ 452)

(13) عبد اللطيف، العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، (ص/ 244)

(14) انظر: جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي، (ص/ 431)

(15) انظر للمزيد: المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: الثالثة، 1991م 1411هـ، (ص/ 284).

(16) صبح الأعشى في صناعة الأعشى (4/ 431).

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

كفايتهم، ولهم من نتاج الغنم الكثير والسائمة المفرطة. وذكر أنه يوجد عند آحاد العامة من عشرين دابة إلى خمسين دابة لا كلفة عليه في اقتنائها لكثرة الماء والمرعى، وفيها من الحبوب: القمح، والشعير، والحمص، والأرز، والدخن، وسائر الحبوب خلا الباقلا، وبها من الفواكه المنوعة الأجناس العنب، والتين، والرمان، والتفاح، والكمثرى، والسفرجل، والخوخ، والمشمش، والتوت، والبطيخ الأصفر، والبطيخ الأخضر، والخيار والقثاء، وفيها من البقول اللفت والجزر والكرنب والباذنجان، والقرع وسائر أنواع البقول، وفيها من الرياحين الورد والبنفسج والآس واللينوفر والحبق، ولا يوجد بها الأترج والنارنج والليمون والليم، ولا الموز ولا قصب السكر، ولا القلقاس، ولا الملوخيا، فإنها من ذلك عارية الحدايق، خالية المروج، إلا ما أتى به إليها من المحمضات مجلوبا، وفيها أصناف الملبوس: من القز والصوف وطرائف البز، وفيها من المعادن معدن زئبق لا يعادله معدن في الغزارة".

ثانيا: جغرافية بلاد ما وراء النهر وتاريخ أقاليمها:

ونظرا لهذه البلاد المستقلة، يمكن تقسيم بلاد ما وراء النهر إلى ستة أقاليم⁽¹⁷⁾، وهي: إقليم الصغد، وخورازم، وطخارستان، وفرغانة، وأشروسنة، وإقليم الشاش، فيما يلي نذكر تفاصيل أشهر مدنها وبلدانها:

(17) مفردا إقليم، وهي كلمة عربية، سمي إقليما لأنه مقلوم من الأرض التي تتاخمه، أي: المقطوع، ومنه: قلمت ظفري، وبه سمي القلم لأنه مقلوم أي: مقطوع. انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة، المعجم الوسيط: (1 / 22 و 2 / 756). وانظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (1 / 25 - 32).

1. إقليم الصغد⁽¹⁸⁾

إن إقليم الصغد هي الأرض الخصبة التي تقع ما بين نهر جيحون وسيحون، تبلغ مساحتها ستة وثلاثين فرسخاً⁽¹⁹⁾ في ستة وأربعين فرسخاً. وهي قرى مملوءة من الأشجار والبساتين، ناحية كثيرة المياه ونضرة الأشجار، خضرة الجنان تمتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها، وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند وقصبتها سمرقند. فإنها بلاد جميلة، غزيرة الأنهار، والقلعة من كل مدينة وقرية بها تبص في أضعاف خضرتها كأنها ثوب ديباج أخضر.⁽²⁰⁾

بلاد الصغد عبارة عن قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بخارى.

من أهم مدنها بخارى و سمرقند:

1. مدينة بخارى⁽²¹⁾

(18) السغد (الصغد)، بضم أوله وسكون ثانيه وآخره دال مهملة، وربما قيلت بالصاد (الصغد). ياقوت الحموي، معجم البلدان، (3 / 222). وقد ذكره الإصطخري بالسين وضمها (السغد)، المسالك والممالك، (ص / 165)، وانظر: كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، (2 / 503). قيل بالسين وضمها وهو صغديان (Sogdiana) القديمة.

(19) الفرسخ، يقدر بنحو اثني عشر ألف ذراع، وهو يساوي ثلاثة أميال، ويقدر حالياً 5544 متراً

(20) ياقوت الحموي، معجم البلدان، (3 / 222)

(21) فإن بخارى هي كلمة مشتقة من (بخر) الكلمة التتارية المغولية التي حكموها في تلك الفترة، ومعناها الصومعة أو الدير، حيث وجد معبد كبير للبوذيين فيها، واسمها القديم هو (بومجكت) كما تطلق عليها أسماء أخرى مثل: أرض النحاس، بخارى الشريفة، مدينة التجار، وبخارى العظيمة. أوردتها (بالتاء بومجكت)، انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص / 41-267). الإصطخري، المسالك والممالك، (ص / 190) وغيره. بينما ورد السمعاني بدون الواو والثاء (بمجكت)، انظر: السمعاني، الأنساب، (2 / 328).

ياقوت الحموي، معجم البلدان، (1 / 353)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

من أعظم بلاد ما وراء النهر التي تشمل إقليم بلاد الصغد، تقع في واحة جميلة تمر بها نهر زرافشان⁽²²⁾، بينها وبين جيحون يومان، أن الأرض التي بنيت عليها بخارى كانت مروجاً وغياضاً عامرة بحيوان الصيد، والتي تكونت من فيضانات نهر الصغد، وأن الثلوج التي كانت تذوب بالجبال في ناحية "سمرقند" كونت الماء الكثير الذي تجمع مع ماء آخر أتى من النهر، وظل هذا الماء الغزير يحمل الطمي إلى أن طمر ذلك الموضع الذي يقال له: بخارى حيث تمهدت الأرض، فهي مدينة قديمة كثيرة البساتين والفواكه، وليس في بلاد الإسلام بلد أجمل منها⁽²³⁾. ومن بين خراسان⁽²⁴⁾ وبلاد ما وراء النهر هي بلدة أحسن قياماً على قراهم بالعمارة ولا أكثرهم عدداً على قدرها في المساحة، فقصدتها الناس لخصبها وطيب هوائها، وعمروها وأمروا عليها

(22) معناه: نادر الذهب، وهو رافد مهم من روافد نهر جيحون، أنظر: فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: محمود أحمد الساداتي، مكتبة نهضة الشرق-جامعة القاهرة، 1987م (ص/ 3).

(23) زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر - بيروت، (ص/ 509 - 510)

(24) بضم خ، بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند وطخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها وإنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها: نيسابور وهراة ومرو وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، وفي خراسان أجود أنواع الدواب والرقيق والأطعمة والملبوس وسائر ما يحتاج إليه الناس، فأنفس الدواب من بلخ، وأجود أنواع ثياب القطن والإبريسم في نيسابور ومرو، وأجود أنواع البز في مرو، وأنجب أهل خراسان وأكثر علمائهم من بلخ ومرو في الفقه والدين والنظر والكلام. وقيل خراسان هو "خر" اسم الشمس بالفارسية الدرية و "أسان" كأن أصل الشئ ومكانه (أي بلاد الشمس)، الاضطخري، المسالك والممالك، (ص/ 253-286). ياقوت الحموي، معجم البلدان، (2/ 350). ابن حوقل، صورة الأرض، (2/ 426). قحطان عبد الستار الحديثي، أرباع خراسان الشهيرة دراسة في أحوالها الجغرافية والإدارية والاقتصادية حتى نهاية الرابع الهجري، مطبعة دار الحكمة، البصرة 1990م، (ص/ 5

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

أميرا. ومساحة مدينة بخارى هو اثنا عشر فرسخا في اثنا عشر فرسخا، يحيط بأسرها سور، وبها قلعت ورباطات وفي داخل هذا السور قرى.⁽²⁵⁾

نشأتها: إن مدينة بخارى هي أول من بناها هو البطل الإيراني (سياوش بن الملك الأسطوري كيكافوس)⁽²⁶⁾ قبل الإسلام بعدة قرون، ويذكر المؤلف انيتي جنجلر بأنها تأسست بشكل رسمي في عام 500 قبل الميلاد في المنطقة المسماة أرك.⁽²⁷⁾

إن هذا الموضع المعروف اليوم ببخارى، كان يتكون من بركة ومروج كثيرة، وفي بعض أجزائه كان لا يوجد مخاضة للإنسان أو الحيوان لكثرة الثلوج على الجبال بالولايات التي بناحية سمرقند، فيجتمع الماء هنالك، بعد مرور الوقت طمر هذا الموضع وتمهدت الأرض، واجتمع الناس من كل صوب. وازدهر المكان بمرور الوقت فأعجب الناس خصب هذه الأرض وأقاموا فيها، فكان في أول الأمر يعيشون الناس فيه في الخيام والسراقات، ثم تجمعوا وتكاثروا على مر العصور وبنو العمائر ثم نصبوا أميرا عليهم.⁽²⁸⁾

2. مدينة سمرقند⁽²⁹⁾:

(25) أحمد الفريغون، حدود العالم، (ص/ 126)

(26) يقال أن كيكافوس حين ترك أباه مغضبا، فاتجه إلى ملك الترك فأكرامه وفادته وزوجه من ابنته وأقطعه هذه الأرض التي تعرف اليوم ببخارى، فبنى بها مدينة ثم انقلب عليها افراسيابيسعي الوشاة وقتله، وكتب فيه المراثي والتي لا تزال تردد في بخارى إلى اليوم. النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 6)

(27) Anette Gangler; Heinz Gaube; Attilio Petruccioli| Bukhara–The eastern

Dome of Islam| (P/18) (17-12-2003)

(28) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 18-20)

(29) سمرقند (Samarkand) وهي من مدن تركستان المشهورة بآسيا الوسطى تقع على بعد سبعة كيلومترات «سمران» (وقد ورد اسمها في بعض الكتب العربية جنوب نهر زرافشان. وهي قديمة العهد يقال

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

سمرقند هي المدينة الثانية في إقليم الصغد خلف نهر جيحون التي يشمل في بلاد ما وراء النهر، تقع على نحو مئة وخمسين ميلا من شرق بخارى، بينهما سبعة أيام أو سبعة وثلاثون فرسخا⁽³⁰⁾، على بعد سبعة كيلو مترات جنوب زرافشان، وتقوم على مسافة قصيرة من ضفة نهر الصغد الجنوبية، في مكان مرتفع أي: على نشز الأرض، وأن نهر بخارى يمر من باب سمرقند⁽³¹⁾، وقد وصفها المؤرخون من أجل البلدان وأعظمها قدرا وأشدّها امتناعا وأكثرها رجالا وأشدّها بطلا وأصبرها محاربا، وليس على وجه الأرض مدينة أطيب ولا أنزه ولا أحسن من سمرقند.⁽³²⁾

شهدت سمرقند منذ أن شيدت في القرن السادس أو السابع قبل الميلاد فترات من الرخاء والانحطاط، أقام صناعها المهرة العلاقات التجارية التي امتدت إلى حدود الصين، لكن أكثر ما تعرف به سمرقند هو أنها مركز العلوم والعمارة الإسلامية.

انها بنيت بمعرفة الإسكندر المقدوني واستولى عليها بعده ملوك الطوائف المقدونية ببلخ ثم الأشكانيون ثم السامانيون. وحاصرها المسلمون سنة (55 هـ - 674 م) على يد والي خراسان سعيد بن عثمان وفتحها قتيبة بن مسلم سنة (77 هـ - 696 م). وقد وصلت سمرقند إلى أعلى مدارج الإعمار والازدهار في عهد السامانيين وبقيت على هذه الحال في عهد السلجوقيين والخوارزمشاهية إلى أن دمرها چنكيز خان، وعمرها تيمور لnk الذي اتخذها عاصمة لإمبراطوريته، واستولى عليها الأوزبك بعده وخرّبوها. وفي سنة 1868 هـ، احتلها الروس وجعلوها عاصمة لولاية زرافشان، وفي الحال الحاضرة تعتبر سمرقند من أهم المدن التابعة لجمهورية أوزبكستان وأجملها، وفيها آثار إسلامية كثيرة من مساجد ومدارس. انظر: شمس الدين سامي فراشري، قاموس الأعلام، ترجمه: رفع محمود العثماني. مطبعة مهران 1889 م. (4/ 2626 - 2628)

(30) وقيل تسعة وثلاثون فرسخا، انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، (ص/ 26)

(31) أحمد الفريغون، حدود العالم، (ص/ 127)

(32) اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط-1 - 1422 هـ، (ص/ 124)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

نشأتها: أما عن نشأة سمرقند فقد اختلف الجغرافيون حول مؤسسه الحقيقي لها، فقد ذكر المؤرخ الجغرافي ياقوت الحموي⁽³³⁾ بأنها من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وزاد في موضع آخر أنها من بناء الإسكندر المقدوني⁽³⁴⁾ ملك اليونان بأنه قد بنى بها سورا ضخما، ومن ثم فقد أطلق على المدينة الإسكندرية نسبة إليه⁽³⁵⁾.

2. إقليم خوارزم⁽³⁶⁾

خوارزم اسم يطلق على الإقليم وليس اسم للمدينة، تقع في آخر نهر جيحون، منقطع من بلاد خراسان وبلاد ما وراء النهر، يحده من الغرب والشمال بلاد الترك، ومن الجنوب خراسان الذي تنقطع منه، ومن الشرق بلاد الصغد وما وراء النهر. فالصحارى تحيط به من كل جوانب، فإن ما يقع إلى الغرب من ما وراء النهر فهو حدود خوارزم⁽³⁷⁾. وكان له بحر اشتهر ببحر خوارزم الذي يسمى (بحر آرال) على

(33) معجم البلدان، (3/ 246 - 247). وقد ذكر القزويني بأن المدينة من بناء كيكاس بن كيقباز ملك الفرس، آثار البلاد وأخبار العباد، (ص/ 535)

(34) هو الاسكندر المقدوني بن فليب المقدوني، حكم بلاد خراسان، وإيران وبلاد الهند خلال فترة حكمه (336 - 323 ق.م)، انظر: اورنكزيب ارشاد، معرفة أفغانستان (د افغانستان پيژندنه)، (ص/ 10-11)

(35) ياقوت الحموي، معجم البلدان، (3/ 247)

(36) خوارزم مشتق من "خوار" و "رزم"، لأن خوار معناه اللحم ورزم معناه الحطب في اللغة الخوارزمية، لأن المدينة كانت فيها اللحوم والأسماك وغيرها. وقد ذكر اليعقوبي بأن اسمها "بيل" أي الفصل، وذلك لأنها منقطع بين خراسان وما وراء النهر. انظر: اليعقوبي، البلدان. (ص/ 324). أوله بين الفتحة والضممة والألف مسترقة مختلصة ليست بألف صحيحة (خارزم) يعني الواو فيها تكتب ولا تنطق. ياقوت الحموي،

معجم البلدان، (2/ 395)

(37) أحمد الفريغون، حدود العالم (ص/ 137)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

بعد أربعين فرسخا بين المغرب والشمال، وتحيط به مساكن الغوز⁽³⁸⁾ من كل جانب، يحيط إليها ماء نهر جيحون في موضع يسكن فيه صيادون، ليس فيه قرية ولا بناء⁽³⁹⁾، وكان محيط هذا البحر 300 فرسخا.⁽⁴⁰⁾

إقليم خوارزم من أعظم بلاد ما وراء النهر من حيث المدن والقرى، وهو يحتوي بالأشجار والبساتين والأنهار والمزارع، وهذا دليل على طيب هوائه وشهرة الفواكه.⁽⁴¹⁾

أصبح إقليم خوارزم بعد ذلك مركزا لحركة علمية هائلة استمدتها من موقعه الجغرافي الإستراتيجي وتشجيع السلاطين والأمراء والوزراء لحركة العلم والعلماء معا، وكان كل ذلك بفضل فتوحات قتيبة بن مسلم وتعيين العلماء في المدارس والجامعات. لكن لم يستمر هذا الأمر حتى أن دمرت وخربت واصطدمت عمارتها،

(38) الأوغوز أو الغز، وهو مصطلح لغوي يطلق على اللغات التركية الغربية أو الأوغوزية من عائلة اللغات التركية، هو تحالف أو اتحاد قبلي تركي اصطلاح على تسميته بدولة اوغوز ياغبو في آسيا الوسطى خلال فترة العصور الوسطى المبكرة، وفي العديد من اللغات التركية اسم أوغوز هي كلمة تعني قبيلة. يعتبر الأوغوز مؤسسي عدد من الممالك والإمبراطوريات المشهورة كالسلاجقون والعثمانيون والدولة الرسولية. في فترة الـ 700، جعل الأتراك الأوغوز المنطقة الواقعة بين بحر قزوين وبحر آرال وطنا جديدا وثابتا لهم، وهي المنطقة التي غالبا ما يشار إليها على أنها ما وراء النهر، في الجزء الغربي من تركستان. انظر: C. E. Bosworth The Ghaznavids. Their Empire in Afghanistan and Eastern Iran. Author: Ludwig W. Adamec. Publish: (Edinburgh University Press 1963. (Page: 216. وتقع بلاد الغوز في غربي بلاد ما وراء النهر. انظر: الإصطخري، المسالك والممالك،

(ص/ 286). اليعقوبي، البلدان، (ص/ 126)

(39) الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي شيخ الربوة المعروف بشيخ حطين، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (ص/ 127 و 147). ابن رسته، الأعلام النفسية، (ص/ 91 -

92). ياقوت الحموي، معجم البلدان، (1/ 351)

(40) أحمد الفريغون، حدود العالم، (ص/ 28)

(41) للمزيد أنظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (ص/ 525 - 526 - 527)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

وهي منشأ الدولة الخوارزمشاهية التي قضى عليها جنكيز خان تحت حكم الشيبانيين ثم الفرس⁽⁴²⁾.

3. إقليم فرغانة⁽⁴³⁾

هي إقليم من أقاليم بلاد ما وراء النهر في نواحي سيحون طرفه الشرقي الذي يخرج من بلاد الترك، ويمتد لمسافة مئتي ميل ونيل على طول جانبي النهر، ويطلق عليه حد الترك وآخر بلاد الإسلام، وذلك لأن الفتوحات الإسلامية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر توفقت عند هذا الحد.⁽⁴⁴⁾

إقليم فرغانة لها مدن عظيمة وواسعة، وهو اسم الإقليم، وهو عريض موضوع على سعة مدنها وقراها، وليس بما وراء النهر مدن لإقليم أكثر من فرغانة، وربما لهذا السبب بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم ومراعهم.⁽⁴⁵⁾ تمتاز فرغانة بالجبال والصحارى التي تحيط بها من جميع الجهات، ومع ذلك أنها ذات نعيم وفيرة، ومياه جارية وضياح كثيرة، وفي جبالها معادن الذهب والفضة والحديد والصفير والفيروزج والآلنك بكثرة، وكذلك النحاس والرصاص والنوشادر والزبيق والشمع الأسود وغيرها.⁽⁴⁶⁾

(42) عرفت باسم "خيوه"، وزعت هذه البلاد بين اوزبكستان وتركمنستان بسبب الإتحاد السوفيتي بعد هجوم الروس وخلعهم أميرها سنة (1924م). انظر: 7017 xx. Siecle de larousse. (p/343).
(43) بالفتح ثم السكون، وغين معجمة، وبعد الألف نون: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخير واسعة الرستاق، يقال كان بها أربعون منبرا، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (253/4)

(44) ابن حوقل، صورة الأرض، (ص/ 11)

(45) ابن حوقل، صورة الأرض، (ص/ 420). السمعاني، الأنساب، (367/4)

(46) أحمد الفريغون، حدود العالم، (1/ 130). الاصطخري، المسالك والممالك، (ص/ 334)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

إن إقليم فرغانة لها مدن عظيمة واسعة وكثيرة وذلك من كثرة السكان والمواشي، ومن مدنها المشهورة فرغانة التي هي اسم الإقليم، وأخسيكت⁽⁴⁷⁾ وهو عاصمة الإقليم، تقع على شاطئ الأيمن لنهر سيحون ومعناها بلغة الصغد "مدينة الأمير"، وتمتاز بأنها مدينة واسعة مستوية، تبعد عن الجبال بنحو نصف فرسخ وتصل مساحتها نحو ميل في مثله، ولها قلعة وفيها الجامع ودار الإمارة والحبس وفيها أسواق وسور، أحاطت به الأشجار والأنهار مع عمارة وخصب ورخص له مجصصة بالبن⁽⁴⁸⁾. وللمدينة خمسة أبواب: (باب بجير، باب المرقشة، باب كاسان، باب الجامع، باب رهابة).⁽⁴⁹⁾

ظلت المدينة تحت الهدوء والسلام إلى أن فاقت الغزو المغولي ودمرها، وعلى كل حال، لم يبق لنا من هذه المدينة غير الوصف الذي وصفها لنا السمعاني حين قال: أخسيكت من بلاد فرغانة، كانت من أنزه بلادها وأحسنها، خرج منها جماعة العلماء قديما وحديثا⁽⁵⁰⁾، وقد ذكر المقدسي الذي دخل المدينة نفسه، أن في أهلها غلظة وشدة⁽⁵¹⁾، وقد ذكر القزويني، أن من عادات سكان فرغانة أنهم يقطعون الأذان حزنا على موت أكابرهم.⁽⁵²⁾

(47) بالفتح، ثم السكون، وكسر السين المهملة، وياء ساكنة، وكاف وثاء مثلثة، وبعضهم يقوله بالتاء المثناة، وهو الأولى، لأن المثلثة ليست من حروف العجم: اسم مدينة بما وراء النهر، وهي قسبة ناحية فرغانة، وهي على شاطئ نهر الشاش على أرض مستوية، بينها وبين الجبال نحو من فرسخ على شمالي النهر. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (1 / 121)

(48) المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص / 271).

(49) انظر للمزيد منها: ابن حوقل، صورة الأرض، (ص / 420). القلقشندي، صبح الأعشى (4 / 438).

(50) الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى: 1382 هـ - 1962 م، (1 / 95)

(51) أحسن التقاسيم، (ص / 271)

(52) آثار البلاد وأخبار العباد، (ص / 236)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

وهناك مدن أخرى كثيرة من إقليم فرغانة والتي لا أهتم بشرحها، وهذه المدن: اندكان، قبا، أوش، أوزكند أو يوزكند، مرغينان، خواقند، خجندة، وانكث، خيرلم أو خيلام، شكت وقاسان أو كاسان.⁽⁵³⁾

نشأتها: وأما عن نشأة مدينة فرغانة، فيرجع بناؤها إلى الملك كسرى أنوشروان بأنه بناها ونقل إليها من كل بيت قوما وسماها (هر خانة)⁽⁵⁴⁾، وقيل (أزهر خانة) أي (من كل بيت)، ويسميتها اليعقوبي (كاسان)⁽⁵⁵⁾، ويصفها بأنها مدينة جليلة القدر عظيمة الأمر، وبين سمرقند إلى فرغانة ثلاثة وخمسون فرسخا.⁽⁵⁶⁾

وفي العصر الحديث وبالتحديد في عام 1876م وقعت فرغانة تحت الاحتلال الروسي، وأطلق عليه (خانية خوقند)، وبعد الثورة الروسية، أعادت إليها الحكومة الروسية رسميا اسمها القديم فرغانة⁽⁵⁷⁾، والتي ما زالت تعرف به حتى اليوم.

4. إقليم الشاش⁽⁵⁸⁾

من أقاليم بلاد ما وراء النهر الخمسة آخرها بأغلب الاعتبار إقليم الشاش، تقع غربي فرغانة على ضفة نهر سيحمون اليمنى، والخرائب المعروفة اليوم بـ (طشقند) القديمة، وهي موضع المدينة التي سماها العرب (الشاش)، وسماها الفرس (جاج)

(53) انظر لمزيد من شرح هذه المدن: ياقوت الحموي، معجم البلدان في الجزء (1،2،3،4،5)

(54) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (ص/ 603)

(55) البلدان، (ص/ 125)

(56) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، (ص/ 30)

(57) فامبري، تاريخ بخارى، (ص/ 69). جاي ونت، أضواء على آسيا، ترجمة روفائيل جرجس، سلسلة الألف كتاب العدد (308)، الإنجاز المصرية، القاهرة، (ص/ 62)

(58) بالشين المعجمة، فهي بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك، طولها مائة وأربع وعشرون درجة وعرضها خمس وأربعون درجة. ياقوت الحموي، معجم البلدان. (3/ 308)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

ولكثرة مدن بلاد ما وراء النهر تسميتان، فكان يسمى الشاش (بنكث وبيكث) اللتان تعدان قصبة إقليم الشاش.

إن إقليم الشام أكبر إقليم ما وراء النهر مساحة، وفيها أكبر منابر وقرى وعمارة، فمقدار عرضها مسيرة يومين في ثلاثة أيام، وقيل: طولها مائة وأربعون وعشرون درجة وعرضها خمس وأربعون درجة⁽⁵⁹⁾، ومن إقليم الشاش إلى سمرقند اثنان وأربعون فرسخا.⁽⁶⁰⁾

الأرض التي تقع عليه إقليم الشاش سهلة بالنسبة لأقاليم أخرى، ليس في هذه العمارة المتصلة جبل ولا أرض مرتفعة، وهي أكبر ثغري وجه الترك وأبنيتهم واسعة من طين، وفي عامة الأيام يجري فيه الماء وهي مستترة بالخضراء.⁽⁶¹⁾

ويعتبر الجغرافيون (أشروسنة)⁽⁶²⁾ أيضا من أقاليم بلاد ما وراء النهر، فقد يقول الإصطخري⁽⁶³⁾ فيها: أشروسنة اسم الإقليم كما أن الصغد اسم الإقليم، وليس بها مكانة ولا مدينة بهذا الاسم، والذي يطوف بها من أقاليم بلاد ما وراء النهر من شريقها فرغانة ومن غربها سمرقند وشمالها الشاش وبعض من فرغانة.⁽⁶⁴⁾

(59) ياقوت الحموي، معجم البلدان، (3/ 308-309)

(60) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، (ص/ 27)

(61) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (ص/ 548). شهاب الدين العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (3/ 170)

(62) بالضم ثم السكون، وضم الراء، وواو ساكنة، وسين مهملة مفتوحة، ونون، وهاء، وهي بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند، بينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (1/ 127)

(63) المسالك والممالك، (ص/ 343)

(64) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، (ص/ 25)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

وأضيف هنا أن بعض الجغرافيين يعتبرون أن طخارستان⁽⁶⁵⁾ تشمل بلاد ما وراء النهر من قربة له وتعيش السكان من أجناس الترك⁽⁶⁶⁾، في حين أن بعضها يعتبر في بلاد خراسان، وذلك لوقوعها على حد هذه البلاد، لكن أكثر مدنها تقع في بلاد خراسان، وعلى هذا الاعتبار⁽⁶⁷⁾. حاليا تعد طخارستان محافظة طخار في افغانستان تقع في الشمال وعاصمتها طالقان.⁽⁶⁸⁾

ثالثا: أنهار رئيسية لبلاد ما وراء النهر

إن وجود الأنهار على سطح الكرة الأرضية اليابسة يبدأ من نقطة بداية وهي المنبع من مناطق جبلية وينتهي بالمص في بحر أو محيط، قاطعا مسافة تصل آلاف الكيلو مترات، يمر خلالها بجبال وهضاب وسهول، ومناطق رطبة وجافة وحارة وباردة. كما ذكرنا في البداية أن بلاد ما وراء النهر تقع بين نهرين عظيمين هما (نهر جيحون أي آمو دريا) و (نهر سيحون أي سير دريا)، فالمناطق التي تقع حول هذين النهرين يطلق عليه اسم بلا ما وراء النهر.

أ- نهر جيحون⁽⁶⁹⁾ (آمو دريا)

(65) بالفتح وبعد الألف راء ثم سين ثم تاء مثناة من فوق، ويقال طخيرستان: وهي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا والسفلى، فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون، وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخا، وأما السفلى فهي أيضا غربي جيحون إلا أنها أبعد من بلخ وأضرب في الشرق من العليا، وأكبر مدينة بطخارستان طالقان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (23 / 4). المهلبى العزيزي، المسالك والممالك، (ص / 159)

(66) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، (ص / 34-35). الإصطخري، المسالك والممالك، (ص / 254 و 275). ابن حوقل، صورة الأرض، (ص / 448)

(67) البغدادي، مراصد الإطلاع، (2 / 880-881)

(68) اليعقوبي، البلدان، (ص / 129)

(69) جيحون، الجيم بالفتح، وهو اسم أعجمي، المنسوب من اللغة الفارسية من أحد وادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيحان. انظر: ياقوت، معجم البلدان، (2 / 196)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

اشتق نهر آمو دريا من مدينة أمل الواقعة في منطقة تدفقة يبلغ طوله 1415 كيلو مترا⁽⁷⁰⁾، وهو يبلغ من الجبال العالية على ارتفاع 2900 مترا تقريبا.

كان نهر جيحون القديم يعد الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والأقوام الناطقة بالتركية، أي إيران وتوران (هم أهل الطخاريون والهياطلة والترك) أعداء الإيرانيون⁽⁷¹⁾، فما كان في شماله من أقاليم سماها العرب ما وراء النهر وهو نهر جيحون أو سموها الهيطل⁽⁷²⁾.

أطلق العرب على نهر أوكس Oxus اسم جيحون أو ما يسمى نهر بلخ، وذلك لأن العرب قد سموها الأنهار بأسماء المدن الكبيرة التي تقع عليها أو قريبة منها، ولما كانت بلخ تقع على بعد بضعة أميال من ضفة نهر جيحون الجنوبية فقد نسب النهر إليها.

وأما روافد نهر آمو دريا أربعة، فعمودها على نهر (جرباب) وهو اليوم نهر (بنج)، وكان يصل إلى بذخشان من الشرق، وقد ذكر البكري بأن يجري من أعين، فيمر ببلاد الترمذ واسفرائين من بلاد خراسان حتى يأتي بلاد خوارزم، فيفترق في مواضع هناك ويمضي باقية فيصب في بحيرة الجرجانية أسفل خوارزم⁽⁷³⁾، وعن منابع نهر جيحون، فقد ذكر ابن رسته - إن نهر جيحون ينبع من هضبة التبت الصغرى - بامير

(70) أمجد بوهميل بورخازكا، خوارزم الحضارة المنسية لمنطقة ما بين بحري قزوين وآرال، منطقة العواصم والمدن الإسلامية، جدة - 1991م، (3 / 16)

(71) انظر للمزيد: دائرة المعارف الإسلامية، مادة توران، م-10، (ص/ 110)

(72) كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، (ص/ 478)

(73) المسالك والممالك، (ص/ 232). ابن حوقل، صورة الأرض، (2 / 460)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

حاليا - ثم ينحدر الشرق⁽⁷⁴⁾ وينحدر نهر آمو دريا من تاجكستان ليمر خلال أوزبكستان وبينهما وبين تركمنستان حتى يصيب في بحيرة خوارزم من جنوبها.⁽⁷⁵⁾ ومما هو جدير بالذكر، أن نهر جيحون مع كثرة مائه كان يتجمد في فصل الشتاء حتى كانت القوافل تعبر عليه ماشيا والعجل الموقرة بالبقر، ولا يزال ذلك الجامد يثخن حتى يصير ثخنه نحو خمسة أشبار وباقي الماء تحته جار - كما يقول ياقوت الحموي الذي زار هذه المناطق⁽⁷⁶⁾. وأن أهل خوارزم كانوا يحفرون آبارا بالمعاول في نهر جيحون يخرقونه للوصول إلى المياه ويسقون منها كما يسقى من البئر لشربهم ويحملونه في جرار، وكان الوضع يظل هكذا حتى تنقضى فصل الشتاء فيتقطع الجليد ويعود النهر إلى جريانه.⁽⁷⁷⁾

ب - نهر سيحون⁽⁷⁸⁾ (سير دريا)

أطلق العرب على نهر جكزرتس Jaxartes نهر سيحون وهو نهر الشاش الذي اشتهر عند العرب، والشاش القديمة هي مدينة - طشقند حاليا - وإنما سمي النهر بالشاش لوقوع المدينة المهمة التي بهذا الاسم بالقرب من ضفافه. وأطلق عليه الترك اسم سير دريا أو سير صو (نهر سير) ومن ثم عرف باسم سير دريا حاليا⁽⁷⁹⁾.

(74) الأعلام النفيسة، (ص/ 91-93)، وقد ذكر كل من الإصطخري وابن حوقل روافد نهر جيحون، انظر:

المسالك والممالك، (ص/ 166). صورة الأرض، (ص/ 393)

(75) جب Gibb، غزوات الرسول في آسيا الوسطى، (The Arab conquest in central Asia)،

(ص/ 5-6)

(76) معجم البلدان، (2/ 197)

(77) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (ص/ 526)

(78) بفتح أوله، وسكون ثانيه، وحاء مهملة، وآخره نون: نهر مشهور كبير بما وراء النهر قرب خجندة بعد

سمرقند، وهو في حدود بلاد الترك. ياقوت، معجم البلدان، (3/ 294)

(79) كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، (ص/ 519)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

أما منابع نهر سيحون فقد يخرج من بلاد الترك، حيث تجتمع إليه عدة أنهار تأتي إليه من الجبال، ثم يدخل وادي فرغانة ويسير بها نحواً من مائتي ميل، ثم ينحدر شرقاً في حدود (أوزكند)، ثم ينعطف شمالاً فيستقبل روافد عديدة وهو يتخلل فرغانة من يمينه ثم يمر بغرب الشاش وأخيراً يصب في بحر خوارزم⁽⁸⁰⁾ (آرال حالياً) الشمال الشرقي منه.

وكان سيحون يجمد شتاء مدة أطول من جيحون، فكانت القوافل تعبره على مائه المتجمد وكان بعد نحو ثلثي جيحون⁽⁸¹⁾، ويعتبر إقليم فرغانة والشاش من أقاليم هذا النهر العظيم.

فخلاصة القول أن الأنهار المشهورة التي تجري بين بلاد ما وراء النهر⁽⁸²⁾، فإنهما يخدران من الجبال ويصبان في بحر خوارزم (آرال حالياً)، فعلى حوض سير دريا نجد وادي فرغانة الخصيب الذي يمر خلال قرغيزيا وتاجكستان وأوزبكستان. ثم يعبر النهر حدودها إلى كازاخستان ليصيب في بحر خوارزم قريباً من شمالها، وينحدر نهر آمو دريا من تاجكستان ليمر خلال أوزبكستان وبينهما وبين تركمنستان حتى يصيب في بحيرة خوارزم من جنوبها.⁽⁸³⁾

(80) ابن حوقل، صورة الأرض، (ص/ 460-461)

(81) القلقشندي، صبح الأعشى، (4/ 444)

(82) ويذكر أن طول آمو دريا يبلغ 2240 كيلو متراً، منها 960 كم في أفغانستان، وطول سيحون 2212 كم.

محمد علي البار، أفغانستان، (ص/ 35)

(83) جب Gibb، غزوات العرب في آسيا الوسطى (The Arab Conquests in Centrel Asia)،

(ص/ 5-6)

إذا انتقلت للحديث عن الحياة الدينية في بلاد ما وراء النهر قبيل الفتح الإسلامي، فإننا نجد أنها لا تختلف كثيرا عن الحياة السياسية، فقد سادها التفكك، ولم توجد ديانة واحدة تكتف حولها شعوب المنطقة، هذا والجدير بالذكر، أن الديانات المختلفة التي ظهرت في بلاد ما وراء النهر لم تظهر في وقت واحد، بل ظهرت في أزمنة مختلفة، وإنما ظهرت أيضا متأثرة بديانات الشعوب المجاورة لها من الصين والهند والفرس.

ومن الأديان التي كانت تعتقد به سكان بلاد ما وراء النهر قبل الفتوحات الإسلامية: الزرادشتية: أولئك هم أصحاب (سيئاتما زرادشت بن بسوريث)، المولود قبل عيسى عليه السلام بحوالي 660 ق-م بأذربيجان (فارس)، وهي ديانة مثنوية أي أن أصحابها يعتقدون بوجود إلهين، أحدهما (أهورامزاد) وهو إله للخير والآخر (أهريمان) وهو إله للشر⁽⁸⁵⁾، ويعتقدون أن لهم أنبياء وملوك. وكان الإيرانيين الفرس لهم ديانات وآلهة متعددة منذ العهود الآرية القديمة التي سبقت هجرتهم، لكن بعد ما جاء زرادشت شرع في تأمل حياة الناس بغية الوصول إلى ديانة جديدة تلائم حياتهم وتسد حاجاتهم، فتأمل الزرادشت الصراع المستمر بينهم بين الخير والشر، هذا الصراع الذي كان يرى حوله أينما سار، والذي رآه ممثلا في ديانة الشعب وفي

(84) العقيدة هي: الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقينا ثابتا لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك. والدين هو: وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: عبدالله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، (ص/ 25).

الجرجاني، التعريفات، (ص/ 105)

(85) أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، (2/ 41)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنبَاطِيَّةٌ

عقائدهم، وبدأ أن هذا الصراع قائم بين مجموعة من قوى الخير ومجموعة من قوى الشر.⁽⁸⁶⁾

وقد حوت هذه الديانة التشريعات والأحكام والأخلاق والطقوس، وكان لهم كتاب مكتوب في عهد زرادشت (الأفستا أو الأبستاق) ومعناه الأساس أو الأصل، والمقرر في هذه الديانة أن (الأفستا) موحى به بإله أهورامزاد، ومن أبرز مظاهر الديانة عبادة النار لكونها مصدر النور.⁽⁸⁷⁾

وأما بالنسبة لسكان بلاد ما وراء النهر الأتراك، فإن الديانة الزرادشتية كانت هي ديانتهم الأساسية المأخوذة من سكان الإيرانيين، وقد انتشرت تعاليم زرادشت من بيوت النار في ما وراء النهر إلى صوب الشرق، ولم تكن الزرادشتية دينا رسميا إلا أيام الدولة الساسانيين، فأصبح دينا رسميا لهذه المنطقة لاسيما في مدينة بخارى وخوارزم⁽⁸⁸⁾، وكانت هذه العقيدة من أقدمها ظهرت في آسيا يقول بالحساب بعد البعث، فكانوا يعبدون النار على أنها رمز ظاهر للخير والنور كما احتفظ أيضا بفكرة الكهنة مشعلى النار.⁽⁸⁹⁾

(86) جيمس هنري بريستد، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، (ص/ 259-260)

(87) جمشيد يوسف، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة، (ص/ 7-11-45-56-60)

(88) المسعودي، مروج الذهب، (1/ 229). وبالرغم من أن الساسانيين نادوا بالزرادشتية دينا رسميا للدولة فإنها لم تكن عقيدة للفرس كافة. أمين بدوي، القصة في الأدب الفارسي، (ص/ 23). حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم، (ص/ 311). بلنيتسكي (الروسي)، خراسان وما وراء النهر، ترجمه إلى الفارسية: دكتور برويز ورجاوند، (ص/ 254-255)

(89) جيمس هنري بريستد، انتصار الحضارة، (ص/ 261)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأَمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

وفي الحقيقة أن الزرادشت يدعوا الناس إلى المجوسية⁽⁹⁰⁾ ويسمى العضو من هذه الطبقة مجوسيا في بلاد المشرق. وقد أقيمت في بلاد ما وراء النهر بيوت لعبادة النار، ومنها بيت "بورسون"، بيت "قباذان" ببخارى كما وجدت أماكن في خوارزم⁽⁹¹⁾، وبيت (كاوسان) في فرغانة التي بناها كاوس الملك، بناء عجيبا على اسم المدبر الأعظم من الأجسام السماوية وهو الشمس بمدينة فرغانة⁽⁹²⁾، ويحدث النرشخي عن قوم تسمى (آل ككثة أو ككثة) رحلوا عن بخارى بعد الفتح الإسلامي وبنوا خارج المدينة سبعمائة قصر، وأقاموا فيها بيوت لعبادة النار.⁽⁹³⁾

ويذكر البيروني⁽⁹⁴⁾ أعياد المجوس في ما وراء النهر، ومنها: عيد يقام في بخارى كل عام يسمى (رامش آغام) وعيد آخر كان يقام في مدينة بيكند يسمى (بكج آغام)، وكانوا يأكلون بعد تركهم الطعام فترة طويلة، وأما آخر هذه الأعياد فكانت تقام في مدينة كشمين.⁽⁹⁵⁾

(90) كلمة المجوس هي كلمة فارسية في الأصل، وعلى هذا عرف علماء اللغة لفظة مجوس بأنها من الألفاظ المعربة عن اللغة الفارسية القديمة إلا أنهم اختلفوا في أصلها وبيان معناها، وأن كلمة المجوس عائجة على الأقوام الذين يعبدون النار. وقد أشار البعض إلى أن المجوس من الأقوام الذين كانوا قد أحلوا الأخوات وبنات الأخ وبنات الأخت، فكانوا يبيحون كل ما حرم الله ويحرمون كل أحل الله ويتبعون الأهواء والشهوات. محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني، (ص/ 342 بتصرف). مجموعة من الباحثين، موسوعة الملل والأديان، (ص/ 170). أبو منصور الإسفراييني، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، (ص/ 18. الشهرستاني، الملل والنحل، (2/ 38)

(91) المسعودي، مروج الذهب، 2/ 198 و 200. شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، الطبعة الأولى: 1423هـ، (1/ 108-109)

(92) المسعودي، مروج الذهب، 2/ 186

(93) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 52)

(94) الآثار الباقية في القرون الخالية، (ص/ 204). وللمزيد من التفاصيل في أعياد المجوس انظر:

الكرديزي، زين الأخبار، (النسخة العربية)، (ص/ 437-438)

(95) قرية في بخاري، السمعاني، الأنساب، (5/ 15). ياقوت الحموي، معجم البلدان، (4/ 114)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

البوذية: تنسب البوذية إلى "جوتاما سداراتا" المؤسس الأصلي لديانة أو فلسفة بوذية ولد عام (623 ق.م) وهي تعني "المنور"، وقد ظهر بأرض الهند وبمرور الوقت صار له أتباع كثيرون وعلى هذا المذهب كان أكثر أهل ما وراء النهر قبل الإسلام.⁽⁹⁶⁾

البوذية هي ديانة غير ألوهية وهي ظهرت كرد فعل للهندوسية وذلك لسبب تعدد الطبقات في الهندوسية وإعطاء العديد من الإمتيازات للطبقة الأعلى، وجعل الطبقات الأخرى في خدمتهم وتحت إمرتهم، مما أدى إلى استبدادهم وظلمهم وطغيانهم، ولتخلص هذا الواقع السيئ ظهر فيهم روجي وأعلن لهم قواعد دينية جديدة تعتبر في حقيقتها تطورا في الهندوسية وتعليمها ويقصد به إنقاذ الهنود من ظلم الطبقات الأعلى وإبعادهم عن أي جو ديني يضعهم في ثنايا الخضوع والذل والهوان مرة أخرى، وهدفهم الأصلي أن يخضعوهم من عبادة الآلهة والتخلص من نظام الطبقات⁽⁹⁷⁾، وكما أن الديانة البوذية شائعة في بلاد الهند وغيرها من البلاد، كان لها أيضا معابد في بلاد ما وراء النهر.⁽⁹⁸⁾

وكذلك كان معبد البوذيين في بلاد ما وراء النهر اسم «بخارى» نفسه، ذلك لأن «بخار» لا يزال يعني حتى اليوم العلم المغولي المرفوع على المعبد أو الدير البوذي. ومن أبرز الدلائل على انتشار البوذية بقوة، هو أن فلسفة يونان كان له تأثير

(96) البيروني، الآثار الباقية، (ص/ 173). وقد ذكر أنها تنسب إلى "بوذاسف" (566-486 ق.م) الذي ظهر في حكم الملك طهمورث بأرض الهند، ابن النديم محمد بن اسحاق، الفهرست، محقق: ابراهيم رمضان، دار المعرفة-بيروت، الطبعة الثانية 1417هـ-1997م، (ص/ 419)

(97) كامل محمد محمد عويضة، بوذا والفلسفة البوذية، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: 1414هـ-1994م، (ص/ 76-77)

(98) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، (ص/ 58)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

كبير في تكوين العقلية الإيرانية⁽⁹⁹⁾ وتسربت البوذية إلى خراسان وما وراء النهر، وأيضا من دليل البوذية بأنها كانت شائعة بأن الفاتحون المسلمون وجدوا آثار البوذية ببلاذ ما وراء النهر وكذلك بعد فتح بيكند⁽¹⁰⁰⁾، وكان من بين ما غنمهم من الأوثان صنم عظيم الحجم من الذهب الخالص.⁽¹⁰¹⁾

وكل مع هذه الأديان كان في بلاد ما وراء النهر أقلية من النساطرة المانوية⁽¹⁰²⁾ والمسيحية⁽¹⁰³⁾، نزحوا إليها هربا من بلاد الروم وغيرها، وقد اتخذت المسيحية مركزا لها في سمرقند وغيرها من البلاد فيما وراء النهر.

العادات والتقاليد

أما من جهة العادات والتقاليد فإن الشعب التركي في بلاد ما وراء النهر كان شعبا محاربا من الطراز الأول، وكان لا يزال متمسكا بالتقاليد الدولية⁽¹⁰⁴⁾ وذلك لنمط

(99) وذلك بسبب التجاء طائفة من الحكماء البيزنطيين إلى "أنوشروان"، انظر: أمين بدوي، القصة في الأدب الفارسي، (ص/ 24)

(100) فتحها عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان الأموي سنة 54هـ. البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 401). الذهبي، سير أعلام النبلاء، (3/ 545)

(101) المسعودي، مروج الذهب، (1/ 229). شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية، بيروت - 1982م، (ص/ 209)

(102) تنسب إلى ماني بن فثق بن بابك بن أبي برزام، خرج في حكم سابور بن أردشير، ودعا إلى مبدأ النور والظلمة وكان يقصد النار ويجعلهما قبلة لهم، وهو ألف كتابا (الشابرقان) الذي شرح فيه أصول مذهبه، وهي منتشرة بين الأتراك في بلاد ما وراء النهر مع أن الآثار اكتشفت مكتوبة بالفارسية والتركية. انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، (2/ 49). أبو منصور الإسفراييني، الفرق بين الفرق، (ص/ 162). بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، (ص/ 71)

(103) كان لليهود علاقة وثيقة بأرض الإمبراطورية الفارسية منذ أن انتصر قورش لليهود أثناء إصطدام بالبابليين، وعرفت المسيحية طريقها إلى فارس قبل الإسلام بحوالي خمسة قرون عن طريق الشام وآسيا الصغرى. انظر: حسن بيرنيا، تاريخ ايران القديم، (ص/ 322)

(104) حسن أحمد محمود، الإسلام في آسيا الوسطى، (ص/ 136)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

حياتهم البدوية، وكانت شجاعتهم في الحرب قد أثبت في الحروب مع المسلمين منذ عهد عمر بن الخطاب حتى قتيبة بن مسلم الباهلي بحيث لم ينجحوا باستقرارهم هناك وهم خير شاهدين على ذلك، وذلك لأنهم كانوا إذا وقعت جثة القائد التركي عند العدو فكان ذلك عندهم أشد من الموت نفسه، ويرونهم هذا الذل فلا يحبون الحياة بعدها⁽¹⁰⁵⁾. وكان الشعب التركي شعبا دائما في الصراع بسبب الطبقة التي أوجدوهم أو الصراع مع الدول المجاورة من الصين وخراسان، ولا سيما الأتراك الغزية الذين من قرب خراسان مع أنهم بعد ذلك أصبحوا طائفة من الترك المسلمين لكنهم أشد بأسا⁽¹⁰⁶⁾. وكان من عادات سكان فرغانة كانوا يقطعون الأذان حزنا على موت الأكابر.⁽¹⁰⁷⁾

ومن عاداتهم أن فيهم بعض القعائد كانوا يقيمون إلى جوار قبور الجند تماثيل لقتلى هؤلاء، وكانوا يذبحون عادة إلى جوار القبور، ويروي البعض في المصادر الصينية (التي لم يصل لنا ولذلك اعتمدت على كتاب بارتولد)، أن الأتراك يحرقون جثى الأموات، وهم يعتقدون أن روح الإنسان تناسخ بعد موته فتصبح طائرا أو حشرة، وأنهم كانوا يستعملون بعض الكلمات التي تدل على هذا، بمعنى أنهم يقولون "صار صقرا" لموتاهم، أي أصبح طائرا مع البطالة.⁽¹⁰⁸⁾

القاب ملوك بلاد ما وراء النهر

لقد أحاط ملوك ما وراء النهر أنفسهم - باعتبارهم أعلى طبقة اجتماعية - بهالة من الإحترام والتقديس، لا يحق للعامة أو الطبقات الأدنى، المساس بها أو مشاركتهم

(105) بارتولد، مصدر سابق، (ص/ 30)

(106) انظر: المسعودي، مروج الذهب، (1/ 101). الفلقشندي، صبح الأعشى، (4/ 446)

(107) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (ص/ 236)

(108) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، (ص/ 29-30)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

امتيازاتهم، وقد تجلّى هذا الأمر لدى الطبقات الدنيا من المجتمع الذين كانوا يسمون ملوكهم أرباباً⁽¹⁰⁹⁾. كما أن هؤلاء الملوك قد اتخذوا لأنفسهم ألقاباً تميز عن باقي طبقات المجتمع، والتي يدل معناها على التفخيم والإحترام والتعظيم، فلقب الإخشيد الذي أطلق على ملوك فرغانة⁽¹¹⁰⁾ كان يعد أقوى الألقاب وأكثرها هيبة، لأنه يعني ملك الملوك، ولعل هذا اللقب كان يقصد به الأشادة بفضائل هذا الملك وتكريمه أو الإشادة بقوته وإقرار حقه، لا سيما إذا عرفنا أن هؤلاء الملوك، كانوا يسيطرون على مناطق واسعة في بلاد ما وراء النهر، ويمتلكون الأموال والضياع والقصور، إذ كانت الإخشيد في سمرقند وبعض القرى والقصور⁽¹¹¹⁾، كما كان لقب الأفشين يطلق على ملك سمرقند وخوارزمشاه على ملوك خوارزم، وقد استمر تداول هذه الألقاب حتى خلال سيادة العرب المسلمين على بلاد ما وراء النهر لا سيما في العصر العباسي الثاني (218 - 334 هـ / 833 - 945 م) ويبدو أن ذلك يدل على اتساع الممالك الإسلامية وانضوائها تحت الحكم العباسي، وصفة العالمية التي وصفت بها الدولة فضلاً عن أن هذه الظاهرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً باستخدام الخلفاء العباسيين للأتراك الذين رغم دخولهم في الإسلام، إلا أنهم ظلوا محتفظين بعنصريتهم وحبهم لتقاليد بلادهم، وأن الأقبال على التلقب بألقاب ملوكهم يدل على مظاهر حنينهم إلى تقاليدهم⁽¹¹²⁾.

(109) أحمد بن فضلان، رسالة ابن فضلان (رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، دار السويدية، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2003 م (ص/ 91)

(110) ابن خردادبة، المسالك والممالك، (ص/ 30). محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله البلخي الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، (ص/ 98). القلقشندي، صبح الأعشى، (5/ 484)

(111) الاضطخري، المسالك والممالك، (ص/ 180)

(112) الباشا، الألقاب الإسلامية، (ص/ 136)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

ومن القاب الملوك الأخرى، فقد كان ملك ما وراء النهر يسمى (كوشان شاه)، وملك سمرقند (طرخان)، و(بخارا خداه) كان ملكا لبخارى، وملك الختل يسمى (ختلان شاه) كما كان للملوك الصغار في بلاد ما وراء النهر القابا خاصة بهم، مثل: طرخان نيزك، وغوزك، وسهراب، وفورك⁽¹¹³⁾. ولم تتطرق المصادر التاريخية إلى أدوار هؤلاء الملوك الصغار ولعلمهم كانوا من طبقة النبلاء الذين لهم امتيازاتهم الخاصة، وربما يعيشون في مدن مستقلة أخرى منفردة عن مدينة ملكهم، ويبدو أنهم كانوا نوابا لملوكهم على تلك المدن التي يحكمونها، وربما كان الصوار تكين، الذي كان نائبا لملك فرغانة⁽¹¹⁴⁾ أحد هؤلاء الملوك الصغار، ممن كانت لهم مهمة قيادة وتجهيز الجيش للقتال، والعمل على إرسال أموال الضرائب للملك الذي يتبعونه ويدينون له بالولاء.

ثالثا: الوضع الاقتصادي في بلاد ما وراء النهر

كان الترك قبل الإسلام في بلاد ما وراء النهر يميلون إلى ممارسة الحرف والفنون الجميلة نتيجة تأثرهم بجيرانهم الفرس والصينيين، الذين اشتهروا بمنتجاتهم الحرفية البديعة، وكانوا يصدرونها إلى مختلف أسواق العالم، لكن أبرز الأنشطة الاقتصادية التي اشتهر بها منطقة بلاد ما وراء النهر بأنها من أنزه الأقاليم وأخصبها وأكثرها خيرا ومياها، ينقل منه القز والصوف، والقطن إلى الأفاق بالإضافة إلى المسك والزعفران وبها من السناجب والثعالب الشئ الكبير، ولذا فهي تشتهر بالفرو والأوبار. وسنذكرها في السطور التالية:

(113) ابن خردادبة، المسالك والممالك، (ص/ 39 - 41)

(114) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، (ص/ 119)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الزراعة: فإن بلاد ما وراء النهر مكون من نهريْن عظيمين، وهي المناطق التي تحتوي في هذه البلاد، تأتي داخل الأنهار، والجدير بالذكر أن هذه البلاد لم تحتوي فقط هذه الأنهار بل هناك عشرات الأنهار⁽¹¹⁵⁾ حفرها الناس لا سيما في بلاد بخارى، وخصبة بلاد ما وراء النهر كان عامله الأساسي هو نهر جيحون، فالزراعة من أساس عوامل الإقتصاد في هذه البلاد رغم كثرة المياه ووجود الأرض المستطيلة، فالحاصلات الزراعية تطورت لا سيما بعد الفتح الإسلامي، منها القطن، وجميع أنواع الفواكه، ومنها: التين، والرمان، والتفاح، والكمثري، والسفرجل، والخوخ، والبطيخ وغيرها، وفيها من الرياحين: هو الورد والبنفسنج والزعفران والآس، والحبق بالإضافة إلى المسك، وفيها من البقول: اللفت والجزر والكرنب والبادنجان وسائر أنواع البقول، وبها من السناجب الثعالب الشيء الكثير.⁽¹¹⁶⁾

وكان في مدينة طشقند⁽¹¹⁷⁾ التي لها الأرض الخصبة، ففي أودانها أشجار وأنهار وحدائق، وفي أعلاها أي في أجيالها كانت تخرج منهال الحديد والنحاس والذهب⁽¹¹⁸⁾. هو من أعظم بلاد ما وراء النهر وبها بخارى وسمرقند وبلاد الشاش، ويوجد بها جبل حجارته سود يحترق كما يحترق الفحم.

وكان أهل بخارى والصغد كانوا في القرنين الخامس والسادس الميلاديين يسرون بقوافل الحرير العظيمة عبر الإمبراطورية الساسانية إلى شرق بلاد الإمبراطورية

(115) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 54-55)

(116) ياقوت، معجم البلدان، (5/ 45). المسالك والممالك، (ص/ 166). صورة الأرض، (ص/ 393).

القلقشندي، صبح الأعشى، (4/ 432)

(117) كان العرب يسمونها تاشكند "الشاش"، ويسمونها الفرس "جاج"، ومعنا تاشكند مدينة الحجر، انظر:

كي لسترنج، (ص/ 525). المقدسي، (ص/ 272). المسالك والممالك، (ص/ 332)

(118) ياقوت، معجم البلدان، (2/ 92)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الرومانية، وحين شق المسلمون من بعد ذلك طريقهم عبر جيحون، وجدوا هناك نشاطا صناعيا وزراعيا فيها.

الخراج: اهتم النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بأمر الفلاحين بأنهم أمروا بعدم القتال معهم مع العدو، فعلى أيديهم تقوم الزراعة، فكان الخليفة عمر بن الخطاب يقول عن الفلاحين: "اتقوا الله في الفلاحين"⁽¹¹⁹⁾، وكان عمر بن عبد العزيز يوصي ولاته بقوله: "لا تقتلوا راهبا ولا أكارا"⁽¹²⁰⁾، فكان اهتمام ولاية الدولة الأموية وغيرها بالخراج اهتماما شاقا، كانوا يرونه مصدرا اقتصاديا مهما، فكانت الدولة تستفيد منها في أخذ الضرائب والخراج مناسبا بمساحة الأرض الذين يزرعونها الفلاحين.

التجارة: كانت التجارة المورد المهم التي تعتمد عليها سكان ما وراء النهر ومنها تجارة داخلية والخارجية، مع أن إيراد الأموال وإصدارها يكون بين الدول المجاورة أو المجن أو قرى مختلفة، وذلك عن طريق أسواق تربطها طرق تجارية مهمة سهلت عملية التبادل التجاري بين المدن والدول، فالمهم أنها كانت ميسورة في كليهما.

من الأسواق التي اشتغل بها التجار "سوق الطواويس"، كان يحضره عشرات آلاف التجار يزدهم الناس فيه، تباع به سنويا لمدة عشرة أيام في فصل الخريف بقايا السلع المعيبة المستهلكة. ومنها "سوق شرغ"، ومعظم السلع فيها من الحلوى والسمك الملح والطازج والفراء، ويعقد لمدة عشرة سنة في فصل الشتاء. منها سوق "ماخ

(119) ابن قدامة المقدسي، المغني، مكتبة القاهرة-1388هـ، 1968م. (9/ 313)

(120) يحيى بن آدم القرشي، كتاب الخراج، تحقيق: حسين مؤنس، الطبعة الأولى: 1987م، دار الشروق-

بيروت، (ص/ 48). الماوردي، الأحكام السلطانية، (ص/ 221)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

روز"، كان النجارين والنقاشين ينحت الأصنام فيه وتباعه⁽¹²¹⁾، وكان هناك بعض الأسواق الأخرى يقول عنه المؤرخ البيروني: ولهم أسواق في القرى في الأيام التي اسماءها في كل شهر واحدة تستعمل في رساتيق بخارى والصغد.⁽¹²²⁾

كان التجارة الداخلية أهم طريق اندماج أهالي القرى قائمة بعلاقات الاجتماعية بين مختلف النواحي والقرى، حيث يأتون التجار من الطرق البرية ويربط بين سكان بلاد ما وراء النهر.⁽¹²³⁾

أما التجارة الخارجية لبلاد ما وراء النهر، حيث كانت الحرير أهم واردات بلاد ما وراء النهر في الأوائل، فإن صناعة الحرير مزدهرة في بلاد الصين من قديم الزمان⁽¹²⁴⁾، فيردون الحرير من الصين بطريق الشمال الذي يبدأ من حدود الصين ويصل إلى نهر سيحون من طريق الأوسط الذي يمتد من حدود الصين ويمر بأسواق بلاد ما وراء النهر حتى يصل بلاد فارس، وكذلك الطريق الجنوبي حيث يبدأ من الصحارى الصينية ويمر بأراضي بلاد ما وراء النهر عبر بدخشان، طخارستان وسمرقند وفرغانة ويصل إلى الهند⁽¹²⁵⁾، وهكذا توسعت التجارة بين بلاد ما وراء النهر والأمبراطوريات في ذلك العصر، حيث ارتفع عدد أهل الصغد في القسطنطينية، لكن هذه العلاقات لم تستمر أكثر، فبدأ بإنتاج الحرير نفسه، فربطت العالم الخارجي ببلاد ما وراء النهر، يقول المستشرق جب: "وكان أقوى ما يصل بين الولايات من

(121) انظر للمزيد: النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 28 إلى 40). السمعاني، الأنساب، (5/ 159)

(122) البيروني، الآثار الباقية في القرون الخالية، (ص/ 204)

(123) البعقوبي، تاريخ يعقوبي (1/ 158). محمد أحمد محمد، بخارى في صدر الإسلام، (ص/ 11)

(124) ف- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، عربه عن الترجمة الفرنسية: أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1985م. (ص/ 15-16)

(125) السمعاني، الأنساب، (5/ 71). حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام، (3/ 332). ديويدي براونستون،

طريق الحرير، (ص/ 26)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

رباطات إنما هو تجارة الحرير مع الصينيين، وأهم مراكزها سمرقند، وبيكند، وكش. وكانت سمرقند أوفرها حظاً من النجاح في عالم التجارة، ومنها كانت ترسل البعوث التجارية الكثيرة إلى بلاط ملك الصين⁽¹²⁶⁾.

ولم تقتصر التجارة الخارجية لبلاط ما وراء النهر على الحرير فقط، بل شملت بعض السلع الأخرى نكتفي بالإشارة إليها، منها: الصدير، والحديد، والفضة، والألماس، والجواهر، والمنسوجات الصوفية، والعقاقير والتوابل، والعطور وبعض الأدوات المنزلية وغيرها.⁽¹²⁷⁾ وهكذا يروي أن أهل بيكند جميعاً تجاراً، يتجرون مع الصين ويركبون البحر المغربي وهو بحر قزوين في بلاد ما وراء النهر.⁽¹²⁸⁾

أما الوسائل النقل المستخدمة في نقل السلع على الطرق البرية منها الخيل والبغال والحمير والإبل البخت والبقر، فكان التجار يتبعون الطرق الرئيسية وضعت عليها العلامات الخاصة لمساعدتهم على مواصلة السير⁽¹²⁹⁾، وكان له طرق مختلفة منها طرق الشمال التي تبدأ من الحدود الصينية ويصل إلى نهر سيحون، ومن طريق الأوسط التي تبدأ من حدود الصين ويصل إلى فرغانة وأشروسنة مار بأسواق بلاد بخارى وسمرقند، وكذلك الطريق الجنوبي⁽¹³⁰⁾، وكل هذه الطرق كان لا بد لها المرور على الأمبراطورية التركية بمهارة التجار، لكن مشكلتها مع الأمبراطورية

(126) جب، غزوات العرب في آسيا الوسطى، (ص/ 5-6)

(127) للمزيد أنظر: براونستون، طريق الحرير، (ص/ 78 إلى 104)

(128) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 36-37)

(129) القلقشندي، صبح الأعشى، (4/ 431). محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في

الشرق، دار الفكر العربي، (ص/ 148)

(130) اليعقوبي، البلدان، (ص/ 158)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الفارسية تجنب هؤلاء التجار بسهولة حتى رأى أهل ما وراء النهر ضرورة البحث عن أسواق جديدة لتصرف تجارتهم.⁽¹³¹⁾

الصناعة: تعد الصناعة عصب الحياة في بلاد ما وراء النهر وشريانها الحيوي الاقتصادي، وبها يقاس مدى تقدم الأمم ورفقيها، وأما الصناعات المتنوعة التي حضت بها بلاد ما وراء النهر إلا جزءاً من تلك الخيرات التي تنعم بها أراضيها بل وأساسها في حقيقة الأمر، لقد حضت تلك الصناعات بقدر وافر من الأهمية والتي هي انعكاس لإبداعاته تلك البلاد الجميلة والتي جاءت من ضرورات الحياة ومتطلباتها ومستوحات من واقع حاجات هذه البلاد.

تختص مدن بلاد ما وراء النهر منذ فترة طويلة بالصناعات الحرفية حيث تميزت الكثير من العوائل بمهاراتها وإبداعاتها الفنية وتخصصها بإنتاج العديد من الحرف الصناعية والتي أخذ يتوارثها الأبناء عن الآباء، وهذه الصناعة تكثر وتنوع من منطقة إلى أخرى تبعاً للظروف الطبيعية والحالة الاقتصادية لهذه المجموعة أو تلك، ولقد تأثرت الصناعة في بلاد ما وراء النهر بالدول المجاورة لها مثل الصين وبلاد فارس إذ عرف عنهم الاحتراف.

فكان بيت الطراز⁽¹³²⁾ في بخارى تنسج بها البسط والسرادقات والأقمشة الفاخرة والوسائد وسجاجيد الصلاة والبرود الفندقية وغيرها⁽¹³³⁾. وكان إنتاج بخارى يرسل إلى العراف والمدن المجاورة له فضلاً على إقبال التجار على شراء ثيابها وبيعها في الشام ومصر وبلاد الروم.⁽¹³⁴⁾

(131) شاخت، تراث الإسلام، (1/ 176). براونستون، طريق الحرير، (ص/ 215)

(132) مصنع كبير في مدينة بخارى، يشبه ما يعرف الآن بدار الكسوة التي تعد فيها أستار الكعبة في القاهرة

(133) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 39)

(134) ياقوت، معجم البلدان، (4/ 495)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

واشتهرات قرية زندنة بصناعة الأثواب الزندنية المطرزة والتي تصنع من القطن الخاص ومنها البسة الملوك والأمراء.⁽¹³⁵⁾

كان من صناعتها (صناع الأدوية) من النباتات والأعشاب الطبية المختصة التي ينبت في فصل الخريف يعالج بها الامراض، ومعظم ما تصنع في بلاد سمرقند وكش⁽¹³⁶⁾. وتميزت بلاد ما وراء النهر بصناعة الحلبي والمجوهرات، وأصناف الملبوس مثل القز والصوف وطرائف البز، والصناعات الغذائية وغيرها.⁽¹³⁷⁾

إن المدينة ظاهرة حضارية ميزت المجتمعات البشرية الأولى فقد كانت العامل المميز لانتقال الإنسان من طور البربرية والوحشية إلى التمدن والحضارة. وإن المدينة القديمة لا تشبه في تكوينها المدينة المعاصرة، لكونها عبارة عن تجمعات حضرية على حد تعبيرهم، إذ إن العامل الإقتصادي المتمثل بالزراعة والصناعة والتجارة كانت سببا رئيسيا في تطور ونمو تلك المدن، ومن نشوء المدن تبدأ بمرحلة الظهور على شكل مستوطنة ومن ثم تتوسع نتيجة زيادة استخدام الأرض زراعيًا وصناعيًا وتجاريًا فضلًا عن إقامة وحدة معمارية تؤدي دور النواة المركزية للمدينة.

رابعاً: التركيبة السكانية لبلاد ما وراء النهر

أول من سكن بلاد ما وراء النهر هم الأتراك، والآثار القديمة المكتشفة تثبت قيام دولة تركية عريقة في (5000 قبل الميلاد)، وقد سكن فيها الإيرانيون أيضاً ما يسماها

(135) المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص/ 326)

(136) ابو بكر محمد بن زكريا الرازي، الحاوي في الطب، تحقيق: هيثم خليفة طعيمة، دار أحياء التراث العربي، ط-1، لبنان بيروت، 1422هـ/2002م. (ص/ 589). الثعالبي، لطائف المعارف، (ص/ 226)

(137) القلقشندي، صبح الأعشى، (4/ 431). ملطرون، الجغرافية العمومية، (3/ 154). محمد بن عبد الله ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، (1/ 282). النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 30). ابن حوقل، صورة الأرض، (ص/ 402)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

الآريون⁽¹³⁸⁾. وأن سكان بلاد ما وراء النهر من العنصر التركي الذي انحدر إليها من الشرق منذ القرن السادس الميلادي وكونوا لهم عدة ممالك مستقلة⁽¹³⁹⁾، وبهم الترك الغزية (بالقرب من خراسان)، والترك الصغديون وهم أهل الصغد⁽¹⁴⁰⁾.

ويفصل نهر جيحون القديم الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أي (إيران الخراسانيين وتوران الأتراك)، فما كان في شماله أي ورائه من أقاليم قد سماها العرب ما وراء النهر وكذلك الهياطلة⁽¹⁴¹⁾، وكل من بقوا في آسيا الوسطى فقد كان مركزهم نهر جيحون. وكانت المكونات السكانية التي شكلت بنية اجتماعية متجانسة من خلال التعايش فيما بينهم على أرضية على مر الأزمان ما يلي:

الترك: وهم من أهم العناصر السكانية وأقدمها وأكثرها عدد في بلاد ما وراء النهر، وهم بلا شك يعدون السكان الأصليين في مجتمعهم نظرا لأسبقيتهم عن باقي عناصر المجتمع في العيش على تلك الأراضي، وفيها قبائل الغزية، والقلجية والغورية. وهم أول من سكنوا هذه البلاد لأن الآثار القديمة المكتشفة تثبت قيام دولة تركية عريقة من سنة (5000 ق م إلى سنة 2000 ق ب). ودليلا آخر على وجود العناصر التركية على شاطئ نهر سيحون هي تسمية العاصمة "بخارى" وهذا اللفظ في أصله تركي، ونظيره أيضا كلمة "بيكند" وهي تركية أيضا، وكلمة "آمو" (اسم نهر جيحون) تركية أيضا ومعناها النهر.

(138) انظر: الهادي الغزي، الشعر الأموي في خراسان، تونس - 1976، (ص/ 19)

(139) الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة - 1968م، (ص/ 113).

وانظر: عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، (ص/ 337)

(140) قيل إنهم فئات مختلفة (الأسافل، الأعالي، الأواسط)، وأن الأتراك الغزية الذين من قرب خراسان هم طائفة من الترك المسلمين وهم أشدهم بأسا. انظر: المسعودي، مروج الذهب، (1/ 101). القلقشندي،

صبح الأعشى، (4/ 446)

(141) وهم توران والإفلاطيون، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، (ص/ 476)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

وفي الجانب الآخر، يرى المؤرخ بارتولد⁽¹⁴²⁾ أن التاريخ التركي يعتمد في هذا العصر على آثار أورخون⁽¹⁴³⁾ وهي النقوش والكتابات على شواهد القبور وأحجارها الطويلة، التي تعتبر من أهم المراجع في الكشف عن التاريخ التركي السابق، وبداية ظهورهم في آسيا الوسطى، فنقوش أورخون تتناول عن القرن السابع الميلادي وهي الفترة التي كان أتراك الشرق في أثنائها تحت حكم الصين، لكنهم استطاعوا الحصول على استقلالهم تحت قيادة بعض الخانات واستولوا في زمن قصير على مساحات تمتد من حدود الصين إلى إيران وبيزنطة⁽¹⁴⁴⁾. ويرى المؤرخ الفارسي أبو سعيد الكرديزي (ت443هـ/1051م) أن الترك من جملة الصينيين بدليل أن الصينيون كانوا في بلاد ما وراء النهر عند الفتح الإسلام وكانوا يسيطرون بخارى مع أنهم كانوا قلة⁽¹⁴⁵⁾، وتظهر وجودهم من أسماء المناصب المختلفة، مع أنها غير تركية بل وردت على الأتراك من الخارج مثل اللقب "شاد" وهو لقب أعضاء أسرة الخان، وبكثرة الإحتمال إنها لقب فارسي مستنبط من "شاه" بالتاء المدورة في آخرها. ولم

(142) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، (ص/ 18 و 21)

(143) مصادر تاريخ الأتراك يعتمد على آثار أورخون وهي أقدم أثر للسان التركي، وقد اكتشفت هذه الآثار في القرون الأخيرة وهي أقدم آثار تركها الترك أنفسهم، واتخذوا فيها لأول مرة اسم الترك ونقوش أورخون. انظر: أوقطاي أسلام آبا، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مطبعة رنكلر - استنبول، 1407هـ-1987م، (ص/ 3)

(144) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، (ص/ 17). حسن أحمد محمود، الإسلام في آسيا الوسطى، (ص/ 135)

(145) زين الأخبار، (ص/ 385). ويقول الآخرون، أن كلمة "ترك" في الأصل صينية وإنها كانت حديثة العهد عندما دخل الإسلام فارس. انظر: سعد زغلول، الإسلام والترك، وهي مقال في مجلة المختار التي تنشر من عالم الفكر - دراسات إسلامية - وزارة الإعلام - الكويت، 1984م، (ص/ 182)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

يكن مشكلة الأتراك مع الفاتحين المسلمين فقط بل كانت تحارب في الداخل بين الطبقات وبين الدول المجاورة.⁽¹⁴⁶⁾

أن الترك في بلاد ما وراء النهر كانوا أجناسا، وكان أول جنس قابلوهم هو جنس "الهياطلة" "Heptalirtes"، وكانوا قسمين كبيرين هما: قبائل الشمال، وهي التي تسمى في الغالب باسم "الهياطلة"، وقبائل الجنوب، وهي التي تسمى بالزابليين، وقد استقروا في إقليم، "زابلستان"، وأعطوه اسمهم.⁽¹⁴⁷⁾

إن تلك البلاد التي كانت تقنطها في أول الأمر شعوب "آرية" لم تلبث أن تسربت إليها أعداد غفيرة من العنصر التركي بصورة أصبح عدد المتكلمين باللهجات التركية من أهل البلاد في الآونة الحاضرة لا يقف عند حد الجماعات البدوية وحدها بل شمل الشطر الأكبر من سكان المدن⁽¹⁴⁸⁾، وكان الشعوب الآرية قلة في هذه المناطق أثناء الفتح الإسلامي، وكانوا يدينون بالوثنية حتى القرن العاشر الميلادي. وبسبب توفر سبل العيش بدأت تزداد هجرات القبائل الغزية التركية، وبشكل كبير جدا في أغلب المدن، لذلك شكلوا قوة عسكرية وسياسية مؤثرة، اذ تعرضت مناطقهم للخطر فيؤلفون تحالفا قويا ضد أعدائهم على الرغم من خلافاتهم ونزاعاتهم المستمرة⁽¹⁴⁹⁾، وعندما تشكلت الدولة الإسلامية وبدأت توجه انظارها نحو بلادهم ظهر بعض من هذه التحالفات لكنها لم تبقى لفترة طويلة، وذلك لتنظيم

(146) بارتولد، مصدر سابق، (ص/ 22)

(147) د. طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبَيْة، موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات - القاهرة، (ص/ 8). كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، (ص/ 476-477)

(148) بارتولد، تركستان من الفتح العربي، (ص/ 145)

(149) الاضطخري، المسالك والممالك، (ص/ 163)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المسلمين واصرارهم على نشر الإسلام حيث كانت فتوحاتهم منظمة وتحت كلمة واحدة لا سيما في العصر الأموي.

ونظرة إلى المصادر الجغرافية والتاريخية تؤكد أن الأتراك كانوا يسودون مواطن كثيرة ببلاد ما وراء النهر، ويعتبرون الشعب الأصلي لهذه البلاد نظرا لأسبقيتهم، والجدير بالذكر كان هناك عناصر أخرى مثل الإيرانيون والعرب وغيرهم إن كانوا بقلة لكنها لم تكن أصلية، ووجودها يجبرنا أن لا نغفلها في البحث.

الفرس: لم يكن الفرس (الإيرانيين) من السكان الأصليين لبلاد ما وراء النهر بل اغتصبوا تلك الأصقاع من الترك واستوطنوا لبعض الأسباب وهو تأمين طرق التجارة مع الصين، على أنهم يسيرون بقوافل الحرير العظيمة عبر الإمبراطور الساسانية إلى شرق بلاد الإمبراطورية الفارسية، حتى يكونوا ندا وحاجزا أمام تحركات الأتراك. وكان بعض الجغرافيين⁽¹⁵⁰⁾ سموها هذه المدن والقرى ونواحيها، والأنهار وغير ذلك بالأسماء الفارسية القديمة، وذلك دليل على سكان الإيرانيين في هذه المناطق، وأول مكان سكن فيه الفرس هو مدينة فرغانة.⁽¹⁵¹⁾

العرب: جاء استقرار العرب مصاحبا لعمليات الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر وكان ذلك في العصر الأموي، إذ تعد محاولة المهلب بن أبي صفرة الذي تولى خراسان عام (78هـ) محاولة لاستقرار العرب لكن كانت محاولة شبه فاشلة⁽¹⁵²⁾ لأنها لم تستمر إلا لسنتين فقط، ويبدو أن السبب هو قلة أعداد الجيوش الإسلامية وعدم معرفة المسلمين بطبيعة الأماكن الجبلية الوعرة، وليس بعيدا أن نذكر السبب الثاني أن المسلمين ابتعدوا عن الفتوحات في انحاء العالم بسبب وجود الثورات بينهم،

(150) فامبري، تاريخ بخارى، (ص/ 41-43)

(151) المسعودي، مروج الذهب، دار الكتاب العربي-بيروت 2004 م. (1/ 273)

(152) الطبري، تاريخ الطبري، (5/ 403)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

لكن بعد مجيئ قائد خراسان وما وراء النهر قتيبة بن مسلم الباهلي خلفا للمهلب، بدأ سياسة جديدة هي اسكان العوائل السلمة مع المقاتلين، وقد نجحت هذه السياسة الحكيمة في تقوية نفوذ الدولة الإسلامية، ففي سنة 96هـ أسكن العرب سمرقند⁽¹⁵³⁾، وكان القبائل العربية التي استقرت هم (شيبان، الأزد، باهلة، طي)، قام بها قتيبة في سمرقند وفرغانة والشاش، ثم أخذت العرب بالتزايد المستمر، وعندما حصل تمرد أهل الصغد قام المسلمون بتجميع قواهم لمحاربتهم.⁽¹⁵⁴⁾

(153) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت 1397هـ، (ص/ 224)

(154) وتذكر المصادر أن أعدادهم كانت كبيرة جدا. البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 416)

الباب الأول

الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر في المجال
السياسي ونشر الإسلام والوسائل والأساليب المستخدمة فيها

الفصل الأول

الجهود الدعوية في المجال السياسي

إن فتوحات المسلمين جاءت استطرادا وتحت ضغط الظروف، أو بمعنى آخر يدرك أن المسلمين اضطروا لهذه الفتوحات اضطرارا، فلم يكن هناك برنامج - معد سلفا - للفتح والصدام المسلح مع الآخرين، لأن نشر الإسلام الذي هو غاية المسلمين الأولى لم يكن يتطلب بالضرورة أعمالا حربية، فالدين إيمان يقر في القلوب، والقلوب لا يستطيع أحد أن يفرض عليها شيئا بالقوة، وكل ما كان يطلبه المسلمون أن يفسح الناس لهم طريق الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة بدون عوائق وموانع، حيث قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَرُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾⁽¹⁵⁵⁾ وقال في موضع آخر: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾⁽¹⁵⁶⁾. وكانت هذه من سياسة الرسول عليه السلام أن يقوم بتأمين شبه الجزيرة العربية من أي عدوان خارجي، ثم دعوة الناس خارج الجزيرة إلى الإسلام بالحسنى، حيث أرسل رسائل إلى الملوك والأمراء⁽¹⁵⁷⁾، ولكن الدول صاحبة القوة والسلطان والمهيمنة أعني - أمبراطورية الفرس والروم - لم يعطوا الإسلام هذه الفرصة، بل كادت له وقاومته فكان لا بد

(155) سورة النحل، الآية رقم: (125)

(156) سورة البقرة، الآية رقم: (256)

(157) انظر عن رسائل النبي إلى الأمراء والملوك، أبو محمد جمال الدين، عبد الملك بن هشام أبيوب الحميري المعافري، ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وغيرهم، الطبعة الثانية: 1375هـ-1955م. (2/ 589 و 606). ابن حجر، فتح الباري، (1/ 32-34). النووي، شرح صحيح

مسلم، (12/ 107 - 108). اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (2/ 77)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

من التأديب وتخلص الناس من مظالمهم، وفتح طريق دعوة الإسلام في انحاء العالم.

قبل أن نبدأ الحديث عن الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر لا بد من القاء النظر على الأحوال السياسية والاجتماعية قبيل الفتح الإسلامي لهذه البلاد.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المبحث الأول: الأحوال السياسية في بلاد ما وراء النهر قبيل الفتح الإسلامي

المطلب الأول: مفهوم السياسة

أولاً: السياسة لغة: إن كلمة سياسة تعني في المدلول اللغوي ما يأتي:

السياسة بكسر السين الأول وفتح ثانيها، مصدرها ساس يسوس، سس، فهو سائس، والمفعول مسوس، وقد ذكر ابن منظور: أن السياسة مصدر للفعل ساس يسوس، وساس الأمر سياسة: قام به، وسوسه القوم: جعلوه يسوسهم⁽¹⁵⁸⁾، يقول الفيروز آبادي - صاحب القاموس المحيط: سست الرعية سياسة، أي أمرتها ونهيتها⁽¹⁵⁹⁾، وقال ابن حجر: يسوس الشيء أي يتعهده بما يصلحه.⁽¹⁶⁰⁾

ويمكن أن نتخلص المعنى العامة بأن السياسة تشير إلى معنى الرياسة والقيادة والذكاء والفطنة والكياسة والدهاء.

ثانياً: السياسة اصطلاحاً: يلاحظ الباحث أن هناك اختلافات واسعة حول المفهوم، لكنها تعني - كقدر مشترك بين المفكرين - كل ما يتعلق بالدولة والسلطة الحاكمة وعلاقتها بالمواطنين، ولكن من منطلقات مختلفة ومتعارضة في بعض الأحيان، وكل واحد ينظر إليها باتجاهات خاصة حسب أفكارهم، فالإتجاه يراها أنها فن الحكم ومن بينها الفلاسفة الكبار مثل سقراط وأفلاطون، وغيرهم ينظرون أنه

(158) ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت عام 1996م، (6/ 429)

(159) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، (2/ 220) فصل السين والشين.

(160) قحطان أحمد سليمان الحمداني، الأساس في العلوم السياسية، طبعة دار مجدلوي للنشر والتوزيع عمان عام 2004م، (ص/ 15)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

السياسة هي صراع الحكم، فيرون أخذ السلطة بالقوة والحرب والمعركة ⁽¹⁶¹⁾، وقد ذكر ابن الأثير أن السياسة هي: "القيام على الشيء بما يصلحه" ⁽¹⁶²⁾. ويعرفها ابن القيم الجوزية ⁽¹⁶³⁾ بأنها: "ما كان الناس معه إلى الصلاح والبعد عن الفساد، وإن لم يشره رسول ولا نزل به وحي، فإذا قامت امارات الحق وبرزت أدلة العدل واسفر صبحه بأي وجه فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره، فالطرق أسباب ووسائل لا تتراد لذواتها، وإنما المراد غايتها هي المقاصد". وعرفها المقرئ ⁽¹⁶⁴⁾ بأنها "القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأحوال".

المطلب الثاني: مفهوم السياسة في الإسلام

لو نظرنا كلمة السياسة في القرآن الكريم لم ترد بهذا اللفظ ولكنه تحدث عن السياسة والحكومة في موارد كثيرة بالكلمات المترادفة لها، تحت عنوان الإمامة والخلافة والحكم والولاية وغير ذلك، وفيما يلي نقرأ مجموعة من الآيات الكريمة التي تعطينا صورة واضحة لمفهوم السياسة في الإسلام. قال تعالى مخاطباً النبي داود عليه السلام: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ و ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(161) انظر: حورية توفيق مجاهد، الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، الطبعة السادسة، مكتبة الإنجلو المصرية-القاهرة، 2013م، (ص/ 310). Hans Morgenthau Politics among nations Alfred knopf New York 5th Ed 1975 (P/82).

السياسي: السياسة والمجتمع في العالم الثالث، طبعة دار المعرفة الجامعية-القاهرة، (ص/ 17)

(162) النهاية في غريب الحديث والأثر، (2/ 421)

(163) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن ايوب الزرعي، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: دكتور محمد جميل غازي، مطبعة المدني القاهرة عام 1961م، (ص/ 15).

(164) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (3/ 383)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ⁽¹⁶⁵⁾. وكما ثبت القرآن تلك الأسس الفكرية للحكم والسياسة، ثبت كذلك مبدأ الشورى والتشاور كأساس من أسس النظام السياسي في الإسلام، فقال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ⁽¹⁶⁶⁾﴾. وقال تعالى واصفاً المؤمنين في حياتهم السياسية والاجتماعية ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ⁽¹⁶⁷⁾﴾، وفي موضع آخر تحدث عن البيعة والطاعة لولاة الأمور الذين يقيمون الإسلام وينفذون سياسة الحق والعدل والمساواة، واعتبرها واجبة على الأمة الإسلامية، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ⁽¹⁶⁸⁾﴾. وهكذا يثبت القرآن المبادئ الأساسية للسياسة، ويوضح مرتكزاتها في العديد من آياته اخترنا منها ما أوردنا انفاً للإيضاح والتعريف.

إن الإسلام لم يتعرض للتفصيلات في هذا الأمر، لأن عملية تطبيق الحكم الإسلامي هي مسألة اجتهادية قابلة للخطأ والصواب، وأراء الحاكم -كبشر مجتهد- قابلة للأخذ والرد والتعديل بالحذف والإضافة، وهي ليست مقدسة لأنها اجتهاد بشري.

المطلب الثالث: السياسة الإسلامية عبر العصور

أولاً: سياسة الرسول عليه السلام

وقد تحدث النصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم عن مفهوم السياسة والحكم والمسؤولية السياسية والعمل السياسي في

(165) سورة ص، الآية رقم: (26-28) وانظر: سورة يونس، الآية رقم: (14)، سورة البقرة، الآية رقم:

(30)، سورة النساء، الآية رقم: (58-59)، وسورة الحج، الآية رقم: (41)

(166) سورة آل عمران، الآية رقم: (159)

(167) سورة الشورى، الآية رقم: (38)

(168) سورة الفتح، الآية رقم: (18)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

الإسلام، كما توضح السيرة العملية للرسول الكريم مفهوم السياسة والحكم أفضل إيضاح. فعندما كان الرسول عليه السلام يدعو قومه للإسلام في مكة استجابت له جماعة قليلة، وسرعان ما قام المشركين من أهل قريش بعزلهم واضطهادهم وتعذيبهم ولأصحابه، ولم يكتفوا بذلك، بل رفضوا القبائل الوافدة التي يعرض الرسول نفسه ودينه لهم، ويتعداه إلى أن يأتهم أهل الظلام والضلال بالدعاة ليقتلوهم أو يخرجوهم وينفوهم من ديارهم أو يحبسوهم رجاء فتنتهم وردهم إلى الجاهلية التي أنقذهم الله منها، وقد سجل القرآن الكريم هذه الأساليب كلها في محاربة المشركين لرسول الله حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾⁽¹⁶⁹⁾، فالآية تدل بالحس والقيد والإخراج، وإثباته هو النفي والطرْد والإبعاد⁽¹⁷⁰⁾. إن الإشارات السياسية بدأت للرسول عليه السلام منذ بداية دعوته، فقد أقام الرسول ﷺ دولته المقدسة في المدينة المنورة، وكان أول ما يفعل ذلك عند وصوله إلى المدينة وبنى مسجدا يكون مكانا مستقرا سياسيا يلتقي فيه مع الوفود والقواد التي تأتون من الخارج، وكذلك تطبيق المفاهيم الإسلامية لتكون نهجا ودستورا للحياة. واهتم الرسول بالسياسة الداخلية في أول أمرها، لتسيير أمور البلاد ضمن حدودها، والقضاء على المشاكل الداخلية والعمل على إيجاد مشاريع مستمرة من أجل مصلحة الداخلية للبلاد ترافقه سياسة حكيمة وعقلية راجحة، وهذه هي أبرز مطالب السياسة الداخلية الناجحة التي قام بها الرسول عليه السلام، والتي اتخذها في المدينة قادت إلى إيجاد دولة خضعت إلى التطور باستمرار حتى تفوقت على جميع الدول التي عاصرتها في جميع الميادين.⁽¹⁷¹⁾

(169) سورة الأنفال، الآية رقم: (30)

(170) الطبري، تفسير الطبري، (13/ 492). ابن كثير، التفسير العظيم، (4/ 38)

(171) محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الفكر، دمشق 1980م، ط 8، (201-202)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

ولو نظرنا إلى سياسة الرسول الخارجية، وجدنا اهتمامه بالدول المجاورة من التعامل والتعاطي متبناه من قبل القيادة في تلك الدولة، وهذه العلاقة تتنوع على التعاون وحسن الجوار وإبرام الإتفاقيات والمعاهدات، وقد تكون في بعض الأحيان العلاقات بين دولة وأخرى تسودها القطعية والجفاء، وصولاً إلى الخصومة والحرب، وذلك ما حدث في سياسة الرسول عندما نقض اليهود المعاهدات والمواثيق التي قام به مع المسلمين، فجعل العلاقة إلى العداوة وحدث الحروب واقتتلوا منهم مئات من الرجال.

ثانياً: السياسة بعد وفاة الرسول عليه السلام

انتقل الرسول عليه السلام إلى الرفيق الأعلى وحمل المسلمون عبئ الخلافة الثقيل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فسرعان ما بدأ بأمور المسلمين واكتمال ما بقي من الرسول عليه السلام، وحفظ الشريعة ومجاهدة الخارجين عليها وهذا أهم أمر عنده، فأصر على محاربة كل ظواهر الردة عن سلطة المدينة سواء السياسية أو الدينية، ورفض الحلول الوسط حتى وهو في أضعف حالاته العسكرية، وذلك لمنع الانشقاق الداخلي مما يقوض دعائم الممالك، ويقصم عرا الوحدة في الأمم، لذلك اشتد أبي بكر بالقضاء عليهم، ونشر الدين فأنفذ جيش أسامة بن زيد وشرع لتأديب بعض القبائل على الحدود مع الروم.

لم يقف المسلمون بتوسيع رقعة الدولة الإسلامية بسياسة السلمية والمحاربة في حين نفسه، وكان سياسة عمر بن الخطاب اشتهر بالعدل، وذلك لم يختص في صفوف المسلمين بل توسع إلى صفوف الكفار من أهل الكتاب والمشركين، فيأمر القيادة بمعاملة الحسنة معهم وتطبيق العدل وإعطاء الحق كل ما يستحقهم، فإن خالفوهم عاقبهم، وكان ذلك في رسائل عمر الفاروق إلى مواليتهم في بلاد أخرى.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

إذا أضفنا الكلام وألقينا النظر إلى عهد عثمان بن عفان وجدنا سياسته لا تختلف عن سياسة عمر بن الخطاب، مع أنه استمر في الفتوحات وتوسع رقعة الدولة لكن خلافته كانت بداية اختلاف المسلمين، وبالتالي عهد علي بن أبي طالب، العهد الذي أدى إلى سفك دماء المسلمين، وكان في عهده المعارك بين المسلمين، وكانت هذه الفتن والمعارك الداخلية سبب رئيسي لتوقف حركات المسلمين في أنحاء العالم ولم يتوسع بهم وضعف سياستهم في بعض أنحاء الدولة.

المطلب الرابع: الأوضاع السياسية في بلاد ما وراء النهر

لم تعرف بلاد ما وراء النهر قيام حكومة مركزية أيام الدولة الأموية لا سيما عهد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية، بل ظهرت فيها عدة ممالك مستقلة بعضها عن بعض، بل متحاربة باستمرار كما يقول المستشرق الإنجليزي جب⁽¹⁷²⁾، "كانت الولايات في هذه المنطقة تعترف بـ"الخان" سيدا لها وتدفع له الجزية، وكانت إمارة الصغد مقسمة إلى ولايات صغيرة مستقلة تقوم بينها معاهدات مرنة، وقد ارتبطت الولايات برباط سيادة أسرة معينة غير وثيقة فيها على جميع الأسرات الأخرى وكان إلى جانب هؤلاء الأمراء سادة محليون لا تتجاوز سلطة الواحد منهم حدود قراه وكذلك كان الحال في منطقة سيحون"، وهكذا كانت البلاد مقسمة إلى إمارات صغيرة، وكان العداء مستمرا بينها، ولكنهم يدينون بالولاء للخاقان⁽¹⁷³⁾،

(172) جب Gibb، تاريخ العرب في آسيا الوسطى، (ص / 6-7)

(173) هو ملك الملوك، هذا اللقب يطلق أكبر وأعظم حكام الترك تمييزا لصاحبه عن الخان، وهو الحاكم الإقليمي لبعض الولايات التي تتكون منها دولة، وقد استخدم هذا اللقب السلاطين المسلمين الأتراك والمغول.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

وكان لهم الاستقلال الذاتي في أوقات السلام ولكن الحرب تجمعهم ليصبحوا صفا واحدا على عدوهم المشترك في الدفاع عن مصالحهم المشتركة.⁽¹⁷⁴⁾

أولاً: الأوضاع السياسية في مدينة بخارى قبل الفتح الإسلامي

من جانب السياسي قبل الإسلام لمدينة بخارى التي من أساس هذه البلاد والذي اهتم بها المسلمون بعد فتحهم، فكان أحوالها السياسية كما يتوقع مملوءة من الاستبداد والظلم من سلب الحقوق تقسيم الناس بالطبقات، ووفقا لرواية النرشخي⁽¹⁷⁵⁾ "فإن القوم بعد أن مهدوا الأرض واستقروا فيها ونصبوا عليها أميراً، لكن سرعان ما أمعن هذا الحاكم في الاستبداد وظلم الرعية"، حتى اضطر بعض الأغنياء إلى الهجرة إلى مدن أخرى وجهزوا أنفسهم مع دول البلاد الأخرى على حاكم بخارى المستبد فنجح عليهم وخلص الناس من ظلمهم⁽¹⁷⁶⁾. مع أن هذه المقاومة ضد الحاكم المستبد مهّدت طريقاً للإقامة بالعدل بين الناس، وحكم السيدة خاتون بخارى، فظلت هذه المدينة تحت حكمها، وقد تميزت بالعدل، لكن رغم بعض المناقضات بالعهود وغيرها من المشاكل اختلفت الفاتحين المسلمين فقاومت ضدهم، وكانت هذه المقاومة شديدة بالنسبة للمسلمين التي ألقى المسلمين في خطر.

ثانياً: الأوضاع السياسية في بلاد خوارزم

ولو تكلمنا عن إقليم خوارزم في المجال السياسي، فكان يحكمها قبل الفتح الإسلامي "شاهات خوارزم"، ويرجع أصل هذه الأسرة إلى أزمنة تاريخية اسطورية

(174) محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي، (ص / 77)

(175) تاريخ بخارى، (ص / 20)

(176) النرشخي، المرجع السابق، (ص / 38)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

قبيل الفتح الإسلامي⁽¹⁷⁷⁾، وكان ملكهم يحمل لقب "خسرو خوارزم"⁽¹⁷⁸⁾ وعلى معظم الآراء كانت لغتهم الفارسية وظلوا يكتبون عليه حتى القرن الحادي عشر.⁽¹⁷⁹⁾ كان أهل خوارزم يعتبرون الروابط السياسية غير مهمة وأنه لا داعي لأن يرتبطوا فيما بينهم بها، بل كانوا يعتقدون إن الأمن يتحقق باتباع الأصول الإدارية في العشيرة التي ينسب إليها، فهنا تكون الإدارة في أوج قوتها وتستطيع تنفيذ ما تريد دون وجود السلطة التنفيذية أو الرجوع إليها إن وجدت، بل إن العلاقات التي ترتبط بين العشائر والقبائل تجري طبقاً للعرف دون الحاجة إلى تدوين عقد بينهم وكذلك دون الحاجة إلى جهاز إداري يدير الروابط بينهم، وكذلك أن الخانات الذين يمثلون رمز السلطة كانوا في بعض الأحيان يخوضون الشعب كاملاً للسلطة وأحياناً أخرى أكثر من شعب واحد، فهم كانوا يستخدمون القوة معهم مما يدفع الشعب المضطهد لتقبل الأمور الواقعة وعدم المقاومة أو تضطر إلى قبوله بعد مقاومة طويلة، وكان القوم لا يستطيع إخضاع قومه الأقربين من البدو إلى بعد معارك دامية قد تكون أحمى وطيساً من تلك التي يخوضها في غزو البلاد المتحضرة، وكانت غنائم هذه الحرب هي التي تصلح بين الخان وقومه.⁽¹⁸⁰⁾

وبالنسبة للأوضاع السياسية في البلدان الواقعة على ضفاف بلاد ما وراء النهر بشكل عام، أصبح الوضع مصدراً للصراع المستمر الذي نشأ بينهما، والذي زعزع استقراره بالخطر المتصور للمسلمين الذين حدود بلادهم متجاورة مع خراسان

(177) بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، (ص/ 363)

(178) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، (ص/ 40)

(179) وقد ذكر ابن حوقل أن لغتهم مختلفة عن اللغات الأخرى في خراسان، أنظر: صورة الأرض،

(481/2)

(180) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا، (ص/ 20-22) بتصرف

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

حدود هذه الممالك، مما يجعلهم أن يفكروا في نهاية النظام في هذه الدولة الفوضوية في البلاد يضمها إلى الدولة الإسلامية ونشر الإسلام فيها وإخضاعها للنظام قبل أن يستفحل خطرهما، فساعد ذلك وأصبحت تلك البلاد إحدى أبرز المراكز الحضارية والثقافية لا سيما بعد العصر الأموي، وخرج منها مئات المحدثين والمفسرين والعلماء والفلاسفة والأدباء، وشكلت من مدنها مراكز علمية وحضارية.

المبحث الثاني: حركة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر

المطلب الأول: التعريف بالفتوحات الإسلامية وعوامل تشريعها

أولاً: مفهوم الفتح لغة واصطلاحاً

لغة، فتحه يَفْتَحُه فَتْحًا و افْتَتَحَه و فتحه فانْفَتَحَ و تَفَتَحَ، يقول صاحب معجم العين، الفتح هو نقيض الإغلاق، افتتاح دار الحرب، أن تفتح على من يستقرئك، أن تحكم بين قوم يختصمون إليك، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾⁽¹⁸¹⁾، والفتح هو النصر، قال تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾⁽¹⁸²⁾، وتشير أيضاً إلى "التغلب عليه وتملكه"⁽¹⁸³⁾. ويقول الشيخ البيضاوي⁽¹⁸⁴⁾ بأن الفتح بمعنى القضاء، أي قضينا لك أن تدخل مكة من قابل.

فكلمة الفتوح بهذا المفهوم الشامل تعني: ما قام به المسلمون من جهاد وفتح للبلدان وتمهيد لدعوة الله وتبليغ دين الإسلام إلى خلق الله وتحطيم قوى الشر التي كانت تمنع المسلمين

(181) سورة الأعراف، الآية رقم: (89)

(182) سورة الأنفال، الآية رقم: (19).

(183) مجموعة المؤلفين، المعجم الوسيط، (2/ 671). ابن منظور، لسان العرب، (2/ 536). خليل الفراهيدي، العين، (3/ 194)

(184) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 684هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل - تفسير البيضاوي - تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط - 1418هـ (5/ 126)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْطَائِيَّةٌ

والناس من ذلك في البلاد المختلفة. ولا يقتصر مفهوم الفتح على الانتصار العسكري فحسب، بل يتعداه إلى الانتصار في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتي سببت مجتمعة دخول الأقوام في البلاد المفتوحة عسكرياً في دين الإسلام بقناعة ورضا، مما يسبب انتصار عقيدة التوحيد على الشرك في تلك البلدان.

والأصل في الفتح الإسلامي تأمين طريق الدعوة إلى الإسلام، وخروج المسلمين للدعوة إلى دين الإسلام، وهكذا كانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمن يبعث من قواده، فإن دخل أهل تلك البلاد في الإسلام فذاك، فإن أبوا عرض عليهم دفع الجزية، فإن أبوا فالقتال حتى يدخلوا في سلطان المسلمين، ليتمكن المسلمون من دعوتهم إلى الإسلام دون أن يقف في طريقهم أحد، ثم بعد ذلك من شاء منهم أن يدخل في الإسلام فعل، ومن شاء أن يبقى على كفره فعل، ولكن يبقى تحت سلطان المسلمين ويدفع إليهم الجزية، فيعصم دمه وماله.⁽¹⁸⁵⁾

مفهومه في القرآن الكريم: جاء لفظ الفتح في القرآن الكريم بخمسة معان رئيسية، منها، أولاً: بمعنى الفتح المادي، ومن ذلك قوله سبحانه في أصحاب الجنة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾⁽¹⁸⁶⁾، أي فتح أبواب الجنة ليدخل بها المؤمنون الصالحون⁽¹⁸⁷⁾، ثانياً: بمعنى القضاء والحكم، قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾⁽¹⁸⁸⁾، قال الطبري: إنا حكمنا لك يا محمد حكماً لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر⁽¹⁸⁹⁾، ثالثاً: بمعنى

(185) صحيح مسلم، (3/ 1357) رقم الحديث (1731)

(186) سورة الزمر، الآية رقم: (73)

(187) شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، (15/ 285)

(188) سورة الفتح، الآية رقم: (1)

(189) تفسير الطبري، (22/ 197)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

النصر، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ﴾⁽¹⁹⁰⁾، أي: نصر وتأيد وظفر. رابعا: بمعنى الإرسال، من ذلك قوله عز وجل: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾⁽¹⁹¹⁾، أي: ما يرسل الله للناس من رزق وخير، خامسا: بمعنى فتح مكة خاصة، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾⁽¹⁹²⁾، المراد هنا فتح مكة. فظهر أن مفتوح الفتح في القرآن في كل مورد بحسبه وعلى مقتضاه.

مفهومه السياسي: وأما مفهومه السياسي للفتوحات فهي ضم البلاد المفتوحة إلى الدولة الفاتحة، واعتبارها ولاية من ولاياتها، وتطبيق النظام الحاكم في البلد الأم على الولاية الجديدة، ولقد عرفت الفتوحات الإسلامية في بداية الأمر وبعده مبادئ أكثر وضوحا وعدالة، مستمدة جذورها من القرآن والسنة وتعليمات الخلفاء الأربعة. ويعود حسن معاملة السلميين لأهالي البلاد المفتوحة، إلى أن الفتوحات العربية لم تكن تستهدف استعمار الأراضي والسكان، وإنما كانت تستهدف نشر الدعوة والجهاد في سبيل الله، وهو ما اتضح بجلاء عند الحديث عن الفتوحات الإسلامية والتي امتدت في جميع انحاء العالم.

ثانيا: أهم عوامل تشريع الفتوحات:

الجهاد في سبيل الله تعالى جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم ومهمته العظيمة على الأرض إذ إنه مكلف من الله تعالى بنشر الإسلام إلى الناس في أصقاع الأرض كافة، وقد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعده أساليب نشر الإسلام كافة ومن بينها الجهاد، والذي اتخذ اسم الفتوحات أو الفتح الإسلامي بعد وفاته ويقصد به

(190) سورة النساء، الآية رقم: (141)

(191) سورة فاطر، الآية رقم: (2)

(192) سورة المائدة، الآية رقم: (52)

الْجُهْدُ الدَّعْوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

خروج الجيش الإسلامي إلى الممالك والدول والأقاليم غير المسلمة لدعوتها للإسلام كما ذكرنا، بحيث تنضوي تحت راية الإسلام إما مسلمة أو دافعة للجزية أو راضخة بعد قتال انتصر المسلمون في غالبية معارك الفتح.

ولعل أهمية تشريع الجهاد تردع إلى أنه أعطى المسلمين الصفة السياسية كما أعطى مجتمعهم في المدينة صفة الدولة التي لا تستغني عن مبارزة أعدائها، وحل السيف في سبيل نشر دمائها، كما حدث في الأيام الأخيرة من حياة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقد اتصفت أعماله العسكرية الأولى بأنها متفقة مع الأهداف التي من أجلها تنزل التشريع بالجهاد، فكانت في بداية الأمر سراية النبي استطلاعية، يقصد منها رصد تجارة قريش وتحركاتها المختلفة، لأن قريش هم الذين اغتصبوا أموال المسلمين وأخرجوهم من ديارهم، فأعطي الحق للمسلمين أن يقاتلوهم لإسترداد أموالهم والثأر لكرمتهم وعزتهم، وقد ذكر أسباب الرئيسية لنزول الإذن بالقتال، من أهمها ما يلي:

• محاربة المظالم والدفاع عن الأهل والمال

بعد إعلان الدعوة، أذاقت قريش الرسول وأصحابه كل صفوف الأذى، فصبروا على آذائهم وحثه الله على التذرع بالصبر على المظالم وضرب له الأمثال في الصبر والاحتمال، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾⁽¹⁹³⁾، ولما تفاقم أذى قريش وأخرجوا المسلمين من ديارهم، فهاجروا إلى الحبشة والبعض إلى المدينة، وفعلوا ذلك ليجتنبوا الإضطهاد والمظالم اللذين أوقعتهما قريش عليهم، وبنتيجة الضغط الاقتصادي التي فرضته قريش على بني هاشم خفت أموالهم وصودرت أملاكهم، وكذلك تمادت قريش في عذاب وإيذاء

(193) سورة الأحقاف، الآية رقم: (35)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الضعفا والفقراء من المسلمين الذين لم يهاجروا، والذين لم يكن لهم في مكة السند القبلي القوي الذي يمنع عنهم المكاره التي كانت تنزل بهم، وتبدوا هذه المبررات في الآيات التي أذن فيها المسلمون بالقتال، حيث قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٢٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ⁽¹⁹⁴⁾، فأصبحت هذه الآية هي المبرر للإذن بالقتال كل من يعتدي على المسلمين.

1. الإلتزام الديني

يوجب الإسلام على أتباعه نشر تعاليم الإسلام بين غيرهم وتوفير العدل بينهم في أرجاء الأرض كافة، انطلاقاً من قوله تعالى، ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ﴾⁽¹⁹⁵⁾، وهناك العديد من الآيات القرآنية تدل على عالمية رسالة الإسلام ووجوب تبليغه للناس من ترك حرية اعتناقه لهم، انطلاقاً من وصية النبي [لمن يبعث من قواده، فإن دخل أهل تلك البلاد في الإسلام فذاك، فإن أبوا عرض عليهم دفع الجزية، فإن أبوا فالقتال حتى يدخلوا في سلطان المسلمين، ليتمكن المسلمون من دعوتهم إلى الإسلام دون أن يقف في طريقهم أحد، ثم بعد ذلك من شاء منهم أن يدخل الإسلام ومن شاء أن يبقى على كفره فعل⁽¹⁹⁶⁾، ولكن يبقى تحت حكم المسلمين ويدفع لهم الجزية فيعصم دمه وماله.

2. حماية المستضعفين في الأرض

(194) سورة الحج، الآية رقم: (39-40)

(195) سورة المائدة، الآية رقم: (67)

(196) مفهوم الحديث، أخرجه البخاري، (4/97)، رقم الحديث: (3159)، وصحيح مسلم، (3/1357)،

رقم الحديث: (1731). وأبو داود، (3/168)، رقم الحديث: (3043)، وأخرجه الترمذي، (4/146)،

رقم الحديث: (1586)

قال تعالى من أجل فرض الجهاد لحماية المستضعفين في الأرض، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾. (197)

3. الدفاع عن الدعوة وتأمينها

كان الرسول عليه السلام في بادئ الأمر حين علم بأمر الذي يصدون عن الإسلام يرسل أحد أصحابه، فيقف إلى جانب الشخص الكافر الذي يصد الناس عن الدعوة إلى الإسلام، فإذا أخذ المشرك يشتم الإسلام ورسوله، ويتقول عليه الكذب، ينبري الشخص المسلم للدفاع وتنفيذ أكاذيب المشرك، ولتأمين الدعوة والدفاع عنها لا يفتن مؤمن عن دينه، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (198)، وكان في بداية الأمر قد اقتصر الأمر بقريش والمسلمين، فلما انضمت بعض القبائل إلى قريش في مقاتلة الرسول ﷺ قبيل معركة الأحزاب، أنزل الله تعالى الآية الكريمة: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ (199)، وتنص هذه الآية بشكل واضح وصريح على وجوب محاربة من يقاتل المسلمين أيا كانت قبيلته. وفي آخر الأمر عندما كانت الرسول ﷺ أرسل الرسائل إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة يدعوهم إلى الإسلام، فقبل بعضهم ورفض الآخرون، لكن كان يرى الرسول أن الدولة الإسلامية لا زالت مهددة بالخطر من جهة الشمال، فتوجه لتأمين حدود بلاده وجهاز جيش أسامة بن زيد، في حين انتقل الرسول إلى جوار ربه، وسار من بعده

(197) سورة النساء، الآية رقم: (75)

(198) سورة البقرة، الآية رقم: (193)

(199) سورة التوبة، الآية رقم: (36)

الْجُهْدُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

الخلفاء الراشدون والأمويون وفق تشريع الجهاد وتأمين الدعوة خارج الجزيرة العربية.

ولا بد أن يفهم الخاطئون في ذلك أن ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتِ صَوْمَعُ وَيَعُ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾⁽²⁰⁰⁾، لأن الجهاد في هذه الحالة حفظ السلام الحقيقي، ولأن أعداء الدين لا يريدون تعميرا ولا سلاما، ولا يريدون حياة الناس، لذلك قال عن المسلمين حين يدفعون الأعداء ويردوهم وقد نصرهم الله ومكن لهم سبل الحكم، ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾⁽²⁰¹⁾.

المطلب الثاني: بداية الفتوحات في بلاد ما وراء النهر وربطها بفتح خراسان

أولا: بداية الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر

فإن مسألة الفتح في هذه البلاد تعود إلى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (13 - 23 هـ / 634 - 644 م)، حين أمر المسلمين بالفتوحات في الإمبراطورية الفارسية وخلع الناس من مظالمهم، فدفع لواء المسلمين إلى الأحنف بن قيس⁽²⁰²⁾ متوجها ببلاد خراسان حتى فتحها إلى أن وصل بلاد طخارستان⁽²⁰³⁾، وكتب بها إلى الخليفة واستبشر الخليفة خيرا بهذا الفتح العظيم غير أنه قال: "لوددت أني لم أكن بعثت إلى

(200) سورة الحج، الآية رقم: (40)

(201) سورة الحج، الآية رقم: (41)

(202) هو الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة بن النزال، انظر ترجمته: ابن سعد، الطبقات، (7/ 64-65). ولأه عمر بن الخطاب على خراسان ففتحها سنة 22 هـ / 643 م. انظر: الطبري،

تاريخ الرسل، (4/ 168)

(203) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 535). الطبري، تاريخ الرسل، (2/ 546 إلى 550)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

خراسان جندا، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار"⁽²⁰⁴⁾، وخشى الخليفة عمر أن يتقدم الأحنف بن قيس في بلاد فارس والترك، فمنعه وكتب إليه: "أما بعد، فلا تجوزن النهر (جيحون) واقتصر على ما دونه، وقد عرفتُم بأي شيء دخلتم على خراسان فداوموا على الذي به يدم لكم النصر، وإياكم أن تعبروا فتتقضوا"⁽²⁰⁵⁾.

استمر الوضع هكذا حتى استشهد عمر بن الخطاب واختار المسلمون عثمان بن عفان (23هـ / 644م) خليفة لهم، فحقق بمسؤولية عمر لكنه لم يفرط في الإنجاز العظيم، مع أنه سمح للمسلمين بالإنسياح في بلاد فارس، وكان يرى أن خير وسيلة لتأمين الفتوحات الإسلامية الذي قام به عمر بن الخطاب هو القضاء التام على الإمبراطورية الفارسية، ولا سيما عند معرفة يزيدجر الثالث⁽²⁰⁶⁾ بفراره إلى بلاد ما وراء النهر والتجأ إلى ملك الترك يستنصره وطلب العون من سكانها، ونقل نار خراسان إلى بلاد ما وراء النهر واطمأن في نفسه وأراد أن يستنصر بهم لتضييق المسلمين⁽²⁰⁷⁾، فتعاون الملكان في مقاومة فاشلة حيث جندا جيشا وهاجما المسلمين في خراسان، فقام الأحنف بن قيس الذي عينه الخليفة عثمان بن عفان مرة ثانية على خراسان لدفع ذلك النار في بلاد خراسان، وهو القائد المخطط الذي كان يعرف

(204) ابن الأثير، الكامل، (2 / 437)

(205) شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط / 1، 1423هـ، (19 / 275)

(206) ملك الفرس، هو يزيدجر الثالث (631-651م) اسمه يزيدجر بن شهريار بن برويز بن أنوشروان، وهو آخر ملوك الدولة الساسانية، وحفيد ملك الدولة الساسانية كسرى الثاني (590-628). انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط - 15، 2002م (1 / 276)

(207) البلاذري، فتوح البلدان، (ص / 371)، الطبري، تاريخ الرسل، (4 / 116 وما بعدها)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

طبيعة هذه البلاد من قبل، فحقق فتح مدنها حتى وصل بلاد خوارزم⁽²⁰⁸⁾ (إحدى أقاليم بلاد ما وراء النهر وقد شرحناه في التمهيد)، فلم يكن من الترك كبير حرب بل عادوا إلى بلاده مقتنعا بما تناهى إلى أسماعه من أن المسلمين لن يعبروا نهر جيحون، بناء على تعليمات عمر بن الخطاب، ولكنه دانت البلاد في الضفة الجنوبية لنهر جيحون للمسلمين، بل بدأت جيوش المسلمين تعبر هذا النهر حتى صالحوا الأتراك.⁽²⁰⁹⁾

وفي الفترة الأخيرة وبعد اغتيال عثمان بن عفان انشغل المسلمون لفترة طويلة بالفتن والإضطرابات المتلاحقة التي اجتاحت النصف الشرقي من الدولة الإسلامية⁽²¹⁰⁾، الأمر الذي لم يسمح لهم بالتوسع في فتوحاتهم حتى تولى الخلافة معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ / 687-706م)، وبدأت الدولة الأموية بخلافته بعد وفاة الخليفة الرابع علي بن أبي طالب.

ثانيا: ربطها بفتوح خراسان

فإن التاريخ في الحقيقة واصل بين أعوام، وجغرافية بين أخرى، فالعلاقة المتبادلة القوية بين الجغرافية التي تمثل علم المكان والتاريخ الذي يعتبر علم الزمان، والواقع أنه لا يمكن فصل عاملي المكان والزمان عن بعضهما. حينما يحدث بعض الفتوحات الإسلامية في جغرافية فلا بد من توضيح الجغرافية في جوانبه والفتوحات

(208) فكان عثمان بن عفان ولي سعيد بن عثمان على خراسان، فتوجه سمرقند وبخارى فصالح معهم وكان ذلك سنة 31 هـ. انظر للتفصيل: البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 350). ابن الجوزي، المنتظم، (5/ 15-40). ابن الأثير، الكامل، (3/ 19-21)

(209) اليعقوبي، تاريخ، (2/ 116). ابن كثير، البداية والنهاية، (7/ 146)

(210) يقول عبد الشافي عبد اللطيف بأن الفتن الداخلية الشديدة في عهد علي لم يجعلهم يترك شبرا من الأرض التي فتح المسلمون. بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي. (ص/ 260). نفس المؤلف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، (ص/ 210)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

التي حدثت قبلها. فلذلك من الضروري قبل أن نصل الكلام في فتوحات بلاد ما وراء النهر نبحت الكلام عن حركة الفتح الإسلامي لإقليم خراسان، والذي مهد الطريق لفتح بلاد ما وراء النهر.

كانت منطقة بلاد ما وراء النهر أرضاً ممهدة لقبول الدعوة الإسلامية وانتشارها فيها فقد وحدث هذه المنطقة وبسهولة لما يمتاز به الإسلام من تعاليم سمحة عن المعتقدات الأخرى وبالتالي اعتنقوه بسرعة وبسهولة.

حيث كانت بلاد ما وراء النهر تكثر بها العقائد القديمة الوثنية وغيرها من البوذية والزرادشتية وعبادة الكواكب وبعض المعتقدات الأخرى التي أشار الباحث لها في تمهيد هذا البحث، فلذلك لم يكن الفتح الإسلامي في عهد بني أمية مجرد توسع في الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية وبسطا للسيادة وأديانها وحضارتها، ولكنه كان فتحاً عقائدياً يستهدف نشر العقيدة الإسلامية بالدعوة والترغيب لا بالقهر والترهيب.

المطلب الثالث: فتوحات الدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر

بدأت الدولة الأموية بخلافة معاوية بن أبي سفيان سنة (41هـ / 687م) الذي كان والياً على الشام لأكثر من عشرين سنة متصلة في زمن خلافة كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان على التوالي، فعاد الفتوحات الإسلامية لا سيما في الشرق الأوسط حتى لا يضيع المسلمون ما حصله في هذه المناطق، ويحرص بنشر دين الإسلام وتخلصهم عن مظالم حكامهم، ولم يكن هذا سهلاً لمعاوية بعد الفتن الداخلية الشديدة مباشرة، وكان الأعداء لا زالوا يريدون ضعف المسلمون حتى لا يقدرُوا على الفتوحات الخارجية.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

كانت الأحوال في الجهة الغربية (بلاد الروم) من الدولة الإسلامية مختلف تماماً عن الجهة الشرقية (العراق بلاد ما وراء النهر) حيث أن الخصم في الجهة الشرقية كان قبائل متفرقة وعمالك إن وجدت، فهي قزمية تقع على هامش النظام الدول، فخوفاً من الوقوع في التشتيت والتقسيم بين جهتين، اهتموا الأمويين في الجهة الغربية أكثر من الشرقية، ولا يعني هذا أن الدولة الأموية أكملت واستهانت فيما يتعلق بالجهة الشرقية، كل ما في الأمر هو أنها ارتأت أن يدار الفتح ونشر الإسلام بها بأسلوب آخر غير المستخدم في الجهة الأخرى، وكان ذلك فتوحات مقسمة التي بدأت بالعراق واستمرت بالسند وخراسان وبلاد ما وراء النهر.

تمسك معاوية الموقف الشديد، وكان يرى أن الهجوم على العدو هو أنجح وسيلة للدفاع، فعين عبيد الله بن زياد⁽²¹¹⁾ على خراسان الذي حكم هذه البلاد (53 هـ / 672 م)، والذي نجح في التصدي لحركات التمرد والعصيان التي أعقبت الفتنة الكبرى وبدأ يتطلع إلى فتح بلاد ما وراء النهر، فعبر نهر جيحون إلى بخارى وحدث القتال معهم حتى اضطرت ملكة بخارى⁽²¹²⁾ بطلب الصلح وأداء الجزية سنوية تؤدي للمسلمين في كل عام.⁽²¹³⁾

والملاحظة الرئيسية على عهد معاوية، أنه لم يشهد فتوحات مثيرة في هذا الجانب لأجل قبائل وممالك المختلفة في بلاد ما وراء النهر، ولم تتم فيه إضافة مساحات

(211) هو أبو حفص، عبيد الله بن زياد بن أبيه، ولي البصرة سنة خمس وخمسين هـ، وله ثنتان وعشرون سنة، وولي خراسان، كان أول عربي قطع جيحون وافتتح بيكند. أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (3/

545). البلاذري، أنساب الأشراف، (5/ 374). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، (3/ 18)

(212) هي خاتون، وخاتون ليست اسم بل هي كلمة صغدية شاعت فيما بين الترك والمغول، بمعنى ملكة أو السيدة. أنظر: بارتولد، تاريخ الترك، (ص/ 50)

(213) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 543). ابن الجوزي، المنتظم، (5/ 267). النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 64). فامبري، تاريخ بخارى، (ص/ 57-58)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

كبيرة إلى رقعة الدولة الإسلامية التي ورثتها عن الخلفاء الراشدين، لكنه لم يجيز للعدو أن يقبض على ما فتحه المسلمون من قبل، وهذه الملاحظة هي ليست بعيدة عن الحقيقة إذ أن الفتوحات الإسلامية من أجل صعوبتها حولت إلى الجهة الغربية. توقفت حركات الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر بسبب المنازعات التي دارت حول الخلافة الإسلامية والفتن الداخلية التي دارت في الجهات المختلفة ما بين فترة (60-72هـ/ 682-692م) اثني عشر أعوام، وضعفت فكرة فتوحات الجهاد سنوات طويلة واختلف المسلمون بينهم حتى استولى عبد الملك بن مروان الحكم⁽²¹⁴⁾ واستحيا حركة الفتوحات الإسلامية، ونجح بالقضاء على الثورات التي كانت تدور حول المسلمين.

في أواخر عام (73هـ/ 693م) عندما قضى الخليفة عبد الملك بالثورة الداخلية⁽²¹⁵⁾ التي كانت تجري منذ أكثر من عشرين سنة، والتي أوقفت حملات المسلمين وأثرت على قدرة المركز الخلافي على إرسال المساعدات للمسلمين الذين كانوا يواجهون موقفا قاسيا في شمال أفريقيا وغيرها، وقد خسروا بعض المناطق بعد أن فتحوها من

(214) عاش (26هـ - 86هـ / 646 - 705م) الخليفة الخامس من خلفاء بني أمية والمؤسس الثاني للدولة الأموية. استلم الحكم بعد أبيه مروان بن الحكم تـ 65هـ، وكانت خلافته تسع سنوات. الطبري، تاريخ الرسل، 5/ 610. عبد الحليم عويس، بني أمية بين السقوط والانتحار، ط / 1، القاهرة سويرلر للنشر، (ص / 25) (215) ثورة عبد الرحمن بن الأشعث، انظر: الطبري، تاريخ الرسل، (6 / 346). محمد ضياء الدين الرئيس، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، ط / 2، 1969م. (ص / 214 - 215 - 216). ثورة عبد الله بن زبير الذي وقف ضد الحكم الأموي بعد قتل حسين بن علي، فسيطر على مكة ومعظم الحجاز والبصرة والكوفة، حيث يهدف من وراء المعارضة أن تعود الأمة إلى حياة الشورى دون أن يتحول الخلافة إلى وراثة وملك، فوقع القتال بين يزيد وابن الزبير، وبين مروان بن الحكم وابن الزبير، حتى مات ابن الزبير واجتمع المسلمين على عبد الملك بن مروان. انظر: الصلابي، خلافة امير المؤمنين عبد الله بن الزبير، (ص / 73-89). ثورة شبيب بن عتاب بن ورقاء، الطبري، تاريخ الرسل، (6 / 272 - 273). ابن الأثير، الكامل، (3 /

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

أجلها. ففكر الخليفة بأن الدولة استعادت قوتها، وأنها تستطيع أن تستأنف جهادها وتعلي إرادتها، وتستطيع أن تعيد مكانة الإسلام إلى ما كان ويطور دعوة الإسلام ويعيد هيبتها.

استمر عبد الملك بن مروان في الفتوحات في أنحاء العالم وتوجه إلى الجهة الشرقية (خراسان وبلاد ما وراء النهر)، وعين الحجاج بن يوسف الثقفي⁽²¹⁶⁾ واليا على العراق سنة (78هـ / 698م) بعد أن لم يثبت أمية بن عبد الله بن خالد الأموي⁽²¹⁷⁾ أحوال خراسان إلى أقصى حدها، ولم يقض على المنازعات ولم تبدأ فتوحات جدية⁽²¹⁸⁾. وكان عبد الملك بن مروان يريد إنهاء العدو من خراسان وبلاد ما وراء النهر، فقام بتعيين الحجاج لهذا الإقليم، وهو رجل شديد في الأمور. ففي هذا المجال قام الحجاج بإختيار خيرة رجال عصره، عرف بالشجاعة والإقدام، وهو

(216) هو الحجاج بن يوسف، أبو محمد الثقفي، افتتح بلاد الهند والسند حتى وصل إلى بلاد الصين، توفي في سنة 95هـ، وكان عمره 55 سنة. أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، دار أحياء التراث، (9 / 136) وبعده. وقد وصفه الذهبي بصفات غليظة: أهلكه الله في رمضان، سنة خمس وتسعين، كهلا، كان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (4 / 343)

(217) كان أمية بن عبد الله رجلا يحب العافية ولا يميل إلى الإستفزاز، وكان يفضل الصلح بالقوة مع أن بإمكانه أن يتفوق على العدو، وهذا من أسبابه عزله أيضا، لأن خراسان كان يحتاج رجلا شديدا. الطبري، تاريخ الرسل، (6 / 315) وانظر ترجمته: جمهرة أنساب العرب، (ص / 218). الذهبي، سير أعلام النبلاء، (3 / 35)

(218) أن أمية بن عبد الله انتظمت الأحوال من ما كان من قبل لكن لم يتحسنه كما أراده الخليفة، وكان الخليفة يريد أن يشتد على العدو ويستقر الأحوال فيه، فاختر من أشد رجاله. انظر: محمد ضياء الدين، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية. (ص / 210-211)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المهلب بن أبي صفرة الأزدي⁽²¹⁹⁾ الذي عبر نهر جيحون وبدأ بالقتال في جميع أنحاء بلاد ما وراء النهر⁽²²⁰⁾ حيث أنه بعث أولاده إلى جوانب شتى للمقاومة ضد العدو⁽²²¹⁾، فحاصروا الحدود من الدولة الشرقية وصالحهم وأعاد للدولة الأموية هيبتها.

مات المهلب عام (82هـ / 701م)⁽²²²⁾، فعين الحجاج أبنائه واحدا بعد آخر لكن لم يستمروا مدة تعيينهم فعزلوهم⁽²²³⁾. أن المسلمين إلى هذه المرحلة من الفتوحات في بلاد ما وراء النهر قد نجحوا بالفعل في جعل هذه البلاد ثغرا إسلاميا، يحاربون مع العدو ويشيعون بين صفوفهم الفرقة، وفي نفس الوقت كان المسلمون قد حققوا طبيعة هذه البلاد المناخية والجبلية⁽²²⁴⁾، إلى أن الحجاج وجد قائدا لا ينسأه التاريخ أبدا، الذي سيتم على يديه فتح بلاد ما وراء النهر وبخارى وسمرقند إلى أن يصل حدود الصين.

(219) واسم أبي صفرة ظالم بن سراق ويكنى المهلب أبا سعيد. ادرك عمر ولم يرو عنه شيئا وقد روى عن سمرة بن جندب وغيره. وولي خراسان ومات بمرو الروذ سنة ثلاث وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان واستخلف على خراسان ابنه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة فأقره الحجاج بن يوسف. ابن سعد، الطبقات، (93 / 7)

(220) انظر للتفصيل: الطبري، تاريخ الرسل، (6 / 386). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (3 / 481-482) (221) أرسل المهلب ابنه يزيد إلى بلاد الختل، وأرسل ابنه الثاني حبيب إلى رابنجن، فنجحوا بالصلح مع أعدائهم، بعد وفاة أبيهم، عين الحجاج أبنائه مكان أبيه ففتحوا من أطراف خراسان وبلاد ما وراء النهر. ابن الأثير، الكامل، (3 / 481) ناطور، شحادة علي، تجديد الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، دار الكندي، 1996م. (ص / 167) الكتاب غير متوفر على الانترنت

(222) الطبري، تاريخ الرسل، (6 / 354)

(223) الطبري، مرجع سابق، (6 / 393-394)

(224) حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية، (ص / 115)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

المطلب الرابع: إتمام الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي
لقد اشتهر في المشرق كثير من قادة المسلمين حيث أنهم فتحوا الفتوحات لكن لم يدركوا خلفاء الدولة الأموية أعمالهم وجهودهم كاملة، فأدرك والي العراق الحجاج بن يوسف مدى ما يتمتع به قتيبة بن مسلم من حنكة سياسية في العلم والبصيرة، ومن بعد نظر من شجاعة صارفة لا تعرف الوجل، وقد لاحظ الحجاج ذلك أثناء الثورات⁽²²⁵⁾ الذي قام قتيبة بن مسلم⁽²²⁶⁾ بالقضاء عليها من حسن خطة سياسية عسكرية.

كانت الثغور الشرقية معرضة دائماً لهجرة الأتراك الطبيعية من آسيا الوسطى وغير محفوظة من غاراتهم، ولهذا فكر الحجاج جدياً في حد هذه الغارات، وبذلك تصبح هذه البلدان المجاورة لهم، فولى قتيبة بن مسلم ولاية خراسان عام (86هـ / 705م)، وطلب منه أن يقوم بفتح بلاد ما وراء النهر، وفي هذا يقول المؤرخ

(225) مثل ثورة شبيب الخارجي عام (77هـ - 696م) حينما انبرى قتيبة للحجاج مبدياً وجهة نظر صارمة في حرب الخوارج ومخطئاً الخطة التي ينتهجها الوالي في وقت يحجم فيه كثير من أصحاب الرأي عن مواجهة الحجاج في أرائه. الطبري، تاريخ الرسل، (6 / 272-273). ابن الأثير، الكامل، (3 / 455) بسام العسلي، قادة فتح بلاد الشام والعراق (قتيبة بن مسلم)، (ص / 510)

(226) هو الأمير أبو حفص، قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي.. ولد في عهد معاوية عام (49هـ - 669م) نشأ في الدولة مروانية، فولي "الري" في أيام عبد الملك بن مروان وولي خراسان في أيام الوليد بن عبد الملك، مات قتيبة سنة (96هـ - 715م) في عهد سليمان بن عبد الملك بسبب بعض الاختلافات مع الخليفة. كان أحد الأبطال والشجعان، من أعظم القادة الفاتحين، ومن ذوي الحزم والدهاء والرأي والغناء، وهو الذي فتح خوارزم وبخارى وسمرقند، وكان أهله قد نقضوا وارتدوا، وفتح فرغانة وبلاد الترك ووصل حدود الصين، واستمرت ولايته ثلاث عشر سنة وكان فاتح خراسان وبلاد ما وراء النهر. وكان من مفاخر العرب، انظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط / 15 - 2002م. (5 / 189). انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (4 / 410). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، (3 / 74)

الْجُهُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

بارتولد⁽²²⁷⁾: "أحرز العرب أهم انتصاراتهم في آسيا الوسطى أثناء ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان".

أولاً: عوامل فتوحات قتيبة بن مسلم على بلاد ما وراء النهر

قبل أن ندخل في فتوحات قتيبة بن مسلم نلقي النظر بأهم العوامل التي أداه قتيبة بن مسلم الباهلي إلى فتح هذه البلاد.

العامل الأول: نشر الإسلام وتعاليم الدين في بلاد ما وراء النهر، يوجب الإسلام على أتباعه نشر تعاليم الدين الإسلامي بين غيرهم وتوفير العدل بينهم في انحاء العالم، انطلاقاً من قوله تعالى، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾⁽²²⁸⁾، ولقد فات الرسول إلى الرفيق الأعلى، فهذه مهمة أمة محمد ﷺ أن يتحرك إلى الأمام ويمضي بمهمة تركها الرسول، فقام بذلك الخلفاء الراشدون المهديون ومن تبعهم من الخلفاء والقواد، وهناك العديد من الآيات القرآنية تدل على عالمية رسالة الإسلام ووجوب تبليغه للناس من ترك حرية اعتناقه لهم، انطلاقاً من وصية النبي لمن يبعث من قواده، فإن دخل أهل تلك البلاد في الإسلام فذاك، فإن أبوا عرض عليهم دفع الجزية، فإن أبوا فالقتال حتى يدخلوا في سلطان المسلمين، ليتمكن المسلمون من دعوتهم إلى الإسلام دون أن يقف في طريقهم أحد، ثم بعد ذلك من شاء منهم أن يدخل الإسلام ومن شاء أن يبقى على

(227) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، (ص / 37)

(228) سورة المائدة، الآية رقم: (67)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

كفره فعل⁽²²⁹⁾، ولكن يبقى تحت حكم المسلمين ويدفع لهم الجزية فيعصم دمه وماله.

العامل الثاني: التقسيم الطبقي المجتمعي على أهل وراء النهر من الحكام، والذي أدى إلى الظلم والفقر وصلب الحقوق وحتى الحروب بين أهليهم. فكان أهل بلاد ما وراء النهر ينتظرون دينا يعطون حقوقهم الأصلية وينهونهم عن الظلم والحكومات الدولية المسيطرة عليهم، وهذا من أهم الأسباب التي جعل المسلمون يفكرون في إعطاء حقوقهم الأصلية إلى أهل هذه البلاد. هي نفس القاعدة التي ذكرناها في أسباب تشريع الجهاد وهو تخليص الناس من الظلم الواقع عليهم من قبل ملوكهم وأكابرهم الذين عمدوا إلى استبعاد الناس واستغلال مصادر الثروة وتحقيق المكاسب الشخصية وانتزاع الحرية منهم.

العامل الثالث: نقض عهود الأتراك مع المسلمين، أن الأتراك وجدوا فرصة بعد مقتل المهلب بن أبي صفرة وبدأوا يظلمون الناس في تلك المناطق، ونقضوا العهود التي تمت مع المسلمين، فقام قتيبة بذلك حيث أنهم توقعوا الفرقة بين الإمارات في هذه المنطقة فدب النزاع بينهم⁽²³⁰⁾، وهذا النزاع ساعد المسلمين على فتح كل إمارة على حدة، وإن كان الأتراك قد جمعوا أمام المسلمين جميعا بالإتفاق لكان فتحهم أصعب مما كان.

(229) مفهوم الحديث، أخرجه البخاري، (4/ 97)، رقم الحديث: (3159)، وصحيح مسلم، (3/ 1357)،
رقم الحديث: (1731). وأبو داود، (3/ 168)، رقم الحديث: (3043)، وأخرجه الترمذي، (4/ 146)،
رقم الحديث: (1586)

(230) بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، (ص/ 303)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

العامل الرابع: ارتداد أهل بخارى، فقد ذكر النرشخي في تاريخه بأن "أهل بخارى في كل مرة يسلمون ثم يرتدون حين يعود العرب"⁽²³¹⁾، وكان قتيبة بن مسلم قد حملهم على الإسلام ثلاث مرات ثم عاد فارتدوا وكفروا، فكانوا يقبلون الإسلام في الظاهر ويعبدون الأصنام في الباطن، فرأى قتيبة من الصواب بعد المحاولات الأربعة أن يأمر أهل بخارى بأن يعطوا نصف بيوتهم للعرب ليقيموا معهم ويطلعوا على أحوالهم فيظلوا مسلمين بالضرورة.

عندما تولى قتيبة خراسان فخطب الناس بالخطبة الموجزة، ويوجهوهم برسالتهم، ومسؤولياتهم تجاهها وأهاب بهم أن يوطنوا أنفسهم على تحمل المشقة في سبيل الله، وأن يسيروا في طريق إسلامهم طريق الجهاد، والعزة في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة، وشرع قتيبة في الفتوحات وفتح منطقة بلاد ما وراء النهر ثم عبر نهر سيحون وفتح أقاليم كبرى، حتى وصل حدود الصين.

سار قتيبة على خطة ما كان عليه المهلب، وهي خطة الضربات السريعة المتلاحقة على الأعداء، كي لا يترك لهم الفرصة أن يتجمعوا فيها، غير أنه امتاز على المهالبة بأن كان يضع لكل حملة خطة ثابتة ويحدد لها وجهة معينة، ويجتهد في الوصول إلى ما يقصده، غير عابئ بالمصائب معتمدا على الله ثم على بسالته النادرة، وروح القيادة التي امتاز بها وإيمانه العميق بالدين الإسلامي.

ثانيا: مراحل فتوحات قتيبة بن مسلم:

ولقد مرت خطوات قتيبة في فتح تلك البلاد على مدى عشر سنوات تقريبا (86-96هـ/705-715م) عبر مراحل أربعة - كما قسم المؤرخون، حقق في كل منها

(231) تاريخ بخارى، (ص/ 77)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

ناحية واسعة فتحا نهائيا، وثبت أقدام المسلمين والحضارة الإسلامية فيها، وهذه المراحل كالتالي:

المرحلة الأولى: فتح طخارستان والصغانيان (86-87هـ / 705-706م)

توجه قتيبة من خراسان إلى فتح بلاد ما وراء النهر، فسار غازيا إلى إقليم طخارستان، ونظرا لأهميته فقد رأى قتيبة أن يحكم هذه البلاد فبدأ بتأمينه حتى فتح مدينة الطالقان والصغانيان بدون أي صعوبات واجهه، فصالح معهم مقابل دفع فدية⁽²³²⁾، وكان من خطة قتيبة أنه كان يريد أن يضعف العدو بإيجاد التخلف ما بينهم⁽²³³⁾.

وكانت تلك بداية ناجحة من قتيبة، فبدون توكيد أقدامه في طخارستان (لأن طخارستان من البلاد التي بين ما وراء النهر وخراسان، ولها أهمية بالنسبة لتأمين أي من الدولتين) لم يكن ممكنا أن يمضي لفتح ما وراء النهر. وقد أصبح يتمتع بهيبة كبيرة في تلك البلاد، فما إن يسمع الملوك بمسيره إليهم حتى يسرعوا إلى لقائه وطلب الصلح.

المرحلة الثانية: فتح بيكند وبخارى (87-90هـ / 706-709م)

اتفق معظم الروايات على أن أول من اجتاز النهر من المسلمين إلى جبال بخارى هو عبيد الله بن زياد والي الخليفة معاوية على خراسان سنة (54هـ / 674م)، وقد

(232) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 553-554). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (4 / 9-10). ابن

خلدون، تاريخ ابن خلدون، (3 / 74)

(233) بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، (ص/ 303)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

دارت بين ملكة بخارى⁽²³⁴⁾ وبينه حروب انتهت بالصلح على مال تؤديه⁽²³⁵⁾، لكن فتح بخارى لم تحدث دفعة واحدة لصعوبة فتحها، وهي من أطول فتوحات قتيبة فكان يحتاج من قتيبة بن مسلم أن يقوم بتخطيط فتح كل مدينة على حدة ليصل بخارى، نلخصها فيما يلي:

فتح بيكند (87هـ / 706م): وصل علم قتيبة أن أسرى المسلمين في قبضة نيزك - ملك طرخان -، وهم يعانون، فكتب إليه مطالباً إياه بإطلاق سراحهم، وهدده في كتابه، فخاف ملك بيكند وأطلق سراحهم وبعث بهم إلى قتيبة⁽²³⁶⁾، وبعد ذلك وجه إليه قتيبة كتاباً آخر يدعوه فيه إلى الصلح والأمان، فصالحهم لكن أهلهم نقضوا الصلح.

اتخذ القائد قتيبة خطوة جريئة في فتح بيكند عام (87هـ / 706م)، التي كانت أصبح من أعصى المدن على الجيوش الإسلامية بسبب تحالف أهلها مع ملك الصغد⁽²³⁷⁾، وكان المسلمون في أشد الحال في هذه الفتحة، إذ كانوا قد أخذوا بالطرق، فلم ينفذ له رسول ولم يصل إليه رسول شهرين حتى أتى الخبر إلى الحجاج فأمر الناس بالدعاء في المساجد، ونهض قتيبة يقاتل العدو فهزموهم عدوهم روكبهم المسلمون قتلاً وأسراً، وفي النهاية وضع حاكم بيكند حامية من المسلمين وانسحب، لكن أهلها غدروا بالمعاملة التي قام بها مع المسلمين، يقول أن قتيبة بن مسلم أخبر بأن أهل الحصن تمردوا وقتلوا العامل، فأمر قتيبة العسكر قائلًا: "أذهبوا وانهبوا بيكند فقد

(234) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 23)

(235) الطبري، تاريخ الرسل، 5/ 295. البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 401) ارمينوس فامبري، تاريخ بخارى، (ص/ 57-58)

(236) الطبري، تاريخ الرسل، (6/ 428). محمد علي قطب، من أبطال الفتح الإسلامي، دار الدعوة، ط/ 1، 1427هـ - 2006م. (ص/ 285)

(237) الطبري، تاريخ الرسل، (6/ 430) وما بعدها. النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 73)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

أبحث دمائهم وأموالهم⁽²³⁸⁾، وذلك أدى قتيبة أن يرجع ويأخذ المدينة عنوة، لكن قبل قتيبة الصلح الذي طلب منه أهل بيكند قبل أن يأخذ عليهم، فصالحهم بدلا من الأموال الضخمة، من الأواني والذهب والفضة ما لا يحصى، فقوي المسلمون واشتروا السلاح⁽²³⁹⁾. وأمر عليهم أحد من خير رجاله وتوجه بعد ذلك إلى بخارى⁽²⁴⁰⁾.

فتح بخارى (87 - 90هـ / 706 - 709م): وكان لفتح بخارى عدة أسباب، منها: أولا: كان ملك بخارى قد استعد لمجابهة احتمال هجوم قتيبة في أي ساعة وأي يوم، فأرسل يطلب الدعم من حلفائه الصغديون والأتراك ومن حولهم. ثانيا: أن أهل بخارى في كل مرة يسلمون ثم يرتدون حين يعود العرب منهم، أنهم يقبلون الإسلام في الظاهر ويعبدون الأصنام في الباطن⁽²⁴¹⁾، حينما علم قتيبة ذلك حاصر بخارى.

غزا قتيبة بن مسلم مدينة بخارى لكنه لم يستطع فتحها بسبب هجوم أهل الصغد وعدم معرفة الخريطة للمدينة، فكلف الحجاج بعض الفنيين برسم الخريطة وأرسله إلى قتيبة⁽²⁴²⁾. وجه قتيبة بخارى مرة أخرى سنة (90هـ / 709م) فاستطاع فتحها رغم استعانة ملك بخارى بملوك الترك⁽²⁴³⁾.

(238) ابن الأثير، الكامل، (4 / 10)

(239) الطبري، تاريخ الرسل، (6 / 430). ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (6 / 279)

(240) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص / 47)

(241) وكان قد ارتد أكثر منهم بعد فتوحات قتيبة. النرشخي، تاريخ بخارى، (ص / 77)

(242) محمد علي قطب، من أبطال الفتح الإسلامي، (ص / 289)

(243) وذلك أن ملك بخارى نيزك نقض الصلح مع قتيبة وهاجم عليهم حين أذن له بالرجوع إلى طخارستان، وقال لأصحابه: غزوا السير. الطبري، تاريخ الرسل، (3 / 681). ابن الأثير، الكامل، (4 / 23).

محمد علي قطب، من أبطال الفتح الإسلامي، (ص / 292)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

يقول النرشخي⁽²⁴⁴⁾: "رأى قتيبة من الصواب أن يأمر أهل بخارى بأن يعطوا نصف بيوتهم للعرب ليقيموا معهم ويطلعوا على أحوالهم فيظلوا مسلمين بالضرورة ، فأظهر الإسلام بهذه الطريقة وألزمهم بأحكام الشريعة وبنى المساجد وأزال آثار الكفر ورسم المجوسية، وكان يبذل في ذلك جهدا عظيما، ويعاقب كل من قصر في أحكام الشريعة، وبنى المسجد الجامع وأمر الناس بأداء صلاة الجمعة بما في ذلك أهل بخارى فليجعل الله تعالى ثواب هذا الخير ذخيرة آخرته.

المرحلة الثالثة: فتح خوارزم وسمرقند (91-93هـ / 710-712م)

كانت الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر لها تاريخ منذ خلافة عمر بن الخطاب، لكن لشدة صعوبة البلاد لم يصل الفتوحات إلى آخر حده، فقام الخليفة التالي عثمان بن عفان بمواصلة تلك المحاولة، وقام بتعيين سعيد بن عثمان⁽²⁴⁵⁾ ففتح سمرقند⁽²⁴⁶⁾، وبعد ذلك تأخر الأمر بسبب الفتن والاختلافات الداخلية إلى أن قضى عليها قتيبة بن مسلم. ففي أثناء فترة الفتح استغرقت حوالي ثلاث سنوات، واستطاع قتيبة أن يبسط السيادة الإسلامية على كل ما وراء نهر جيحون، فوجه قتيبة جيشه لفتح خوارزم وذلك باستدعاء ملك خوارزم الذي اختلف مع أخيه والذي

(244) تاريخ بخارى، (ص / 77)

(245) سعيد بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، توفي نحو سنة 62 هـ (682م) وال من الفاتحين نشأ في المدينة وبعد مقتل أبيه وفد على معاوية فولاه خراسان سنة (56 هـ - 675 م) ، ففتح سمرقند وأصبحت عينه بها وعزل عن خراسان سنة (57هـ / 676م)، ولما مات معاوية انصرف إلى المدينة فقتله أعلاج كان قدم بهم من سمرقند. انظر ترجمته، ابن سعد، الطبقات، 3 / 53. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة،

(3 / 95). الزركلي: الأعلام، (3 / 151)

(246) البلاذري، فتوح البلدان، (ص / 401-402)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

نقض الصلح مع قتيبة⁽²⁴⁷⁾، وكان يستبد في المملكة والذي عاث في الرعية فسادا، فقاتل معه وعقد بينه وبين ملك البلاد صلحا.

فكان إقليم خوارزم بعد ذلك مركزا لحركات عليمة هائلة استمدتها موقعه الجغرافي الإستراتيجي وتشجيع السلاطين والأمراء لحركة العلم معا، وكان كل ذلك بفضل فتوحات قتيبة بن مسلم وتأمينه، وتعيين العلماء في المدارس والجامعات.

بعد فتح خوارزم توجه المسلمون إلى سمرقند حيث حاصروا المدينة شهرا كاملا حتى ضيقوا واستعانوا بالملوك لمواجهة قتيبة بن مسلم، فوقع القتال واشتد، فلما رأى أهل سمرقند شدة الحصار ونجاح قتيبة في عبور أبواب المدينة طلبوا الصلح، فوافق قتيبة بن مسلم وصالحهم وذلك في سنة (93 هـ / 712 م)⁽²⁴⁸⁾، فقام المسلمون بتحويل عدد من المعابد إلى المساجد لتأدية الصلاة، وتعليم الدين الإسلامي لأهل البلاد.⁽²⁴⁹⁾

نجح قتيبة بن مسلم بفتح خوارزم وسمرقند وفرض سيطرته الكاملة على حوض نهر جيحون، هذا وقد آن الأوان للمسلمين بعد هذا الجهاد الطويل، أن يأخذوا قسطا من الراحة التي كانوا في حاجة إليها، فرجعوا إلى خراسان، وقضوا فصل الشتاء بها.

(247) ابن كثير، البداية والنهاية، (9/ 100). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 3/ 79. ابن الأثير، الكامل، (46 / 4)

(248) الطبري، تاريخ الرسل، (4/ 15-16). البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 555). وافق قتيبة بالصلح على جزية يؤدونها للمسلمين كل عام، وأن يسلموا له ثلاثين ألفا من أهلها ليس فيهم صبي، ولا شيخ، ولا عيب رهنا، وأن يخلوا المدينة من المقاتلين، وأن يبنوا فيها مسجدا، وبعد أن اطمأن قتيبة على المسلمين استخلف على المدينة من رجالها وعاد بنفسه إلى مرو (خراسان). انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، (3/ 80). الذهبي، تاريخ الإسلام، (2/ 1040)، وقد ذكرها ابن كثير في سنة 92هـ، البداية والنهاية، (9/ 102). محمد قطب، من أبطال الفتح الإسلامي، (ص/ 299)

(249) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، (ص/ 93)

المرحلة الرابعة: فتوحات الممالك السيوونية (94-96هـ / 713-715م)

وبهذا لم تتوقف فتوحات قتيبة بعد أخذ قسط من الراحة في فصل الشتاء، بل توجه نحو حدود الصين لإخضاع المقاطعات الواقعة على نهر سيحون⁽²⁵⁰⁾، وذلك لأن ملكي الشاش وفرغانة تمالأ مع أهل سمرقند على قتال قتيبة بن مسلم وصدده⁽²⁵¹⁾، فكان لا بد من التأديب والردع والفتح ونشر الإسلام فيهما. فاقتتلوا مرارا ونجح المسلمون في فتح هذه البلاد وتيقن تأمين بلاد ما وراء النهر وجعلها آخر الحدود الإسلامية.⁽²⁵²⁾

بعد أن جعل قتيبة بن مسلم بلاد ما وراء النهر جزءاً من الدولة الإسلامية، جاءت له الخبر بوفاة الحجاج بن يوسف، فأرسل إليه الوليد بن عبد الملك باستمرار الفتوحات، فاستهل قتيبة عام (96هـ / 715م) بعبور نهر جيحون، واستعمل رجلاً على معبر النهر، ليمنع عودة الجنود إلا بإذنه⁽²⁵³⁾، وهذا يدل على ذكاء القائد أن لا يكتفي بفتح المدن بل ويستقر بتأمينها وتحقيق ما حصل فيها. وصل إلى قتيبة خبر وفاة الخليفة الوليد وتعيين سليمان بن عبد الملك على الخلافة عام (96هـ / 715م)، فكان يخالف مع سياسة قتيبة في هذا الجزء من الدولة الإسلامية، واستمر الخلاف حتى انتهى على وفاة قتيبة بن مسلم الباهلي عام (96هـ / 715م).⁽²⁵⁴⁾

(250) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، (3 / 85)

(251) الطبري، تاريخ الرسل، (6 / 500)

(252) ابن حوقل، صورة الأرض، (ص / 11)

(253) الطبري، تاريخ الرسل، (4 / 30). ابن الأثير، الكامل، (4 / 67)

(254) ابن الأثير، الكامل، (4 / 72). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، (3 / 86)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المطلب الخامس: بلاد ما وراء النهر بعد مقتل قتيبة بن مسلم

لم يكن قتيبة بن مسلم قائدا عسكريا فحسب، بل كان رجل دولة وصانع سياسة، وواضع نظم وإدارة، فعمل تسلمه أمور الولاية على القضاء على الخلافات العصبية التي كانت تعصف بالقبائل العربية وغيرها في خراسان وما وراء النهر، من جراء التنافس على الولايات، وجمع زعمائهم على كلمة واحدة تحت الجهاد، كما أنه عمل على كسب ثقة أهل خراسان الأصليين، فأحسن إليهم وقربهم وعهد إليهم بالوظائف فاطمأن الجميع إليه ووثقوا به وقيادته.

ولقد ظل الجهاد والاستعداد للغزو قائما في هذا الجانب من العالم إلى نهاية حكم بني أمية، ومما يلاحظ في هذا الميدان أن الترك الذين ظلوا ينزلو خارج دائرة سلطان المسلمين من بلاد ما وراء النهر كانوا بعد فتوحات قتيبة بن مسلم لا ينفكون يهجمون على المناطق التي دخلت في سلطان المسلمين، ويحرضون أهلها على الثورة والعصيان، فكان المسلمون يقومون بإخضاعهم وإعادة البلاج إلى الطاعة. (255)

ولا شك أن هذا الميدان كان من أشد الميادين قتالا، ولم يكن دار عنف وحرب أشد من بلاد الترك، ولكنها تحولت بعد الجهود المتوالية إلى دار السلام والإسلام، وأصبحت في فترة تالية كعبة العلم والعلماء، ونشأت فيها مراكز علمية وحضارية مثلا بخارى وسمرقند وغيرها. وخرجت هذه المدن عددا هائلا من العلماء استضاءت بهم الأمة، وملأت أسماؤهم سمع الدنيا وبصرها.

ولكن هناك بعض الآراء حول الفتوحات الإسلامية في انحاء العالم لا سيما بلاد ما وراء النهر أنها توقفت أو تأخرت بعد إلى حد ما، وذلك لأن الظروف والأوضاع

(255) الطبري، تاريخ الرسل، 6/ 605-607

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

مرت بها الدولة منذ ذلك حتى سقوطها سنة (132هـ / 750م) لم تسمح بذلك، فقد انشغلت الخلفاء والأمراء بالثورات التي بدأت تهب في وجهها من جديد، مثل ثورات الخوارج وثورة يزيد بن المهلب في عهد يزيد بن عبد الملك (101-105هـ / 719-723م)، كما أن الخلافات نبتت من جديد بين العرب في خراسان وما وراء النهر، وأدى كل ذلك إلى أن التناحر والتنافس والنزاع قد احتدم بين أبناء البيت الأموي أنفسهم، وأصبحوا يقاتلون بعضهم البعض، مما أضعفت هيبة الدولة في أعين الناس، كما أن هذه البلاد نفسها التي فتحها قتيبة بن مسلم لم تكف عن التمرد والثورة ونقض العهود، فأصبح جهد الخلفاء كلها الحصول على المنصب على إخضاع الثائرين والمتمردين وردهم إلى الطاعة والنظام⁽²⁵⁶⁾، وقد نجحت الدولة في ذلك فهي وإن كانت لم تضيف جديدا إلى فتوحات قتيبة في ما وراء النهر إلا أنهم لم تتراجع ولم تخسر أرضا واحتفظت بمواقعها ونهض الولاة في هذه المناطق بمسؤولياتهم وهيئوها لقبول الإسلام، وجعلوها جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي، وذلك بفضل بعض خلفاء الدولة الأموية وهما الخليفة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك.

المطلب السادس: فتوحات المسلمين في عهد عمر بن عبد العزيز والفرق بين سياسته وسياسة من سبقوه

كانت سياسة عمر بن عبد العزيز تختلف تماما عن الخلفاء الآخرين عن ما سبقوه وتتفق لحد كبير مع سياسة الخلفاء الراشدين، فمن المعروف أن الخلفاء الأمويين كانوا يقودون "سياسة إمبراطورية" تركز على الفتح والغنائم أكثر مما تركز على الدين، وكانوا يرون أن الهجوم خير وسيلة للدفاع عن الدولة، وأن الفتح والتوسع المستمرين ساعدتهما في نشر الإسلام، فلما جاء عمر بن عبد العزيز بالتزامه

(256) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 523-527)

الْجُهْدُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

الإسلامي والوصول إلى هدف نشر الإسلام، فجعل أدواته لتحقيق هذا الهدف تماما لما كان يستخدمه سابقوه بعض من الخلفاء الأموية، فاجتمع الجهاد ونشر الإسلام معا الذي قلما نجد في سابقيه، ومن ثم كان لا يسير الحملة إلا إذا اقتنع تماما بضرورتها الحربية، ثم أنه أعاد سياسة الفتح إلى القاعدة الإسلامية الرعية، فكان يدعوا الخصم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال، ونظرة إلى المسلمين جعل الرباط في الثغور أربعين يوما فقط، فكان يكره قتل أسرى العدو، ويتعامل مع الذميون معاملة العدل، فزاد دخولهم في الإسلام فرفع عنهم الجزية، وكان يفكر في الوضع ويطالع أفكار المجتمع، فيرى أن نشر الإسلام في بلاد خراسان وما وراء النهر لا يتم إلا بمنح العدالة والإنصاف، وإعطاء الناس كامل حقوقهم الذين أخذوا منهم، فكان يجد الولاة الذين يحكمون بالعدل ويتعاملون بالحكمة والموعظة الحسنة بدلا بالقسوة والبطش والشدّة⁽²⁵⁷⁾. كان عمر بن عبد العزيز يعزل كل من يرى بأن الحرب هي الوسيلة الوحيدة لنشر الإسلام، فقد بلغ له عن عصبية الجراح بأنه يقول: "لا يصلح أهل خراسان إلا بالسيف"، فأنكر ذلك عليه عمر وقام بعزله مباشرة⁽²⁵⁸⁾، وكان كل ذلك خلاف ما كان عليه السابقون.

بقيت بلاد ما وراء النهر غير مستقرة الأوضاع وكثرت التمردات لمدة إلى أن تولى نصر بن يسار⁽²⁵⁹⁾ على خراسان سنة (120هـ / 737م) من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك (105هـ / 724م - 125هـ / 744م) الذي بذل جهودا كبيرة في إعادة النفوذ الإسلامي إلى هذه البلاد، واتخذ السياسة السلمية والترغيبية نوعا ما حيث عقد

(257) عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، (ص/ 167-168)

(258) البلاذري، المصدر السابق، (ص/ 411)

(259) انظر للمزيد: ابن كثير، البداية والنهاية، (11 / 78)

الْجُهْدُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المعاهدات عديدة مع الحكام، وقام بإلغاء الخراج عن المسلمين⁽²⁶⁰⁾، وساعدت هذه السياسة الحكيمة على امتصاص غضب المتمردين فترة من الزمن، لكن بعد تولية يزيد بن الوليد الخلافة سنة (126 هـ / 743 م) الذي أعاد الضرائب والتي تم الغائها، فحصلت تمردات جديدة وحاول القائد سعيد الحرشي⁽²⁶¹⁾، الذي قاد حملة واسعة ضد المتمردين الذين تحالفوا مع الترك واستطاع أن يحقق بعض الإنجازات عليهم⁽²⁶²⁾.

هذا ما عندنا من فتوحات الدولة الأموية ودخول المسلمين في بلاد ما وراء النهر باختصار، مع أن هناك ضرورة شديدة لتحليل الوقائع والأحداث أكثر من ذلك، لكن الحقيقة أن الأمر لا يهمنا أكثر من ذلك هنا، فاكتملنا بهذا الأمر وننتقل إلى الأمر الآخر بفضل الله.

المطلب السابع: صعوبات واجهها القادة المسلمون أثناء فتوحات بلاد ما وراء النهر

حقق القواد العسكرية منجزات كثيرة على الصعيد العسكري في بلاد ما وراء النهر على الرغم من الصعوبات الكثيرة التي واجهتهم أثناء فتوحاته، سواء منها الجغرافية أو البشرية، فعل الصعيد الجغرافي نجد بعد المسافة بين مركز الخلافة، وقاعد إدارة العمليات العسكرية في خراسان وبلاد ما وراء النهر، فضلا عن صعوبة المواصلات بين هذه الأقاليم وطبيعة المنطقة الجغرافية. أما على الصعيد البشري، فإنه في بلاد يغلب عليها العنصر التركي الذي يتصف بإمكانات عسكرية وقاتلية كبيرة، وحركات مميزة، فكان على قائد المسلمين مواجهة هذا العنصر الجديد ذي الإمكانات العسكرية الكبيرة عن طريق الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى. وليس

(260) البلاذري، فتوح البلدان، (ص / 417)

(261) انظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، (3 / 99)

(262) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، (ص / 327)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

ذلك فقط، فقد قيل للمهلب بن أبي صفرة حين يغزوا القرى المختلفة لبلاد ما وراء النهر: "لو تقدمت إلى ما وراء ذلك، فقال: ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذا الجند، وعودهم سالمين"⁽²⁶³⁾. فهذا القول من القائد الشجاع البطل مثل المهلب يدلنا على شراسة وقوة المقاومة في هذه البلاد.

إن ما ذكرناه كان من موجز الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي في بلاد ما وراء النهر، واستعرضنا الأحداث بشكل سريع ويبدو أن سياسة القداة المسلمين الحكيمة في إدارة هذه البلاد والتزاماتهم بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف التي نصت على احتواء الأقوام والأجناس، وقد ساعدت سكان هذه المناطق في تقبل هذه الدين واعتناقه بالشكل الصحيح حيث لم يكن المسلمين طالبين حكم ولا مال، بل كان المسلمين يجلبون معهم بحملات العلماء والفقهاء لتعليم مبادئ الإسلام، ويمكن القول أن أحد أسباب التي ساعدت على سرعة نشر الإسلام هي أن سكان هذه المدن لم يكونوا يعتنقون ديانة سماوية مثل اليهودية والنصرانية، أو لم يكونوا مستمسكين بديانتهم، وعندما لاحظوا أخلاق المسلمين من خلال مجاورتهم الذين استقروا معهم في بلدانهم كحاميات للمدن، وهذا لا يعني أن المسلمين لم يبذلوا جهداً في فتح هذه البلدان بل على العكس، وكانت الجبهة الشرقية هي الأكثر دموية في فتوحات المسلمين بسبب نقض حكام هذه البلاد العهود والمصالح، قال الله تبارك وتعالى في هذا الموضع: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾⁽²⁶⁴⁾، قال ابن كثير: ⁽²⁶⁵⁾ "إن نكثوا رؤساء الكفر بالله العهد الذي بينك وبينهم فقاتلهم بعد عهدهم،

(263) الطبري، تاريخ الرسل، (6 / 326)

(264) سورة التوبة، الآية رقم: (12-13)

(265) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة، (14 / 154). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،

در الكتب المصرية-القاهرة، (8 / 81)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

لأن لا إيمان لهم لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم". وهذه من مبادئ الدين الإسلامي حيث أعلن الرسول [الحرب ضد يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد والمواثيق مع المسلمين، وضد المشركين في مكة عندما نقضوا صلح الحديبية، والذي شجع على التعايش والسلام مع كل الأديان والقوميات، والدليل هو سرعة انتشار الإسلام بين سكان المدن المفتوحة، وبروز العديد من العلماء في الحواضر العلمية مثل بخارى وسمرقند وغيرها إلى يومنا هذا، وأكثر هذه المدن هي ذات غالبية مسلمة، ولو كان الدين الإسلامي كما دعي المستشرقين كانت فتوحاته ذات طابع اقتصادي لما بقي هؤلاء يعتنقون الدين ويتميزون في التفقه به.

كانت الفتوحات الإسلامية في عهد الأمويين امتدت لتشمل ما بين حدود الصين في أقصى الشرق وبلاد الأندلس وجنوبي فرنسا في أقصى الغرب، وفي الجنوب أراضي آسيا الصغرى وتهديد القسطنطينية في أقصى الشمال، لا سيما في عهد معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك الذين أحيوا روح الجهاد بين المسلمين وفتحوا الفتوحات. لكن رغم أن بعض المؤرخين وجدوا هذه الفاخرة وسائل للهجوم أيضا فصوروا التقدم الإسلامي والفتوحات الإسلامية بأنها كانت احتلال، وهدفها التغلب وحشد الأموال، ويرى أخذ الجزية من غير المسلمين وسيلة حصول الأموال⁽²⁶⁶⁾، وكانت نظرهم إلى الشعوب المغلوبة نظرة الإحتقار والازدراء.

لو نظرنا إلى هذا الجانب وجدنا أن الخلفاء الأمويين في معظم الأحوال يتحرجون من أخذ الأموال بدون وجه ويمنعون العمال من ذلك، فعندما كتب الحجاج إلى

(266) إن جرجي زيدان انتقد الدولة الأموية في أخذ الجزية، يقول إن الدولة الإسلامية كانت تشدد في أخذ الجزية من الناس، فكانوا يقبلون الإسلام حيلة للفرار من الجزية وليس رغبة في الإسلام، وكان العمال يظلمون أهل الذمة بطلب الجزية. انظر: تاريخ التمدن الإسلامي، (4 / 92-93)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

عبد الملك بن مروان يستأذنه في أخذ الفضول من أموال السواد، منعه من ذلك وكتب إليه: "لا تكن على درهمك المأخوذ واحرص منك على درهمك المتروك، وابق لهم لحوما يعقدون عليها شحوما"⁽²⁶⁷⁾. وكذلك في عهد الوليد بن عبد الملك إذ تشكك في مصدر الأموال التي يرفعها إلى العمال، لا يقبلها إلا إذا أقسم العامل أنه ما ظلم فيها أحدا، ولا غصب منها شيئا ولا أصابها إلا من طيب⁽²⁶⁸⁾.

ومع ذلك كتب بعض المؤرخين أن بعض ولاية الدولة الأموية تأخذ الجزية ممن أسلموا حرصا منهم على الأموال⁽²⁶⁹⁾، بحجة أن كثيرا من المسلمين من أهل البلاد وإعفائهم من الجزية قد أضر ببيت المال، وفي الحقيقة أن هذا الإجراء الخاطئ أزاله عمر بن عبد العزيز (99-101 هـ) الذي خط حركة انتشار الإسلام في بلاد ما وراء النهر وفي غيرها من البلاد المفتوحة - خطوات كبيرة - حيث أصدر الأمر برفع الجزية عن أسلموا وصاح فيهم صيحته المشهورة، "إن الله إنما بعث محمدا داعيا، ولم يبعثه جابيا"⁽²⁷⁰⁾. وكذلك عزل الخليفة عمر بن عبد العزيز والي خراسان الجراح عبد الله الحكمي⁽²⁷¹⁾ من إمرته لأنه هو الذي كان يقود هذا الأمر⁽²⁷²⁾، وكان في عزل عمر بن عبد العزيز له دليل على سماحة الإسلام مع غيره من أصحاب الديانات

(267) الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الحديث - القاهرة، (ص / 231)

(268) الطبري، تاريخ الرسل، (6 / 498)

(269) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، (4 / 92)

(270) ابن كثير، البداية والنهاية، (9 / 213)

(271) هو الجراح بن عبد الله الحكمي الأمير، أبو عقبة، ولي البصرة في دولة الوليد بن عبد الملك من تحت يد الحجاج، ثم ولي خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وكان من صلحاء الأمراء ومجاهديهم. أنظر ترجمته: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط 1، 1422 هـ - 2022 م. شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت 1994 م، (2 / 95). الصفدي، الوافي بالوفيات (12 / 283). الذهبي، سير أعلام النبلاء (9 / 180)

(272) ابن كثير، البداية والنهاية، (9 / 213)

الْجُهْدُ الدَّعْوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

الأخرى، ومن الأمور ذات الدلالة في هذا السياق أن بعض ولاة الأمويين لم يرحبوا كثيرا باعتناق هؤلاء للإسلام حين لمسوا ما ترتب على ذلك من انخفاض مقدار الجزية التي كانوا يحصلونها منهم بوصفهم ذميين؛ ومن ثم اتخذ بعض ولاة الأمويين قرارا خطيرا وهو الاستمرار في فرض الجزية على من أسلم كما بينا، وهو قرار يتصادم تماما مع تعاليم الإسلام، فلا عجب أن يكون مثار شكوى مريرة من الموالي.

ومما يسجله التاريخ لعمر بن عبد العزيز في هذا الصدد أنه أمر ولاته بإيقاف هذا الإجراء، وركز كل من عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك جهودهما على الدعوة إلى الإسلام بالحكمة واللين⁽²⁷³⁾، وحث ولاته على اتباع هذا الأسلوب وعمل على ترسيخ المبادئ والقواعد التي قام به الفاتحين المسلمين من قبله من العهود، فكان الخليفة عمر يأمر العمال بالخير وينهاهم عن الشر، ويمنعهم من الظلم والطغيان.⁽²⁷⁴⁾

(273) الطبري، تاريخ الرسل، (7/ 25)

(274) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 524). ابن كثير، البداية والنهاية، (9/ 213). النرشخي، تاريخ

بخارى، (ص/ 67)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المبحث الثالث: الدور الدعوي للقيادة والجيش

المطلب الأول: مفهوم الجيش وأحواله في عهد الدولة الأموية

أولاً: لغة: الجيش هو: الجند أو السائرون لحرب أو غيرها، وهو جماعة الناس في الحرب وجمعه جيوش⁽²⁷⁵⁾. والجيش جند يسرون لحرب ونحوها، والجند يقول له كل صنف من الخلق، جند على حدة⁽²⁷⁶⁾، وهم الأعوان والأنصار.

اصطلاحاً: يعرف الجيش بكونه مجموعة من الأفراد المدربين بشكل جيد للمعارك الحربية ولتأمين الدولة داخلها وخارجها وحدودها، وهي مجموعة عسكرية قادرة على اتخاذ إجراءات وقرارات مستقلة، والمحافظة على القيادة العامة، وقد تطور مفهومه على مر العصور حيث ساهمت التغييرات الاجتماعية والسياسية للدول.

ثانياً: بعد أن اصطحب الرسول إلى الرفيق الأعلى وانتقل القيادة إلى الصحابة اختلفت الأحوال وتطورت في بعض الأمور، وميادين القتال قد كثرت وتعددت الجيوش في نواحي مختلفة، فأصبح الأمر صعباً على الخليفة أن يقوم بمهمة القيادة، فأُسند الأمر إلى كل من يصلح لها ممن عرف بحسن السياسة والتخطيط والشجاعة⁽²⁷⁷⁾، فكان القواد يعرضون الجند⁽²⁷⁸⁾ قبل لقاءهم بالعدو، حتى يطمئنوا

(275) قاموس المحيط، (1/ 588). لسان العرب، (6/ 677-678). المعجم الوسيط، (1/ 150)

(276) خليل الفراهيدي، العين، (6/ 158)، و (6/ 86) حرف الشين والجيم.

(277) أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن سالم، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية-بيروت، ط-1، 1404هـ، (1/ 108)

(278) عرض الجند: هو إظهارهم وإختبار أحوالهم، ابن منظور، لسان العرب، (7/ 165). وكان المسلمون قد اتخذوا هذه العادة على نحو ما كانت عند الفرس، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعرض أصحابه فجعلهم صفوفاً، وأخذ يعدل صفوفهم وفي يده سهم بلا ريش، وتطورت ذلك في عهد عمر بن الخطاب، حتى وكان الحجاج بن يوسف إذا عرض الجند يسأل عن رجل رجل من هو، وما هي قبيلته، وعن حاله وسلاحه.

انظر: جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، (1/ 156)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

عليهم وعلى عدتهم، كما كان يفعل النبي ذلك، وقد انتهت المعركة أصبحت مهمة القائد النظر في أسر الجند وتدريبهم وتحسين معداتهم والإستزادة منها، ولم يكن يختلف عصر الخليفة أبو بكر عن عصر الرسول في هذا الأمر أكثر.

ولكن بعد أن أقبلت الدنيا المسلمين واستقر الكثير في المدن المختلفة، فكانت الدولة الإسلامية في ضرورة النظام الخاص في كل جزء من الدولة أكثر من أي وقت كان، فخشي عمر بن الخطاب على جيشه أن يخلد بعضهم إلى الراحة والتقاعد عن الحرب. فقام بتسجيل اسماء الجند، وحدد أعطياتهم أو مرتباتهم في ديوان خاص لهم، وهو أول من فعل ذلك في تاريخ المسلمين، حيث يقول المؤرخ الطبري⁽²⁷⁹⁾، "وفي هذه السنة (15هـ/ 636 أو 637م) فرض عمر للمسلمين الفروض، ودون الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة"، فعين لكل جندي وقتا خاصا التي يعود فيه إلى بيته، وعين لهم الرواتب، وبنوا لهم الحصون والعسكرات الدائمة لإراحة الجنود في أثناء سيرهم إلى عدوهم، وبنوا الأمصار المختلفة لصد هجمات العدو. عرف المسلمون في تنظيم صفوفهم القتالية تعرف بالكراديس، وتعني الكتائب أو الوحدات، وتقوم على تقسيم الجيش إلى خمس مجموعات رئيسية، هي: المقدمة، الميمنة، الميسرة، وقلب في الوسط ثم كتيبة في الخلف تعرف بالساقة المؤخرة.⁽²⁸⁰⁾

استمر الأمر في عهد الخليفة عثمان بن عفان واتكأ على ما وضعه من الخطط عمر بن الخطاب، لكن الأمر اختلط بين المسلمين بعد وفاته، فوجدوا الفتن الداخلية وحدثت الفتنة التي أدت إلى انقسام المسلمين، وأصبح القتال في سبيل الدفاع عن الرأي وليس في سبيل نشر الدين، ولم يستقر الجيش الإسلامي إلى ذلك الحد، فبدأ

(279) تاريخ الرسل، (3 / 613)

(280) الطبري، تاريخ الرسل، (2 / 188). ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، (3 / 299). ابن الأثير، الكامل،

(2 / 200)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

يحاربون بينهم وفقد الدولة الإسلامية معظم جيشه الذي كان قد رتبته ونظمه عمر بن الخطاب.

استمر هذا الأمر إلى أن استخلف الأمر إلى عبد الملك بن مروان سنة (63هـ / 682م و 683م)، فقام بتنظيم ديوان الجند مرة أخرى واعتنقوا بالجيش، ولما استقر لهم الأمر نهائيا حين تقاعد كثير من المسلمين عن الحرب والجهاد، أدخل عبد الملك بن مروان نظام التجنيد الإجباري، وهو الإلتحاق بالخدمة العسكرية الإجبارية أو الإلزامية⁽²⁸¹⁾، فرتب الجيوش ونظموها وخاصة حين اتسعت حركة الفتوح، والتقت جيوش المسلمين بجيوش لها تاريخ في التخطيط والتنظيم مثل جيش الروم والفرس.

أما بالنسبة للسلاح في الجيش، فقد كانت الدولة الإسلامية تتكىء بالغنائم وتوفير الأثرياء ما يحتاجون المسلمون في الحروب، لكن اختلف الأمر بعدها، فكانت الدولة تتعهد الجند بكل ما يحتاجون إليه من سلاح ومؤن، وكان الجيش يتألف من الفرسان والرجالة، ومعه من الدروع والحزب، والسهام والسيوف والرماح، وفي السلاح كانوا يستخدمون ما يعرف بآلة "الدبابة"، وهي آلة تستخدم في ثقب حوائط الأماكن المحصنة وهدم الأسوار وتدميرها⁽²⁸²⁾. واهتم الأمويون بصناعة

(281) وذكر أن التجنيد قد بدأ في عهد عمر حيث كتب لقواده: (ولا تدعوا في ربيعة أحدا ولا مضر ولا حلفائهم أحدا من أهل النجدات ولا فارسا إلا اجتلبتموه)، لكنه لم يكن مرتبا إلى ذلك الحد حتى قام به الخليفة عبد الملك بن مروان في عهد الدولة الأموية، الطبري، تاريخ الرسل، (3 / 478)، فهنا نرى أنه يستعمل الولاة أن يرسلوا إلى النجدة فإن أطاعوا وإلا الزموهم، فالتجنيد واجب على كل مواطن، ولذا يلزم إعداد الجنود إعدادا فنيا حديثا مع الإهتمام بالقوات الاحتياطية

(282) ابن كثير، البداية والنهاية، (4 / 399). جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، (1 / 200)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

"المنجنيق"⁽²⁸³⁾، حتى استطاع الحجاج بن يوسف صنع منجنيق أسماه "العروس"، وكان يحتاج إلى خمسمائة رجل لخدمته والعمل عليه، واستعمل هذا المنجنيق في فتوحات السند وغيرها⁽²⁸⁴⁾ إلا أن حملها إلى بلاد ما وراء النهر صعبا من أجل الطرق والأنهار.

والواضح من الكلام أن من منطلق اهتمام الدين الإسلامي بالمجال العسكري ووجود الجيش كان للدفاع عن الدولة الإسلامية، وانتهاء كل من يصد أمام الدعوة الإسلامية، وتأمين الدولة من كل من يفسده من الأشرار والفسدة، ووجود الأمة الإسلامية في ثباتها وإقامتها، وما يساعد الدولة في صد الاعتداء والعدوان عليها فتكون مدافعة عن ذاتها وكيانها، فقد أولى الإسلام عناية فائقة واهتماما بالغا بإنشاء القوة العسكرية لتقوم بدورها في ذلك كما ذكرنا، وكانت أهمية الجيش القائم بدوره في سلك الدفاع لا تخفى على أحد.

المطلب الثاني: الدور الدعوي الإسلامي للخلفاء وقادة الجيوش

إن من منطلق اهتمام الدين الإسلامي بالمجال العسكري وما يخدم الدولة الإسلامية في ثباتها وإقامتها ونشر تعاليمها، وما يساعد الدولة في صد الاعتداء

(283) بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم، وهو آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف، كان يستعمل برمي أو قذف الأحجار الكبيرة للجدران الكبيرة للحصون، ورمي غيرها من الأشياء على العدو، مثل النفط والنيرون. وأول من استخدم المنجنيق في التاريخ هو نمرود الضحاك حين أراد إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار، وكان أول من استخدم في العرب جذيمة الأبرش. انظر: أبو هلال العسكري، الأوائل، دار البشير-طنطا، الطبعة الأولى، 1408هـ، (ص/75). وانظر: القلقشندي، صبح الأعشى، (1/489). عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، (ص/156)

(284) وما إن بدأ القرن الثاني الهجري، حتى أصبح المنجنيق شائع الإستعمال عند المسلمين، وذلك لصعوبة الحروب مع الأعداء، ولا سيما في حصار المدن، وصار صلاحا عاديا في أيام الدولة العباسية. انظر: شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، (ص/362)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

والعدوان عليها، فتكون مدافعة عن ذاتها وكيانها، فقد اهتم الإسلام اهتماما بالغا وأولاهها عناية فائقة بإنشاء القوة العسكرية ومجال الجيش لتقوم بدورها في ذلك، وكانت أهمية الجيش القائم بدوره في سلك الدفاع لا تخفى على أحد.

في هذا الإطار الواسع في مجاله، أتى الأمر بالنص القرآني بإعداد العدة وبناء القوة حسب الطاقة والإستطاعة حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾⁽²⁸⁵⁾. ولو نظرنا إلى معاني القوة التي ذكرت في نص الآية الكريمة فإننا نجدها متعددة الجوانب والاتجاهات، فليس لنا أن نهتم بالبعض وإغفالنا بالبعض الآخر، فقوة الكلمة (وأعدوا) بجانب كلمة (من قوة) يتبين معنى التهيئة والإحضار المناسب لإرهاب العدو، ويدخل في عبارة (ما استطعتم) كل ما يمكن تهيئته واتخاذها بحسب القدرة والإستطاعة في اتخاذ من قوة في العدد والعدة المتمثلة في آليات القتال وما يستعان به في محاربة الأعداء مثل الخيل والسلاح⁽²⁸⁶⁾، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ"⁽²⁸⁷⁾، أفاد الحديث تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقوة المأمور باتخاذها في مجابهة الأعداء والكفرة، وهي الرمي، لأنه أنكى، وأبعد عن خطر العدو، وكان الرمي وقت نزول الآية الكريمة بالسهم، ولكن الآية بإعجازها أطلقت القوة، لتكون قوة كل زمان ومكان، وكذلك الحديث جاء إعجازه العلمي بإطلاق الرمي، الذي يشتمل الرمي بأنواعه، وأن يفسر بكل رمي يتجدد وبأي سلاح يحدث.

(285) سورة الأنفال، الآية رقم: (60)

(286) انظر للتفصيل: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (تفسير الطبري)، تحقيق، أحمد محمد شاكر،

مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420هـ-2000م، (31/14)

(287) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم في حديث عقبة بن عامر، (3/1527) رقم الحديث: (1917)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

ولا ينبغي أن نغفل عن أهمية الجيش الإسلامي ودوره في الدعوة الإسلامية، فإن إثبات الدولة وإقامتها، والجهاد في سبيل الله، وصد العدوان من الإعتداء والدفاع عن ذاتها وكيانها، هي بنفسها الدور الدعوي، فكل جانب في الإسلام لها دور، ودور الجيش في الدعوة لها علاقة بمحافظه الدعاة وصد العدوان.

أولاً: دور الخلفاء والقادة الفاتحين في القيام بالصلح:

كان أول استقرار للمسلمين في منطقة بلاد ما وراء النهر أيام فتوح الوليد بن عبد الملك وقائده قتيبة بن مسلم الباهلي على انتشار الإسلام في هذه البلاد، وهذا لا يعني تقليل النشاط الدعوي الإسلامي، وقد قاومه الأمويون أحياناً على ما يظهر في أواخر عهدهم كما قاوموا السكان الترك أنفسهم واتسمت مقاومتهم بكثير من طرق العنف والفساد.

إنه لم يجرؤ المسلمون على الظهور أعواماً طويلاً في المساجد والأماكن العامة دون سلاح وعتاد، وحتى حرم على غيرهم حملة، وأحياناً حامل المسلمون تأليف قلوب الأتراك بالمال ليحضرُوا صلاة الجمعة بالمساجد وسمحوا لهم بقراءة القرآن باللغة الفارسية بدلاً من العربية ليستطيعوا فهمه بسهولة ويسر⁽²⁸⁸⁾. ومن هؤلاء القواد الذين عملوا على نشر الإسلام:

1. عبد الملك بن مروان

فإن أهمية الدولة الأموية في الحقيقة تبدأ بخلافة عبد الملك بن مروان الذي تولى الخلافة بعد الخليفة مروان بن الحكم سنة (64هـ / 685م)، مباشرة بدأ يخطط توحيد الأمة الإسلامية على صف واحد وتحت راية واحدة، وينتهي من الفتن

(288) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين، مطبعة السعادة-مصر، 1371هـ / 1952م،

(ص/ 428). فامبري، تاريخ بخارى، (ص/ 68)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الداخلية كلها التي بدأت منذ سنوات عديدة وقبل بداية الدولة الأموية، والذي حدث بين المسلمين مجرد فتنة وخسارة وتفرق ما بينهم. فكان عبد الملك بن مروان بدأ يفكر في وحدة المسلمين أيا كان، فإن نشر الإسلام والقتال مع العدوان والتفوق الحضاري لا يمكن إلا بوحدة الأمة، تحت قيادة موحدة واحدة، لتحقيق هدف موحد واحد ألا وهو إعلاء كلمة الله ونشر المثل العليا بين الناس. وأن البلاد إن كانت مفتوحة، فتتقضم وتضطرب ويسودها الفوضى والفتن، حين يختلف المسلمون ويتفرق صفوفهم، فيقاتلون تحت قيادات شتى لتحقيق أهداف شتى وفي الأخير يضيع الأمة والجميع.

فكان أيام تفرق المسلمين توقف الفتوحات ولم يتفوق المسلمين في حضارتهم، وكان خسائريهم بالأرواح في اقتتالهم الداخلي، واحصاء الخسائر والاضطرابات في معارك الفتن الداخلية والتي سجلها المؤرخون خير دليل.

فها هي خطة الخليفة عبد الملك بن مروان أن ينتهي من الفتن والاضطرابات وكل من يحجز أمام الدولة الموحدة، فعين الأمراء والقواد في بلاد شتى ليحل المسألة⁽²⁸⁹⁾. وليس من البعيد أننا وجدنا الدولة الإسلامية تحت راية واحدة، وقلما وجدنا التفرقات بين المسلمين، وكان كل فضل يحول إلى حسن خطة الخليفة الوليد، التي اختصته في الدور الدعوي للجيش لأنه هو القائد والمثل الأعلى والذي كان له أثر عظيم من غيرهم في نجاح توحيد صفوف المسلمين ونشر الإسلام في انحاء العالم.

2. عمر بن عبد العزيز

لما استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إلى ملوك بلاد ما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام، وهذا الأمر لم يكن يفعل بقية الخلفاء، فأسلم بعضهم، فكان يصدر الكتب

(289) انظر للتفاصيل: الطبري، تاريخ الرسل، (6/ 151-165)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

إلى أبرز الحكام المعاصرين لها ولا سيما حكام الترك يدعوهم فيها إلى الإسلام اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم. وقام بتوجيه الدعوة لتبليغ كلمة الله، وقد نجح في مسعاه وأسلم بعض الملوك الذين أعجبوا بحياة المسلمين، ومن هؤلاء الملوك (نيزك وطرخان، وطغشادة ملك بخارى، وصول تكين أمير جرجان) وغيرهم.⁽²⁹⁰⁾

وقد شجع الخليفة عمر أيضا أنشطة الدعوة الإسلامية الفردية، وبذل العون المادي من بيت المال للأشخاص الذين امتهنوا الإرشاد الفردي واشتغلوا به كما ذكر ابن كثير أن الخليفة عمر رصد مبلغ مائة دينار في العام من بيت المال لكل داعية⁽²⁹¹⁾. وقد اعتبر جماعة من أهل العلم منهم أحمد بن حنبل فيما ذكره ابن الجوزي وغيره أنه هو مجدد الدين في رأس مائة سنة، إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق، لإمامته وعموم ولايته، وقيامه واجتهاده في تنفيذ الحق، حيث قال الرسول عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مِنْ يَجِدُ لَهَا دِينَهَا).⁽²⁹²⁾

3. هشام بن عبد الملك

لقد سعى المسلمون في الوقت الذي بدأ فيه فتوحهم لنشر الإسلام بطرق سلمية، فأرسل الخليفة هشام بن عبد الملك سفيرا لأحد خانات الترك يدعوهم إلى الإسلام، ولكن لم تلق دعوته استجابة، ومع ذلك فقد حقق الإسلام والحضارة الإسلامية انتشارا عقائديا وحضاريا أكثر مما حققته حروبهم، فنجد أن عددا من القبائل التركية

(290) السيوطي، تاريخ الخلفاء، (ص / 428)

(291) ابن كثير، البداية والنهاية، (9 / 207)

(292) أبي داود السجستاني، سنن أبي داود، (4 / 109) رقم الحديث: (4291)

الْجُهْدُ الدَّعَوِيُّ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

بدأ يدخل الإسلام⁽²⁹³⁾، ودعا هشام بن عبد الملك أهل ما وراء النهر إلى الإسلام وأمر بطرح الجزية عمن أسلم الذي فرض عليهم الأمراء، فسارعوا إليه وانكسر الخراج، ومعنى هذا أن الآلاف من الناس تدافعوا إلى اعتناق الإسلام وتعلم اللغة العربية.⁽²⁹⁴⁾

ولم يكن هشام بن عبد الملك يكتف بذلك، فقد أمر عماله بهذا الدور أيضا، فأرسل عامل خراسان الوالي أشرس بن عبد الله السلمي إلى بلاد ما وراء النهر كي يقوم بالدعوة للإسلام بين الترك، فدعا أهل الذمة بسمرقند والشاش وغيرها من البلاد إلى الدخول في الإسلام، ويضع عنهم الجزية فأجابوه إلى ذلك وأسلم معظمهم⁽²⁹⁵⁾، وقد وضحت هذه الجهود بصورة أوفر في عهد نصر بن سيار الذي تغلب على جميعا الانقسامات الداخلية، ووضع حدا لما عاناه المسلمون من مشاكل الجزية والخراج حتى أسلم ثمانون ألفا في عهده، وذهب نصر بن سيار في تسامحه إلى أبعد مدى، فغفى عمن ارتد عن الإسلام حتى عاب العلماء عليه، فأعفاهم من متأخرات الجزية والخراج واستعاد أسرى المسلمون وأقر الأمن على الحدود.⁽²⁹⁶⁾

4. أمية بن عبد الله بن خالد الأموي

(293) زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، (ص/ 33)

(294) اقتباس من: حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، 1998م، (ص/ 175)

(295) ابن كثير، البداية والنهاية، (9/ 259)

(296) الطبري، تاريخ الرسل، (7/ 192)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

كان تولية أمية بن عبد الله⁽²⁹⁷⁾ على خراسان سنة (74هـ / 693م)، وذلك لسبب الذي يدل بكفائته، وهو أنه لم يكن حاسدا ولا متعصبا، وكان أهل خراسان يطلب ذلك من الخليفة عبد الملك بن مروان خوفا من الوقوع في الحرب وإفساد البلاد، فبذل أمية بن عبد الله جهده في إصلاح ما فسد من خراسان وأنه أعاد الأمن والاستقرار إلى هذه البلاد بعد الفتن التي استمرت سنوات⁽²⁹⁸⁾، ويجمع الصف ويفرض سيطرة الدولة ويعيد للحكام هيبتهم واحترامهم في نفوس الشعب، وعادت الوحدة إلى هذه البلاد.

كان أمية بن عبد الله طبق الفنون العسكرية النظرية عمليا في ميدان الجهاد، وبذلك جمع التدريب الفني النظري والعملي، ووضع معلومات العسكرية في حيز التنفيذ. وكانت مجمل خطة أمية بن عبد الله في إعادة البلاد التي تولاها من (الفتنة) إلى (الجماعة) تتخلص في إزالة الأحقاد وجمع الشمل وتوحيد الصفوف وفرض سيطرة الدولة وهيبتها بالحسنى والمال والمناصب ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فإذا أخفق فالقوة والقهر وحجز الحرية هي آخر الدواء الذي يتقبله المضطر ولا يتقبله غير المضطر. فقد كان أمية يحب العافية ولا يميل إلى الاستقرار، ويبدوا أنه نجح في تطبيق خطته السلمية في الداخل، فعادت البلاد التي يحكمها قاعدة لإنطلاق الفتح واستعادة الفتح، كما كانت عليه في أيام الجماعة وقبل أيام الفتنة التي استمرت عشر سنوات.

(297) انظر ترجمته: أبو محمد علي بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1403هـ/1983م. (ص/ 218)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (3/ 35)

(298) الطبري، تاريخ الرسل، (6/ 199). البلاذري، فتوح البلدان (ص/ 586)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

كان أُمِيَّة يحب العافية، فقد صالح مع عدوانهم حتى مع من هو متفوقا عليه، وكان بإمكانه أن يسحقهم سحقاً، ولكنه آثر حقن الدماء، وفي سبيل يخفق هذا الهدف قبل أُمِيَّة الصلح، وبذل مبالغ ضخمة لعدوانه بدل الصلح، وكأنه هو المغلوب وليس الغالب⁽²⁹⁹⁾، حتى يصل أهدافه الرئيسية ألا وهو استقرار الأمن، والإصلاح وتخليص الناس من الظلم ونشر تعاليم الدين الإسلامي.

5. قتيبة بن مسلم الباهلي

قام قتيبة بمواصلة دعوته إلى الإسلام بعبارة له جاءت في خطبته إلى الفاتحين: "إن الله تعالى قد أحل لكم تلك البقاع كي تنشروا فيها دينه الحنيف"، كما كان بتوطين النفوذ العربي في المدن والمراكز التجارية الكبرى في بلاد ما وراء النهر حيث أسكن كثيراً من الأسر العربية المسلمة في هذه البلاد، بالإضافة إلى هذا فقد قام قتيبة بإسقاط الجزية والخراج عمن أسلم منهم⁽³⁰⁰⁾ كما أمر الإسلام بها، وكان قتيبة بنى المساجد ومراكز التعليم وعين فيهم العلماء، الأمر الذي ساعد في نشر الإسلام، فلم يكن قتيبة قائداً حربياً فحسب، بل كان قائداً عسكرياً صالحاً وخطته في نشر الإسلام من أعظمها تطبيقاً، وقد أشرنا إلى هذا الأمر في المبحث السابق.

ورغم ذلك لم يكن قتيبة يدع فرصة تمر دون أن يحاول زعزعة الوثنية في قلوب أصحاب البلاد، فإنه لما فتح سمرقند جعل فيما صالحهم عليه بيوت النيران وحلية الأصنام⁽³⁰¹⁾، كما قام من قبل ذلك في بخارى بتحطيم نفوذ الزرادشت في المنطقة من خلال الضغوط التي مارسها على بعض عائلات التركية التي كانت تنتمي إلى المجوس عن طريق إصدار أوامره بتقسيم بيوتهم وثرواتهم مناصفة بينهم وبين

(299) الطبري، تاريخ الرسل، (6/ 315). قادة فتح بلاد ما وراء النهر، (ص/ 175 و 183)

(300) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 420)

(301) ابن الأثير، الكامل، (4/ 275)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

العائلات العربية التي أوردنا توطينها، وبذلك يكون قد شئتت جمعهم وشملهم⁽³⁰²⁾. وكان سياسة قتيبة بن مسلم بعد فتح مدينة بخارى ابقاء اعضاء الأسرة الحاكمة في مناصبهم، حيث أنه ترك طغشادة أمير بخارى على منصبه، وجعله يحكمها حتى نهاية عهده سنة 96هـ، وقد ظل يحكم على بخارى حتى عهد الوالي نصر بن سيار، فملكها اثنين وثلاثين عاما في ظل الحكم الإسلامي⁽³⁰³⁾، وهذه السياسة اتجهت نحو اجتذاب الأهلين لأفساح المجال للدعوة الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامي، حيث أن طغشادة حاكم بخارى أسلم بعد ذلك وانجب وهو في الإسلام ولداً سَمَّاه قتيبة حبا لقتيبة بن مسلم، وخرج من بيته أصحاب عقيدة راسخة.⁽³⁰⁴⁾

6 المهلب ابن أبي صفرة⁽³⁰⁵⁾:

كما أن للمهلب بن أبي صفرة انجازات وخبرات عالية في ميدان الحرب في بلاد خراسان وما وراء النهر فكان له إصلاحات في إدارة الأمور والذي كان يريد الأمن والاستقرار.

وقد ذكر بأن الحجاج بن يوسف الثقفي المعروف بالشدة والغيرة والحق، اقتنع من رفعة المهلب وشأنه، فأسند له ولاية خراسان، فقام الحجاج وأهل خراسان بإحتفال التكريم له ولأهله عند وصوله إلى خراسان، ومع كل الانتصارات التي قام به المهلب لم يكن يملك الأموال، مما يؤكد يتسم به آل المهلب بوجه عام من سخاء وأغداق الأموال على رجالهم، فكلما فتح فتحاً أخرج من ذلك الخمس فوجه به إلى

(302) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 52)

(303) النرشخي، مصدر سابق، (ص/ 80-81)

(304) مصدر سابق، (ص/ 24-87-88)

(305) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي، أبو سعيد: أمير، بطاش، جواد، قال فيه عبد الله بن الزبير، ولد

سنة 7هـ. الزركلي، الإعلام (7/ 315)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الحجاج وقسم باقي الفئ في أصحابه، وفرح أهل خراسان بولايته عليهم فرحا شديدا. (306)

كان المهلب يريد سلامة جيش المسلمين في جميع الأحوال، فهكذا أيام الفتوحات المختلفة يطعمون الناس منه المزيد من الأموال، فعندما قيل له: "لو تقدمت إلى الصغد ما وراء ذلك، قال: ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند وعودتهم إلى مرو سالمين". (307)

كان المهلب مخالفا للتعصب القبلي وله علاقة قوية مع الخليفة الأموي، فكان يسعى إلى إقامة توازن العلاقات بين القبائل حتى لا تثار فتنة تؤدي إلى إفشال مشاريع الحربية، وفي هذا أنه حبس بعض المخربين من القبائل المختلفة⁽³⁰⁸⁾، ففيه يروي ابن الأثير في تاريخه⁽³⁰⁹⁾ بأن الحجاج بن يوسف كتب إليه: "إن كنت أصبت بحبسهم، فقد أخطأت بإطلاقهم، وإن كنت أصبت بإطلاقهم، فقد ظلمتهم إذ حبستهم. فكتب المهلب: خفتهم وحبستهم، فلما أمنتهم خليتهم".

بالإضافة إلى هذا كان من خصوصية المهلب بن أبي صفرة أنه كان مخالفا شديدا للفتنة، وهو عندما رفض استجابة ابن الأشعث ضد الحجاج -مع أنه يخالف مع الحجاج في معظم الأمور- فكتب له كتابا يوضح سياسته ومنهجه في التعامل مع السلطة الشرعية، "أما بعد، فإنك وضعت رجلك يا بن مُحَمَّدٍ في غرز طويل الغي على أمة محمد الله فانظر لنفسك لا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة

(306) أبي محمد احمد بن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، الطبعة الأولى 1411هـ-

1991م، (4/189)

(307) الطبري، تاريخ الرسل، (6/326)

(308) الطبري، مصدر سابق (6/326)

(309) الكامل في التاريخ (3/482)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها، فإن قلت: أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه عليها من الناس، فلا تعرضها لله في سفك دم، ولا استحلال محرم والسلام عليك⁽³¹⁰⁾، وواضح من النص السابق التزام المهلب بالوفاء وعدم نكث العهود والبُعد عن الفتنة، وما تجرب إليه من ويلات وسفك دماء المسلمين، ولا يكتفي المهلب بنصح ابن الأشعث، بل يرسل كتابا إلى الحجاج يحذره من خطر الفتنة الداهمة التي ستحصب عليه، وينصحه أن يتخذ موقف الدفاع ضد ثورة ابن الأشعث ولا يخرج للقاءه لكن الحجاج رفض ذلك.⁽³¹¹⁾

وتكشف شخصية المهلب من وصيته لأبنائه قبيل وفاته والتي تعد سياسة التي اعتنقها في حياته والتي يرغب أبنائه أن يسلكوا سبيلها من بعده. توفي المهلب بن أبي صفرة بمرور الروز، ودفن فيها وصلى عليه ابنه، وكانت وفاته في ذي الحجة سنة (82هـ).⁽³¹²⁾

ثانيا: دور الفاتحين في حقن الدماء ومنع الظلم وتطبيق العدل

جاءت الشريعة الإسلامية بضروريات خمس وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وجعلت على ذروة سنام أولوياتها حفظ النفس البشرية وصيانتها من كل أذى؛ ذلك أن النفس البشرية من صنع الله وإنشائه، وبها وعليها تقوم الدنيا ويمتد العمران، ويقام الدين ويشتد عوده، ولهذا توعد الله من أزهرها، يستوي في ذلك المسلم وغير المسلم؛ فالحياة استحقاق لجميع البشر المعصومين.

(310) الطبري، تاريخ الرسل (6/338). أبو الحسن المسعودي، التنبيه والإشراف، دار الصاوي-القاهرة (ص/287).

ابن كثير، البداية والنهاية (9/36)

(311) المسعودي، المصدر السابق (ص/339). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (3/107)

(312) ابن كثير، البداية والنهاية (9/42). وقد ذكر الزركلي في الإعلام بأنه من وفيات سنة (93هـ). الزركلي، الإعلام

(7/315)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

لقد أعلنها القرآن الكريم بصراحة لا لبس فيها ولا غموض: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾⁽³¹³⁾، وفي هذا تقرير من الله بحفظ حق الإنسان في الحياة وحرمة إراقة دمه، وجعل حرمة الدم المسلم أشد من حرمة الكعبة المشرفة ذاتها، وأوجبت الشريعة القصاص في القتل العمد ما لم يعف ولي الدم أو يقبل بدلا.

والم تأمل سيجد أن إراقة الدماء المعصومة أمر مستقبح في كافة الشرائع السماوية، وإلا ما قال موسى عليه السلام بعد قتله ذلك القبطي: «هذا من عمل الشيطان»، وكما أن إزهاق النفوس مستقبح في الشرائع البشرية؛ فإن حفظ النفس المعصومة هو من أصول الأديان كلها. وكان موسى يعلم دين آبائه لعله بما تلقاه من أمه المرأة الصالحة في مدة رضاعه وفي مدة زيارته إياها.⁽³¹⁴⁾

قد يكون قتل أحد الأعداء أمرا حتميا نتيجة جرائمه السابقة في حق المسلمين، ولكن الأخلاق النبوية الرفيعة كانت تتجه إلى إعطاء هذا العدو فرصة أخيرة إذا أعلن إسلامه، مع أن هذا الإعلان غالبا ما يكون لتجنب القتل، ولكن رسول الله ﷺ كان يقبل إسلام الشخص مهما كان تاريخه العدائي، وليس في هذا إكراه في الدين، لأن الأصل في الأمور بالنسبة لهؤلاء أن الحكم بقتلهم قد صدر بالفعل، وقبول إسلامهم والعفو عنهم بعد صدور هذا الحكم هو منة من رسول الله ﷺ عليهم.

وكان القواد يأمرون الجيش أن يدعوا الناس إلى الإسلام ولم يسفكوا دمائهم قبل أن يدعواهم، وكان النبي أول من يأمر صحابته بحقن الدماء، ومن أفضل الأمثلة على

(313) سورة المائدة، الآية رقم: (32)

(314) ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة

الأولى: 1420هـ/ 2000م. (18 / 308)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

هذا الأمر ما رأيناه منه] عندما أنكر على أسامة بن زيد قتله لمشرك محارب بعد أن أعلن إسلامه، مع أن كل الظروف كانت تشير إلى أن المشرك لم يعلن إسلامه إلا تقية! فقد روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ بعث بعثا من المسلمين إلى قوم من المشركين، وإنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلا من المسلمين قصد غفلة، قال -أي الراوي-: وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف، قال: لا إله إلا الله، فقتله، فجاء البشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله فأخبره، حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: "لم قتلته؟" قال: يا رسول الله أوجع في المسلمين، وقتل فلانا وفلانا، وسمى له نفرا، وإني حملت عليه فلما رأى السيف؛ قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقتلته؟» قال: نعم. قال: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: يا رسول الله استغفر لي. قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟»، قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟»⁽³¹⁵⁾. ورغم ما حدث في غزوة أحد من تمثيل المشركين بحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يغير مبدأه، بل حرص على النهي عن المثلة حتى مع المشركين، وقد يتخذ البعض قاعدة "المعاملة بالمثل" مبررا لهم ليفعلوا ما يشاءون في أعدائهم، محاربين كانوا أو غيرهم، ولكن الإسلام لا يقر القسوة أو الظلم مهما كانت المبررات، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾⁽³¹⁶⁾.

(315) صحيح مسلم، (1 / 97)، رقم الحديث: (97)

(316) سورة المائدة، الآية رقم: (8)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

وكان النبي [يقبل في جميع الأحيان فكرة انتهاء الحرب، فلم يكن من هواة الحرب، بل كان ينأى عنها ما وجد إلى ذلك سبيلا، ولذا كان النبي يأمر أصحابه أن يعرض على العدو الإسلام أولا أو الجزية ثانيا، فإن أصر العدو على القتال حارب معهم ثالثا، ولكنه مع ذلك لا يغلق باب المسالمة، فإن رغب العدو في الصلح حتى بعدما تظهر بشائر النصر للمسلمين، كان الرسول يقبل الصلح ويقره، وليس هذا إلا مثال حي وشاهد على أن من أهم أدوار الرئيسية للمسلمين هي حقن دماء الناس في جميع الأحوال، حيث اتبع ذلك المنهج الخلفاء الأربعة، والقادة الأمويين في جميع أنحاء العالم لا سيما بلاد ما وراء النهر.

ومعنا خير أمثلة في الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر حيث أن عبيد الله بن زياد أراد فتح بخارى في خلافة معاوية بن أبي سفيان، صالح مع ملكة بخارى بدل دفع الجزية، وكذلك قتيبة بن مسلم صالح صاحب سمرقند بدلا أن يدفع الجزية⁽³¹⁷⁾. ولم نكتفي بهذا بل نود أن نقول بأن عمر بن عبد العزيز أثناء خلافته عزل الأمراء الذين لا يرون الفتح إلا بسفك الدماء⁽³¹⁸⁾، وتطبيق العدل بين المسلمين وغيرهم وعدم التفرق بينهم، وهكذا عزل كل الأمراء الذين لم يطبقوا العدل ويأخذون الجزية كل من أسلموا ولم يسلم. كل هذه استدلالات يدل على أن معظم قواد الدولة الإسلامية في هذا العهد أرادوا حقن الدماء ومنع الظلم وتطبيق العدل، ومع ذلك حاربوا لتأمين كل ذلك الأمور.

فخلاصة القول أن أهمية حقن الدماء ومنع الظلم وتحقيق العدالة من متطلبات الشريعة الإسلامية، ولا سيما في نشر الدعوة الإسلامية. فإن هناك بيئة حكامها يظلمون على الشعوب ولا يطبقون العدالة بينهم، فلا يمكن أن ينشر الإسلام فيه،

(317) الطبري، تاريخ الأمم، (4/ 15-16)

(318) ابن كثير، البداية والنهاية، (9/ 213)

الْجُھُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

ولا يستقر فيه الدعوة إلى الله، فإذا كان المجتمع يطبق فيه هذه المجالات الثلاثة من حقن دماء الناس، ومنع والظلم وتطبيق العدل، ففي هذه الحالة يمكن للدعاة والعلماء أن ينشروا الإسلام في انحاء البلاد. وكل من وجدنا في البلاد الذي يطبق فيه هذه المجالات المهمة الثلاثة لا يحجزون أمام الدعوة الإسلامية، وكل هذا ما حدث في خلافة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، لاسيما في منطقة بلاد ما وراء النهر، وبحثنا هذا خير شاهد على ذلك.

الفصل الثاني

نشر الدعوة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر

يدين المسلمون بالفضل للدولة الأموية فهي الدولة الأكثر نشرا للإسلام في تاريخ المسلمين، وربما قد توقفت الفتوحات الدعوية بعد أفول عهد الأمويين. وإن مما يندى إليه الجبين ويحزن له القلب ويؤسف أن التاريخ الأموي قد شوّهه أهل الأهواء من بعض المتعرضين، لذا فإن الاتهامات المكذوبة التي أطلقوها على الدولة الأموية هي الحقد الدفين في قلوبهم تجاه هذه الدولة الفاتحة، ولا حاجة لإيرادها في هذا الموضع.

ولكن نود إظهار عوامل الفتوحات، ونؤكد أن الإسلام لم يشرع القتال في شأن انتشار الدعوة الإسلامية إلا في حالتين: أولا: الوقوف ضد الدعوة الإسلامية ومنع تبليغها وقتال أهلها وفرض القيود عليها. ثانيا: فتنة الناس في دينهم ومحاربتهم في عقيدتهم والقضاء على الدعوة بكل صور القضاء.

والقتال وسيلة من وسائل نشر الإسلام وتبليغ الدعوة، لما أراد الله إظهار دينه، أيده بنصره وبعباده المؤمنين إذ أمره الله بالهجرة وأذن لهم بالقتال ولم يفرضه عليهم في أول الأمر، ثم فرض الله عليهم القتال ولم يقاتلهم من دون من لم يقاتلهم فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾⁽³¹⁹⁾، ثم أمره الله تعالى بقتال أهل الكتاب إذ لم يسلموا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾⁽³²⁰⁾، وقد جمع الله هذه الخصال الثلاثة، فقال صلى الله عليه وسلم:

(319) سورة البقرة، الآية رقم: (190)

(320) سورة التوبة، الآية رقم: (29)

الْجُهُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

"إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ، فَإِثْنُهَا أَجَابُوكَ إِلَيْهَا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ؛ اذْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ اذْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَعْلِمُهُمْ أَنََّّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَأَنَّ عَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا وَاخْتَارُوا دَارَهُمْ فَأَعْلِمُهُمْ أَنََّّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَادْعُهُمْ إِلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، فَإِنْ أَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا تُنْزِلْهُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا يَحْكُمُ اللَّهُ فِيهِمْ، وَلَكِنْ أَنْزِلُوهُمْ عَلَى حُكْمِكُمْ، ثُمَّ اقْضُوا فِيهِمْ بَعْدُ مَا شِئْتُمْ". (321)

وهذه كانت قاعدة التي أرساها رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير عليها المسلمين من بعده، ولم ينتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل الله له الدين، وأتم عليه النعمة - ثم خلفه ابوبكر الصديق فسار على ذلك من الفتوح والقتال وخلفاؤه الراشدون من بعده، وسار معاوية بن أبي سفيان كذلك على منهج من سبقهم في نشر الإسلام باللسان والسنان، وتابعهم خلفاء بني أمية، فاستطاعوا أن يفتحوا في عصرهم من البلاد التي كانت تعيش في ضلال وظلمة وجهل.

إن الفتح الإسلامي فتح اعتمد على البلاغ والتبليغ وإدارة شئون الحضارة وتعمير الكون عام والبلاد المفتوحة خاصة، ولا نستطيع أن نجعل الجهود التي قام بها الدولة الأموية في نشر الدعوة الإسلامية في انحاء العالم، ونستطيع أن نقول أن الخطة التي قام بها الرسول عليه السلام لينشر الإسلام به في العالم هي التي طبقت خلال

(321) ابن ماجة القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيرهم. دار الرسالة العالمية، ط/

1، 1430 هـ، 2009 م. (4 / 118 - 119)، رقم الحديث: 2858. باب وصية الإمام، إسناده صحيح

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

هذ العصر، (العصر الأموي)، فقاموا بالفتوحات العظيمة في البلاد التي لم يرح فيه رائحة الإسلام وتعاليمه، وكان كل ذلك بالعدل والمساواة الذي وضع الإسلام أصولاً وقوانيناً له، حتى أن التاريخ لم يسجل أن الأمويين قد أجبروا شعباً على اعتناق الإسلام، بل في الحقيقة أنهم منحوهم الحرية المطلقة في أن يحيوا كراماً.⁽³²²⁾ وهنا نرى أن جهاد الدولة الأموية لم يكن سفكاً للدماء ولكنه كان الرد على العدوان، وحماية المستضعفين المظلومين، أو الجهاد ضد من يساعد المعتدين على المسلمين. والدولة الأموية هي أكثر دول الإسلام نشراً له، فقد شهدت حياة بعض الصحابة وبدأها التابعون وأتباع التابعين، وقد تحركت للجهاد وفق تعاليم الدين الإسلامي.

وفي هذا المجال نستطيع أن نقول أن للفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر آثار عميقة شملت النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية، وتجلت بعض هذه الآثار بصفة مباشرة عقب الفتح الإسلامي كما أن لبعضها آخر - وهذا ما يحدث في معظم فتوحات المسلمين - تجلى فيما بعد في أطوار مختلفة.

إن ما حدث في بلاد ما وراء النهر إبان الدولة الأموية من فتوحات، هي امتداد طبيعي للأسس المتينة والقواعد الراسخة لصفقة النهوض الذي أسسه رسول الله [وأكمل بناؤه الخلفاء الراشدون ما بعده. فقد حاول المسلمون أن يطبقوا أحكام الشريعة على أنفسهم بفهم صحيح، ويحملون رسالة التوحيد إلى الإنسانية كلها فأقاموا أمة وأنشأوا دولة أعلنوا كلمة الله في الأرض حقاً وصدقاً، التي تعطي الناس الحرية التامة مع القواعد والضوابط والأصول، وقد طبقوا الأحكام الشرعية كأنها عقيدة وشريعة

(322) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، (ص/ 235-236). حسني محمد إبراهيم غيطاس، الدعوة

الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، المكتب الإسلامي - 1985م، (ص/ 24)

الْجُهْدُ الدَّعَوِيُّ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

وأخلاقاً وحياة ومعاملة، يشمل جميع أمور الحياة في المجتمع الإنساني⁽³²³⁾، ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة خالق العباد.

وليس بعيداً أن نقول بلاد ما وراء النهر لا سيما مدينة سمرقند المركز الرئيسي لهذه البلاد رأى ما لا مثيل له في تاريخ البشرية من تسامح وعدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها، فعلموا أن هذه أمة حكمها رحمة وسماحة ونعمة، وكان ذلك سبباً للإسلام أغلب أهل سمرقند الذين لم يرى من حكامهم القداما إلا الظلم والإستبداد.

(323) انور الجندى، بماذا انتصر المسلمون، (ص/ 6) وما بعدها. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة،

(ص/ 51 و 56)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

المبحث الأول: عوامل نجاح الفتوحات ونشر تعاليم الإسلام في بلاد ما وراء النهر

المطلب الأول: عوامل نجاح الفتوحات الإسلامية

هناك أسباب عدة في سرعة نجاح الفتوح ونشر الدين الإسلامي التي تمت في بلاد ما وراء النهر لا سيما في عهد الدولة الأموية، فبعضها يرجع لنفسية الفاتحين وقضية الدعوة الإسلامية، وبعضها يرجع إلى الأمم المقهورة والشعوب التي كانت محكومة للفاتحين، ومن العوامل التي تتعلق بنفسية الفاتحين وقضية الدعوة الإسلامية:

1. أصالة الصفات الحربية في المسلمين

لقد كان العرب منذ جاهليتهم مفتورين على حب الفروسية ومزاولة أعمال البطولة العربية وساعدتهم بيئتهم الحربية على تنمية غريزة المقاتلة فيهم، وقد كانت تلك الغريزة نجد مجالا واسعا لإشباعها في أيام العرب وحروبهم التي كانت لا تكاد تنقطع في الجزيرة العربية، فلما جاء الإسلام جمع العرب على كلمته ونظمهم في سلك الأخوة الإسلامية وقضى على أسباب الفرقة والتشاحن بينهم، فلم تجد تلك الغريزة لها متنفسا، ولما كانت حاولت الظهور لرد عدوان قريش كفكف الرسول عليه السلام غربها وأمر أصحابه أن يكفوا أيديهم حتى يأذن الله له في القتال، فلما أذن الله له فيه نشطت رغبتهم الحربية من عقالها ووجدت الفرصة سانحة لإستغلالها، فاندفعت قوى المسلمين جارفة عارمة على ما يقف في طريقها لإعلاء كلمة الله، وقد ظلت تلك الغريزة تزاوّل نشاطها حتى دان للمسلمين العالم المجاور لهم واتسع سلطانهم. فكان الجيش يلتزم بالطاعة والإمتثال لأوامر قواده وبالولاء للخليفة وبالإيمان بالعقيدة التي يدافع عنها ويعمل على نشرها.

2. إيمان الجيش بقضية عدالتهم

الْجُهْدُ الدَّعْوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

إن إيمان الجندي بقضية العدالة التي يحارب من أجلها عامل له أكبر الأثر في نصر الجيوش واندحارها، فالיום الذي يحارب الجندي في سبيل قضية يؤمن بخسranها، هو اليوم الذي تتم فيه هزيمته، واليوم الذي يحارب فيه مؤمنا يؤمن راسخا بأنه على حق، هو اليوم الذي يتم فيه نصره، وإن أقوى غرض مشترك في الجيش هو أن يعتقد أفرادهم أنهم أداة الخالق بتنفيذ أحكامه، وأي قوة تستطيع في وجه القوة الإلهية؟ ولقد كان المسلمون كذلك، فإنهم كانوا يعتقدون أنهم جند الله يحاربون لإعلاء كلمته ونشر دينه، بينما يقاتل أعداؤه في سبيل الشيطان، ولن ينتصر الشيطان يوما على الرحمن، حيث قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾⁽³²⁴⁾.

وكان المسلمون يعتقدون اعتقادا راسخا أنهم يحاربون في القتال على أية حال، فأحدهما إما أن يقتل مجاهدا فيفوز بنعيم الجنة وإما أن ينتصر فيعود بالأجر والغنيمة ويكون قد حصل خير الدنيا والآخرة. فقد ملأ قلوبهم من شجاعة احتقارهم التام للموت الذي قرره في أذهانهم دينهم الجديد كإيمانه بوجهة نظره واطمئنانه على مصيره المحمود في حالتي النصر أو الغلبة، فما بالك به إذا كان يعتقد إنه من حرب الله الذي ينزل عليهم نصره⁽³²⁵⁾، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾⁽³²⁶⁾.

(324) سورة النساء، الآية رقم: (76)

(325) فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1950م، (1/ 176)

(326) سورة التوبة، الآية رقم: (52)

1. عالمية الدعوة

كان من أسباب نشر الإسلام في أنحاء العالم لاسيما بلاد ما وراء النهر هو الوصول إلى الناس أن الدعوة الإسلامية رسالة عالمية، ورسالته رسالة للبشر كله لا لأمة دون أمة ولا لشعب دون شعب ولا لمسلم فقط، وفي عالمية الرسالة الإسلامية يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾⁽³²⁷⁾، بمعنى إرسال هذه الرسالة كافة وعامة لجميع الناس تمنعهم من الخروج عن الإنقياد لها، وأن تكف الناس من الكفر بشيرا بالوعود ونذيرا بالوعيد⁽³²⁸⁾، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾⁽³²⁹⁾، إن في هذه الآية تحقيق الرسالة إلى الخلق بالكلية، فالآية ترد شبهة طائفة اليهود⁽³³⁰⁾ بأنهم يقولون أن محمدا رسول صادق مبعوث إلى العرب وغير مبعوث إلى اسرائيل، فقول "يا أيها الناس" خطاب يتناول كل الناس⁽³³¹⁾، وقال في مقام آخر: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽³³²⁾، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تدل أن رسالة محمد [ليس رسالة لأمة مختصة

(327) سورة سبأ، الآية رقم: (28)

(328) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب-التفسير الكبير، (تفسير الرازي)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط / 3، 1420هـ، (25 / 206)

(329) سورة الأعراف، الآية رقم: (158)

(330) هي طائفة يقال لهم العيسوية وهم أتباع أبي عيسى اسحاق بن يعقوب الأصفهاني، ابتداء دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد. انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، (2 / 20)

(331) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، (15 / 382 - 383)

(332) سورة الأنبياء، الآية رقم: (107)

الْجُهْدُ الدَّعَوِيُّ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

وأن دين الإسلام هو دين عالمي البشر، فقد قام قادة أمة الإسلام بتطبيق عالمية الدعوة في انحاء العالم كقتيبة بن مسلم الباهلي في بلاد ما وراء النهر وغيرهم.⁽³³³⁾

2. حرية العقيدة

وهو بقاء كثير من الأديان الغابرة التي كانت موجودة قبل الإسلام في بلاد ما وراء النهر وغيرها. فإن المسلمون لا يكرهون غيرهم على اعتناق الإسلام، فقد بقيت "الخاتون" ملكة بخارى مثلاً على دينها خمسين سنة وهي تحكم في ظل الفتح الإسلامي، ومن الواضح أن المسلمين كانوا يستطيعون إكراهها على اعتناق الإسلام، وكانت تستجيب للوعد والوعيد، ولكنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾⁽³³⁴⁾. وقد اعتنق ابن الخاتون "طغشادة" من بعدها وقاتل مع المسلمين في صف واحد، وظل يحكم بخارى طيلة حياة قتيبة كما بقي ملك بخارى في يده بعد قتيبة في عهد نصر بن سيار، فملك بخارى اثنين وثلاثين عام، حتى أن بنيات بن طغشادة حكموا بخارى بعد ذلك⁽³³⁵⁾، لكن لم يذكر أحد أنه أجبر على اعتناق الدين الجديد.

وكان بإمكان المسلمين إكراه الأمم المغلوبة على أمرها لإعتناق الدين الإسلامي، ولكنهم لم يفعلوا حتى وأنهم عينوهم على مناصب عالية في الدولة، وأكبر دليل على تسامح مع المسلمين وتطبيقهم مبدأ: حرية العقيدة، وهي الأديان المختلفة الموجودة قبل الإسلام، ولا زالت تجد في تلك البلاد المفتوحة، وبين مجتمع الأغلبية من المسلمين الفاتحين. وهنا نستدل بأن الإسلام لم ينشر بالسيف حيث أن المفترين المغرضين يشكون ويشتهبون، وإن كان ذلك، فكيف إذا انتشر هذا

(333) وكان من قادة المسلمين كمحمد بن القاسم الثقفي وموسى بن نصير وطارق بن زياد وغيرهم

(334) سورة البقرة، الآية رقم: (256)

(1) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 24)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الدين في البلاد غير المفتوحة في الشرق والغرب، مع العلم أن عدد المسلمين في البلاد غير المفتوحة هي أكبر بالنسبة للبلاد المفتوحة، وعلى هذا أدلة كثيرة في التاريخ الإسلامي. وكذلك عاشوا آلاف اليهود والنصارى في البلاد المفتوحة بضعة قرون، لكنهم لم يروا أي خطراً لعقيدتهم بل وجدوا حرية تامة تحت قواعد وضوابط الشريعة الإسلامية.

3. بناء المساجد

وجاءت الخطوة التالية في سبيل نشر الإسلام في بلاد ما وراء النهر هي بناء المساجد في جميع انحاءها، فلم يغفل قتيبة بن مسلم أهمية بناء المساجد كمركز للسيادة الإسلامية حيث أقام أول مسجد جامع في بلاد ما وراء النهر سنة (94هـ / 712م)⁽³³⁶⁾. وكان قتيبة بن مسلم يدرك أن الإسلام لا يزال جديداً على أهل بخارى فضلاً عن خطورة مردة المجوسية الذين أحاطوا بالمدينة بالخارج، وكان قد شجع الناس على الدخول في الإسلام بأن أمر مناديه بالخروج كل يوم جمعة ليعلن بينهم عن منح كل من يأتي لصلاة الجمعة درهمين، وكان أثر ذلك أن ازدادت رغبة الناس في الإسلام حتى أن ضاق المسجد بالمصلين. وقد ذكر البلاذري⁽³³⁷⁾، "واتخذ فيها سمرقند مسجداً، وخلف بها جماعة من المسلمين فيهم الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير"، ويفهم من كلامه أن دور المسجد لم يقتصر على العبادة فحسب، إنما كانت مدارس الثقافة الإسلامية العربية في البلاد، وكان أتراك ما وراء النهر يتعلم فيها الإسلام وتعاليمه واللغة العربية.

(2) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 77). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (4/ 275)

(337) فتوح البلدان، (ص/ 396)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةِ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

ويجب أن نلاحظ أن عملية إنشاء المساجد ليست عشوائية في أي مكان متاح، ولكن كان يختار لها مكانا يصل الهدف التي أنشأت من أجله، وهي الدعوة الإسلامية، فكان من خطة القائد قتيبة بن مسلم أن يبني مسجدا في أسواق مهمة⁽³³⁸⁾، الذي كان مركزا مهما للرهبان البوذيين والزرادشتيين على مر العصور، حيث أقيم فوق معبد مجوسي، وكان من ذكاء قتيبة اختيار هذا الموقع لمواصلة نشاطه في ضرب الديانات الوثنية، ففي هذا السوق كانت تباع الأصنام الضخمة والتمائيل البوذية⁽³³⁹⁾، فقام قتيبة بهذا العمل إلى شل حركة السوق الذي تباع فيه الأصنام وجعل لا قيمة له، ونلاحظ ذلك أيضا في جوامع البلاد الأخرى، حيث أنه أقيم بالمساجد في وسط المدينة لسرعة التبليغ والقضاء على أي عبادات أخرى بطرق سلمية، وكذلك إنشائها على رؤوس الطرق التي ترتبط بين المدن فيما وراء النهر⁽³⁴⁰⁾، فكان هذا الأمر ساعد قتيبة بن مسلم وغيره من الأمراء في نشر الدعوة الإسلامية عن طريق المساجد وغيرها من المراكز الثقافية.

وكذلك أقام قتيبة مصلى للعيد بالقرب من المسجد الجامع⁽³⁴¹⁾، وقد أدى المسلمون الصلاة في هذا المكان لعدة سنوات، وفيها إظهار لشعائر المسلمين بين سكان المدينة. وكان قد وصل عدد المساجد في بلاد ما وراء النهر في عصر الأمويين نحو ثلاثة وسبعين مسجدا، وهو عدد ضخم في البلاد التي لم تكن فيها آثار الإسلام، فهذا يعكس لنا أهمية هذه المساجد، ويؤكد في الوقت نفسه أن معظم هذه المساجد قد تكون من بناء أهل هذه البلاد مما ينهض دليلا على حسن إسلامهم.

(338) المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص / 376-377)

(339) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص / 40). السمعاني، الأنساب، (5 / 159)

(340) محمد أحمد، بخارى في صدر الإسلام، (ص / 99)

(341) انظر للمزيد عن هذا عبر العصور، انظر: النرشخي، تاريخ بخارى، (ص / 82-83)

4. العلماء والصوفية

من الأمور التي ساعد في نشر الإسلام هم العلماء والصوفية ومؤلفاتهم القيمة، على أساس أن فتوحات المسلمين ونشر الإسلام لم يكن يستقر هناك إلا من خلال بعض الجهود التي كان من ضمنها دعوة العلماء وفكرهم ومذاهبهم ونشر المدارس التي درسوا فيها، فقد يسرت الإسلام ومنهجه وأصبح أكثر وضوحاً من البداية لمن أسلم ومن لم يسلم من الجنسيات الأخرى في بلاد ما وراء النهر.

ويؤكد المؤرخ شهاب الدين العمري هذا إذ يقول⁽³⁴²⁾: "وأعان على هذا ما في تلك المملك من الأئمة العلماء والمشايخ الأتقياء، فاعتنموا من الأتراك فرصة الإذعان فعالجوهم بدعوة الإيمان وهم الآن على ما اشتهر عندنا واستفاض أحرص الناس على دين وأوقفهم عن الشبهات بين الحلال والحرام"، ولما جاء المسلمون إلى تلك البلاد وجدوا أن معتقدات أهلها كثيرة، وأن فهم غالبيتهم لها فهماً سطحياً، فسهل على المسلمين تحويلهم إلى الإسلام كدين له وعقيدته وعباداته وشرائعه.

وقد ساهم عدد ضخم من علماء بلاد ما وراء النهر على العموم في تشييد صرح الحضارة الإسلامية في العصر ذلك وبعدها في العصر العباسي، ويمكننا أن نرى آثار الفتوحات الإسلامية في العصر نفسه أو العصر الذي بعده، فيمكن أن يتأخر نتائج اليوم إلى الغد وهذه هي طبيعة الفتوحات الإسلامية.

وكان للتصوف والصوفية أثر واضح في نشر الإسلام في بلاد ما وراء النهر، فطرق الصوفية واجتهاد أصحابها وانتشارهم يدعون الناس إلى الإسلام ويعلمونهم مبادئه وأحكامه والقدوة الحسنة ليتحول الجميع بفضلهم إلى الإسلام، وكان الظهور التبشير الفردي الإسلامي سواء في داخل العالم الإسلامي أو خارجه مرتبطاً

(342) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (3/ 145)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

بالتصوف، فإنهم استطاعوا إدخال كثير من الكفار في الإسلام⁽³⁴³⁾ مع عدم استقرارهم في العصر الأموي، وكانت الصوفية يذهبون إلى الصحارى كما أنهم معروفين بعدم الاستقرار في مكان واحد بل كانوا دائمين التنقل والترحال تاركين أوطانهم وأهلهم لدعوة الأتراك وغيرهم إلى الإسلام⁽³⁴⁴⁾، وكانت أهم المبادئ التي يوجهون الأنظار إليها هو التغيير الكبير الذي يتولد في ذهن الناس وفكرهم وحياتهم عندما يعرف حقيقة الله حق معرفة ويعبدونه حق عبادته، وينظم حياتهم على أساس تعاليم الله الخالدة التي جاء بها الرسول عليه السلام.⁽³⁴⁵⁾

5. إسكان العرب وهجراتهم إلى بلاد ما وراء النهر

بعد أن خاض العرب المسلمون العمليات العسكرية في بلاد ما وراء النهر وفتحت معظم المدن في تلك المناطق، وخضعت للحكم الإسلامي، أخذت المجاميع العربية تختلط داخل مجتمع بلاد ما وراء النهر، وكانوا يتوافدون إلى البلاد المفتوحة في موجات بشرية متتابعة يصطحب المقاتلة فيها أهلهم ويستقرون فيها مع قبائلهم ليحفظوا ما فتحوا من أي انقضااض أو عدوان ثم يتخذون من البلدان التي استقرت فيها فتوحهم وانتظمت أمورهم قواعد لإنطلاق آخر إلى الأمام، وذلك إثر عمليات إسكان القبائل العربية في بلاد ما وراء النهر وخراسان، وأخذت هذه المجموعات تؤثر وتتأثر بهما بطبيعة الحياتين المعاشية (الاقتصادية والاجتماعية) في تلك المناطق، وذلك منذ العصر الأموي مرورا بعدها بالعصور.

(343) أحمد رائف، مستقبل الإسلام في روسيا وما وراء النهر. الزهراء للإعلام العربي، 1414هـ-1994م، (ص/ 213)

(344) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، (ص/ 87)

(345) قاسم غني، تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمه: صادق نشأت، مكتبة النهضة المصرية، (ص/ 36 و

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

فإن لإسكان العرب واختلاطهم بين أهل البلاد لها دور كبير في سبيل نشر الإسلام والتمكين للسيادة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، ومن ثم أسهمت في خلق مجتمع جديد. واستقرار العرب في هذه البلاد يقودنا إلى عهد معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م) حيث ولى الربيع بن زياد الحارثي⁽³⁴⁶⁾ حكم خراسان سنة إحدى وخمسين هجرية، فإنه حمل إلى بلاد ما وراء النهر خمسين ألف أسرة عربية من أهل البصرة والكوفة وسكنوا شمال نهر جيحون حيث استفاد الفاتحين منهم خلال الفتوحات في هذه البلاد إذ أن الجيوش العربية تعبر نهر جيحون.⁽³⁴⁷⁾

ويروي أن عبيد الله بن زياد (28-67هـ/648-686م) حاكم خراسان عندما قطع جبال بخارى وبيكند، حمل جمعا غفيرا من أهل بخارى إلى البصرة، وأسكنهم في أماكن خاصة بهم يقول له البخارية⁽³⁴⁸⁾، فإن ابن زياد قد حاول عملية مزج هؤلاء بالمسلمين العرب في البصرة ليتعرفوا على عاداتهم وتقاليدهم، ومن ثم ينشر صدرهم للإسلام، فحدث ذلك حتى صار حي البخارية علما عليهم، وقد اتبع تلك السياسة قتيبة بن مسلم الباهلي في بلاد ما وراء النهر.

ومن جانب آخر أن العرب الفاتحين في تلك البلاد الذين خرجوا من بلدهم الأصلي مختلطين في وسط عرقي غريب، واستوطنوا في عالم آري نمط، تفكيره يختلف عن تفكيرهم غير أنهم بمرور الزمن أصبحوا مقبولين بعد اندماجهم معهم إذ أسهم زواج

(346) ترجمته: هو الربيع بن زياد بن أنس بن الديان، روى عن عمر بن الخطاب، وكان متواضعا خيرا وقد

ولي خراسان وفتح عامتها. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (6/202)

(347) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/396). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (3/83)

(348) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، (3/18). والبخارية هي: سكة بالبصرة أسكنها ابن زياد أهل بخارى

الذين نقلهم وبنى لهم هذه السكة. ياقوت، معجم البلدان، (1/356)

الْجُهْدُ الدَّعَوِيُّ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

العرب بشكل كبير في نجاح التوافق المجتمعي ما بين الطرفين وتطورت العلاقة ما بينها بشكل أفضل.⁽³⁴⁹⁾

وبذلك تحددت أهداف العرب من جراء اسكان القبائل العربية في بلاد ما وراء النهر من عدة جوانب، وهي نشر الإسلام وتطويق الديانات المجوسية والزرداشتية⁽³⁵⁰⁾ وغيرها، وتعميم الإسلام والمعطيات الحضارية الإسلامية، كما هدفت من الناحية الإنسانية إلى إنقاذ الشعوب من النظم والتقاليد البالية المستندة على الظلم والاستبداد الذين وقعوا فيهم، يقول توماس آرنولد⁽³⁵¹⁾، "وما إن تم للمسلمين ما أرادوا على هذا الوجه حتى تنفس الفرس أنفسهم الصعداء ورحبوا بالعرب، حبا في الخلاص من ظلم الحكام أولا ورغبة في إعفائهم من الخدمة العسكرية ثانيا، ثم أملاً في تمتعهم بالحرية الدينية آخر الأمر، وذلك لأن الإسلام كان يبيع لغير المسلمين من يهود ومسيحيين، أن يتدينوا بما يرضون لأنفسهم من دين على أن يدفعوا للمسلمين جزية". فاستبشرت شعوب هذه المنطقة بالفتح الجديد الذي هو خلاصهم من هذه الأوضاع الصعبة، ولا يمكن تحقيق هذه الأهداف من دون حضور إسلامي فيها يتفاعل من سكانها ويؤثر فيهم ولذلك عمدوا إلى انشاء قواعد ثابتة ودائمة تؤمن السيادة العربية الإسلامية في بلاد ما وراء النهر.

(349) نيكيتا إليسيف، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمه: منصور أبو الحسن، دار الكتاب الحديث - بيروت، ط / 1، 1406 هـ، (ص / 162)

(350) هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمه: إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين - بيروت 1964، (ص / 50)

(351) توماس آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، (ص / 235-236)

إن الفاتحين العرب رأوا أن التخلط الاجتماعي يتسبب في نشر الإسلام وتعاليمه ما بين البلاد، فقاموا بالطرق المختلفة لمساعد في نشر الدين الإسلامي بالأمن والسلام دون أن يسفك الدماء فيه.

6. تحول العصبية القبلية إلى عصبية دينية

عرف العرب ما بين الشعوب بحفظ أنسابهم والتعصب للقبلية تعصبا ظاهرا، فقد عاشوا داخل جزيرتهم في شبه عزلة عن غيرهم بفعل الصحارى التي تشمل بلادهم والتي عاشوا فيها قبائل متنافرة متحاربة تلازمهم في القتال روح العصبية القبلية⁽³⁵²⁾، فلما جاء الإسلام بقيادة الرسول عليه السلام فض هذه المنازعات الداخلية والخصومات المحلية بالوسائل السلمية والإعراض عن مبدأ التعصب القبلي الذي كان يتحكم في علاقات العرب بعضهم ببعض في جاهليتهم عن طريق هذه العصبية الجاهلة، وتكوين عصبية من نوع جديد هي العصبية في سبيل الله، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽³⁵³⁾، وتكوين قومية جديدة يستوى الناس جميعا في ظلها هي القومية الإسلامية. ونحن خير شاهدين لذلك في عهد خليفة عمر بن العزيز في الدولة الأموية في جبهات مختلفة لا سيما الجبهة الشرقية بلاد ما وراء النهر، حيث أنه أنهى العصبية القومية مع أنها كانت في مجال التوسع من عهد الأمويين قبل عهد عمر بن العزيز، والتعصب بين العرب وغيرهم، لكنه أنهى هذا الدور بتحقيق العدل وأعطاه الحقوق لكل من يستحق من العرب وغيرهم وعدم التفريق بينهم⁽³⁵⁴⁾.

(352) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، (ص / 308)

(353) سورة آل عمران، الآية رقم: (103)

(354) عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية،

(ص / 167)

نشر الدعوة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر وحل شبهة "عدم نجاح الأمويين"

المطلب الأول: انتشار الدعوة الإسلامية

كانت الحياة الدينية في بلاد ما وراء النهر قبل الفتح الإسلامي لم تطمئن قلوب السكان ولم يكن التأثير الحضاري على ما يتطلبه الناس، ولم تعد تقدم إلى سكان هذه البلاد الروحانيات التي كانت يشعرون بها، وكانوا في انتظار دين جديد يبعث فيهم الأمل ويحميهم من الظلم والاستبداد ويهديهم إلى الطريق المستقيم على أن يطمئنوا قلوبهم بإيمان وإخلاص ويقين، وهذا ما قدمه الإسلام لسكان بلاد ما وراء النهر.

نشر الإسلام بين هذه الممالك متحملين قسوة الجو وجفوة الأتراك. يقول المسنشرق جوزيف شاخت⁽³⁵⁵⁾ في كتابه: "كان المبشرون المتجولون ينتقلون بين القبائل التي لم يتم إخضاعها فيما وراء النهر، ينشرون الدين البسيط، دين الكفاح الذي ازدهر على الحدود بين الإسلام والوثنية". ويثني المستشرق الإنجليزى توماس آرنولد على طريقة المسلمين في كتابه⁽³⁵⁶⁾ بقوله: "ولم تكن القوة أو العنف السبب في اتساع نطاق تحويل الناس إلى الإسلام، بدليل هذه المعاملة التي عامل بها العرب من ظل من الفرس على تمسكه بدينه القديم".

من الجدير بالوضوح أن الغرض من الفتوحات الإسلامية لم يكن كسبا لأرض جديدة أو حصول على الجزية، بل كان الغرض الأصلي الذي سعى المسلمون من أجله وتحملوا المصائب والمشاق، وضحوا بأنفسهم وتركوا ديارهم وعبروا أصعب الطرق والأنهار، فكل هذا لنشر تعاليم دين الإسلام في ربوع هذه البلاد وإعطائهم ما

(355) جوزيف شاخت، تراث الإسلام، (1 / 222)

(356) توماس آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، (ص / 238)

الْجُهُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

يستحقون من الأمن والسلامة واليقين، والتمتع بما يحظون به من الحرية والعدالة والمساواة وغيرها.

وذلك عندما فتح قتيبة بن مسلم مدينة سمرقند فعرض عليه فدية ومغانم كثيرة، بيد أن قتيبة لم يقبل ما عرض عليه إلا إذا أقبل أهل سمرقند بناء مسجد لهم ببلدتهم وأن يقيم بين ظهرانيتهم كالفاتح وصلى فيه وخلف بها جماعة من السلميين، فهذا السلوك الطيب من قتيبة ترك نفوس السكان دويا هائلا رائعا وأثرا عظيما باقيا جعلهم يقبلون على الإسلام متشبثين به مستبشرين - وذلك لأن عامة الناس كانوا يدعون أن قتيبة يفتح البلاد ليحصل الغنائم ويصر على أخذ الجزية لكن أثبت قتيبة على أنه ليس في الحقيقة ذلك، وكذلك أسكن قتيبة الأسر الإسلامية من خراسان وأسكنها في سمرقند.

وكان من بين جهوده في نشر الإسلام أنه عين مكافآت مالية لمن يحضر منهم صلاة الجمعة⁽³⁵⁷⁾، وذلك حتى يعتاد الناس على أركان الدين لأنهم جدد في الإسلام. ومن جهوده أن معظم سكان الأصليين لبلاد ما وراء النهر لم يكونوا ينطقون بالألفاظ العربية، ولعله أجاز لهم الصلاة بلغتهم بعد استقراء أقوال العلماء في هذه المسألة، فأجاز بعض العلماء في حالة إذا أجبر الرجل بالقراءة في الصلاة بغير العربية، بمعنى إذا لم يقدر تحسن النطق بالعربية يجوز له الصلاة بغير العربية، وفي حالة القدرة عليها لا تجوز، واحتج الإمام أبو حنيفة بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾⁽³⁵⁸⁾، قالوا والعجم لا يعقلون الإنذار إلا بترجمته.

(357) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 78)

(358) سورة الأنعام، الآية رقم: (19)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

وفي الصحيحين⁽³⁵⁹⁾ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ) ، وعن سلفان الفارسي رضي الله عنه، أن قوما من الفرس سألوه أن يكتب لهم شيئا من القرآن فكتب لهم فاتحة الكتاب بالفارسية ولأنه ذكر فقامت ترجمته مقامه كالشهادتين في الإسلام وقياسا على جواز ترجمة حديث النبي [قياسا عالي جواز التسبيح بالعجمية⁽³⁶⁰⁾ ، ذكر وبها قال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأبو حنيفة (بعد أن رجع عن قوله السابق)⁽³⁶¹⁾ . وكان القادة المسلمين يستعملون طرق مختلفة ليجتذب الناس إلى دين الإسلام لسبب أن سكان هذه المناطق كانوا أبعد من الأديان السماوية وعاداتهم مختلفة عن عادة أهل الإسلام وأهل الكتاب تماما.

كان أمراء الدولة الاموية من الفاتحين يحرصون على دعوة الإسلام، وإخراج المجتمعات من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، فكان قتيبة بن مسلم يهتم ببناء المساجد في المدن والقرى والأرياف، ويضع فيها العلماء والمربين والفقهاء لتربية الناس وتعليمهم الأحكام الإسلامية، وقد تحدثنا ذلك سابقا. وكذلك تسكين الزواج بين المسلمين وسكان الأصليين والمصاهرة ما بينهم، وذلك ليطلعوا على تعاليم الإسلام وعادات المسلمين وأخلاقهم عن طريق الاحتكاك بهم وأن لا يرتدوا

(359) البخاري، صحيح البخاري، (4 / 113)، رقم الحديث: (3219). مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، (1 / 561)، رقم الحديث: (819)

(360) محمود محمد خطاب السبكي، المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، (5 / 267)

(361) علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (1 / 112). وقال النووي: مذهبنا أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب سواء أمكنه العربية أو عجز عنها، وسواء كان في الصلاة أو غيرها فإن أتى بترجمته في صلاة بدلا عن القراءة لم تصح صلاته سواء أحسن القراءة أم لا. انظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المجموع شرح المذهب، (3 / 379 -

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

عن الإسلام، مثل ما حدث مع أهل بخارى⁽³⁶²⁾، فأظهر الإسلام بهذه الطريقة وأزال آثار الكفر ورسم المجوسية الذي كانت شائعة بينهم. وكان قتيبة بن مسلم استخدم نفس الوسيلة في توطيد النفوذ العربي في المدن والمراكز التجارية الكبرى في بلاد ما وراء النهر حتى وصلت عمليات التوطين هذه إلى بلاد الشاش وفرغانة من ممالك السيوونية.⁽³⁶³⁾

فإلى جانب توطين العرب في بلاد ما وراء النهر الذي تحدثنا عنه، كان هناك جانب آخر ساعد على نشر الإسلام، ألا وهو عملية الزواج والمصاهرات التي كانت تتم بين الجنود العرب المسلمين وكذلك بعض القادة الخلفاء وبين النساء التركيات الذي حدث ذلك الزمن.

فقد كان قتيبة بن مسلم اتبع سياسة مرسومة في تسكين العرب واستقرار أفرادها استقراراً حقيقياً في بلاد ما وراء النهر، وهي سياسة تنطوي على تأثيرات قبلية، كما هي عادة العرب في البلاد التي فتحوها⁽³⁶⁴⁾، فيذكر النرشخي، أن من شروط الصلح التي أبرمها قتيبة بن مسلم مع حاكم إقليم الصغد، أن يعطي المسلمين نصف الدور والضياح⁽³⁶⁵⁾، مما ينهض دليلاً على أن قتيبة بن مسلم كان يدرك مدى أهمية العامل الاجتماعي في نشر الدعوة الإسلامية بين هؤلاء الناس، ويقدر المستشرق فامبري عدد المسلمين الذين تم إسكانهم في البلاد بنحو واحد وأربعين ألف رجل⁽³⁶⁶⁾. فأقطع قتيبة بن مسلم الناحية الممتدة من باب السوق (أول أبواب المدينة) ويسمى باب

(362) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 73). فامبري، تاريخ بخارى، (ص/ 67)

(363) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 420)

(364) آدم متز، الحضارة الإسلامية، (2/ 195)

(365) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 84)

(366) فامبري، تاريخ بخارى، (ص/ 63)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

العطارين، إلى باب الحديد (باب نوه) لقبيلتي ربيعة ومضر من العرب، وما تبقى أقطعه لأهل اليمن (اليمنية)⁽³⁶⁷⁾. فكان قتيبة بن مسلم قد سمي أبواب وشوارع المدينة على أسماء العرب ونسب إليهم والبعض منهم أحد قواده، ومنهم: باب بني سعد نسبة إلى بني حسن بن علاء السعدي - لعله أحد قادة جيش قتيبة - حيث لم تمدنا المصادر بشيء عنه. باب بني أسد كان يسكن فيه أمير خراسان اسد بن عبد الله القسري في قصر كبير فيطلق على الباب هذا الاسم. وباب المجوس الذي كان عليه أغلب بيوت العرب نظرا لحصانة هذا الباب، ويبدو أن تلك الجهة كانت تسكنها المجوس والوثنيون، الأمر الذي يفهم منه رغبة قتيبة في أن تؤدي هذه السياسة إلى إزاحة آثار هذه العقائد القديمة⁽³⁶⁸⁾. وكانت تسكن العرب من قبيلة بني بكر بن وائل في مدينة وذار⁽³⁶⁹⁾، والذي بلغ عددهم في جيش قتيبة بن مسلم نحو سبعة آلاف مقاتل، وقد اشتغلوا بالزراعة واشتهروا بكرم الضيافة وحسن الاستقبال وعرفوا باسم الساعية⁽³⁷⁰⁾، يقول ابن حوقل: "وكانت لهم بسمرقند ولايات، ودور وضيافات وأخلاق حسنة يتواصفونها ويذكرونها، وأدركت منها طرفا دل قليله على كثير سلف منه".⁽³⁷¹⁾

ولو استعرضنا كتاب "الأنساب" على سبيل المثال وجدنا كثيرا من الأعلام الذين ولدوا في بلاد ما وراء النهر ونسبوا إلى مدنها، وهم في حقيقة الأمر ينتمون إلى أصول

(367) (اليقوبي، البلدان، (ص/ 120). أبو جنيفة أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد

المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1960 م. (ص/ 514)

(368) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، (4/ 201). محمد أحمد، بخارى في صدر الإسلام، (ص/ 89)

(369) من قرى سمرقند، على بُعد أربع فراسخ منها، وتمتاز بكثرة بساتينها، انظر: ياقوت الحموي، معجم

البلدان، (5/ 369)

(370) ابن الأثير، الكامل، (4/ 295). ياقوت الحموي، معجم البلدان، (5/ 369)

(371) صورة الأرض، (2/ 499)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

عربية، ومنهم: أبو محمد سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي (150 - 215 هـ) حفيد القائد قتيبة، سكن في بخارى ومات بها⁽³⁷²⁾. أبو نصر بن عثمان بن سعيد، حفيد القائد قتيبة، سكن بسمرقند ومات بها سنة (381 هـ)، وهناك أمثلة أخرى التي ذكرت المؤرخ السمعاني في كتابه.

وعلى إثر ذلك أدت عملية إسكان القبائل العربية في بلاد مام وراء النهر إلى نتائج مهمة من الناحية الاجتماعية تمثلت بمدى احتكاك العرب بالسكان المحليين أو استيطانهم في بلاد العرب، ومدى تباين موقفهم منهم من مؤثرات حضارتهم، إذ تأثر العرب الفاتحين بحضارة تلك المناطق الشرقية، وبمرور الوقت امتزجت الحضارة الإسلامية بالحضارات الشرقية القديمة المختلفة، حتى ولدت حضارة عربية جديدة في تلك المناطق المفتوحة، مما انعكس بشكل إيجابي على طريقة حياتهم اختلفت عن حياة أجدادهم العرب القدماء أصحاب البادية وتعارضت معها⁽³⁷³⁾. ومن الجدير بالذكر أن قتيبة بن مسلم استفاد من أي وسيلة وجدها لترغيب الناس في الإسلام، حتى أنه كان يعطي درهمين لكل من يحضر صلاة الجمعة ليسمع الخطبة ويتعلم من الإسلام من شيء، فأدى هذا الأمر إلى إسلام كثير من الناس.

المطلب الثاني: حل شبهة "عدم نجاح الأمويين في توسع الدولة الإسلامية"

إن إنجازات الدولة الأموية في مجال نشر الدعوة الإسلامية كثيرة لا تحصى، فحاولوا نشر الإسلام في انحاء العالم من بلاد الشرق في ما وراء النهر وخراسان، والغرب في بلاد الروم والأندلس، والفارس في خراسان وايران وإلى غير ذلك، لكن

(372) السمعاني، الأنساب، (1/ 275)، راجع للامثلة الأخرى من نفس الكتاب، (1/ 341)، (2/ 66)،

(2/ 67)، (2/ 289)، (5/ 418)، (5/ 556) وغيرهم

(373) آ.آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمه وتحقيق: عبد

الهادي عبله، أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، 1985م، (ص/ 23)

الْجُهْدُ الدَّعَوِيُّ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

أشار البعض أن من حسب التوقعات لم تكن تنجح الدولة الأموية في نشر الدعوة الإسلامية إلى ذلك الحد، وهذا الكلام لعدم جهودهم الكاملة في هذا المجال، فإن الدولة الأموية حاولوا الفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام في أصعب دور من الإسلام، ولها عدة أسباب، وإن لم تكن لها آثار واضحة في حينها فإنها فتحت مجالا للدولة الأموية الثانية والدولة العباسية في انحاء العالم في مجالات فتح تأسيس المراكز التعليمية والثقافية والحضارية وغير ذلك. لكن مع كل هذا، هناك شبهة وقعت فيها بعض المؤرخين بأن الدولة الأموية لم تكن لها اهتمام خاص في نشر الدعوة الإسلامية، وهذه الشبهة لا يستطيع ردها بأكملها من جهة لوجود عدة أسباب واقعية لها، منها:

أولاً: تولية خلفاء الأموية الولاية العسكرية في المناطق، والمثال الواضح لها تعيين الحجاج بن يوسف الثقفي على بلاد خراسان وما لها، وكان الحجاج كان رجلا شديدا لا يعرف الرحمة واللين ويحاول حل معظم المشكلات بالسيف والشدة، فأدى تعيينه في بعض الأحوال إلى وجود الفتن الداخلية بين المسلمين، وكان له أعمال يخالف الشريعة الإسلامية، وله بعض الأمثلة التي ذكرناها سابقا.

ثانياً: ظلم بعض الولاة على الشعب، كان آثار الفتوحات الإسلامية ظهرت في بلاد ما وراء النهر حيث يميلون الناس إلى الإسلام ويدخلون فيه، ففرض بعض أمراء الحجاج الجزية على كل من أسلم ولم يسلم، فهذا العمل أدى إلى ترك كثير من الناس إسلامهم حين أنهم يقولون: إن كنا ندفع الجزية في الإسلام فما بال أن نتنقل إلى ديننا القديم.

ثالثاً: الترويج إلى المجال العسكري أكثر من الدعوة، كان لها عدة أسباب، فيروي أن عبد الملك بن مروان عندما تولى الحكم أخذ المصحف ووضع في الزجاج

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

وقال: "هذا آخر عهدنا بك هذا فراق بيني وبينك"، وخرج يخطب المسلمين وقال: فإنني لست بال خليفة المستضعف ولا بالخليفة المدهن ولا بالخليفة المأفون (كان يعني خلفاء الإسلام بعد عمر بن الخطاب)، ألا وإني لا أداوى هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه" (374).

وكان عبد الملك بن مروان يجد في أن المسلمين يصلون ويصومون ويؤدون الزكاة ولكن المجتمع مملوءة من الفتن والمشاكل الداخلية والخارجية، وكأنه يريد أن ينتهي من التفرق الداخلي بين المسلمين، ويرى أن الدين ليست صلاة وصوم وزكاة فقط، بل إنه يشمل جميع نواحي الحياة من الأخلاق والمعاملات والحرية والإستقرار والأمن والعسكر والإدارة وغير ذلك، فعزم الخليفة عبد الملك أن يواجه لحل هذه المشكلات بقوة وشدة حتى يتفرغ إلى العدو الخارجي. وكان الحروب والفتوحات تحت ولاية الحجاج بن يوسف أكثر شدا من غيرها.

انتقد بعض المؤرخين عبد الملك بن مروان بقوله هذا، لكن الأصل هو شمولية الدين إلى جميع نواحي الحياة. ولم يكن هذا جديد بل بدأ المشاكل بعد وفاة الخليفة الثالث عثمان بن عفان، واستمرت في العص الأموي إلى وجود الخوارج والثورات الداخلية. فهذا يعني أن الدولة الأموية أجبرت أن يتوجه إلى مجال العسكر أكثر من غيرها وذلك لمقتضياتها. فوحدة الأمة أشد ضرورة من غيرها من الدعوة ونشر الإسلام، لأن الفتن الداخلية وشغل المسلمون بالحروب ما بينهم أدى بعدم نشر الدعوة حسبما يتوقع منهم.

(374) ابو بكر البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغر الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى: 1422هـ-2002م، (12/126). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (30/534-535). ابن كثير، البداية والنهاية، (9/76-77)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

لو كان هناك أي شبهة في عدم نشر الدعوة الإسلامية في عهد الدولة الأموية لا سيما في منطقة بلاد ما وراء النهر كان لها عدة أسباب ذكرنا بعضها، لكن من الجدير بالذكر أن نقول ليس لأي دولة أن يطبق كل ما يحصل من الأمور في حينها، بل يتأخر إلى عهد بعدها وهذا أمر طبيعي في الحياة، فكانت للدولة الأموية لها آثار واضحة، فإنها فتحت مجالا للدولة الأموية الثانية والدولة العباسية في انحاء العالم في مختلف المجالات، وذلك في نشر الدعوة الإسلامية وإدخال الناس في الإسلام أفواجا، وتأسيس المراكز التعليمية والثقافية والحضارية وغير ذلك.

الفصل الثالث

الوسائل والأساليب المستخدمة في المجال السياسي ونشر الإسلام

المبحث الأول: الوسائل المستخدمة فيها

المطلب الأول: مفهوم الوسائل

لغة: الوسائل جمع وسيلة، على وزن فعلية، وقد تجيء الفعلية بمعنى الآلة. قال ابن فارس⁽³⁷⁵⁾: (وَسَّلَ) الواو والسين واللام: كلمتان متباينتان جدا. الأولى الرغبة والطلب، يقال وسل، وسلت إلى ربي وسيلة، أي: عملت عملا أتقرب به إليه. وتوسلت إلى فلان بكتاب أو قرابة، أي: تقربت به إليه إذا رغب، والواصل الراغب إلى الله، وهو في قول لبيد: "بلى كل ذي دين إلى الله واسل". ومن ذلك القياس الوسيلة. والأخرى السرقة، يقال: أخذ إبله توسلاً⁽³⁷⁶⁾. والجمع الوasil والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد، يقال: وسّل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسّل إليه بوسيلة، أي تقرب إليه بعمل⁽³⁷⁷⁾. وقال ابن منظور⁽³⁷⁸⁾: "الوسيلة: المنزلة عند الملك. والوسيلة: الدرجة. والوسيلة: القربة. ووصل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه. والواصل: الراغب إلى الله".

(375) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، مجمل اللغة لابن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن

سلطان، مؤسسة الرسالة-بيروت، 1406هـ - 1986م (ص/ 925)

(376) خليل الفراهيدي، العين (7/ 298)

(377) أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور

عطار، دار العلم للملايين-بيروت، 1407هـ - 1987م (5/ 1841)

(378) لسان العرب (11/ 724)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

اصطلاحاً: الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير⁽³⁷⁹⁾، عرفها العز بن عبد السلام والقرافي بقولهما: "الوسائل هي الطرق المفضية إلى المقاصد". وعرفها ابن القيم بقوله: "ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء". وعرفها ابن كثير بقوله: "هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود". كما عرفها ابن جزي بقوله: "الوسائل هي التي يتوصل بها إلى المقاصد"، وعرفها المقري بقوله: "هي المفضية إليها أو المقاربة لها الخالية من الحكم في أنفسها".⁽³⁸⁰⁾

من خلال هذه التعاريف فإن الوسائل هي كل ما يتوصل به إلى المقاصد سواء كانت الوسائل شرعية أو غير شرعية، وسواء كانت المقاصد شرعية أو غير شرعية. لهذا قال العز بن عبد السلام: "اعلم أن اكتساب العباد ضربان: أحدهما: ما هو سبب للمصالح وهو أنواع؛ أحدها ما هو سبب لمصالح دنيوية، والثاني ما هو سبب لمصالح أخروية، والثالث ما هو سبب لمصالح دنيوية وأخروية"⁽³⁸¹⁾. فهذه هي الوسائل الشرعية، والمكلف مأمور بها على قدر مراتبها في الحسن والرشاد.

(379) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات (ص/ 252)

(380) العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار الكتب العلمية- بيروت 1414 هـ- 1991 م، (1/ 43). أبو العباس شهاب الدين المالكي القرافي، الفروق=أنوار الربوق في أنواء الفروق، عالم الكتب، (2/ 33). ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية- بيروت 1411 هـ- 1991 م (3/ 109). تفسير ابن كثير (2/ 55). أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي، تقريب الوصول إلى علم الوصول، تحقيق: محمد علي فركوس، ط1، مطابع سجل العرب -دار الأقيسى 1410 هـ (ص/ 253)، أبو الحسن علاء الدين علي البعلبي الحنبلي المقري، قواعد المقري (القواعد)، تحقيق: أحمد بن عبد الله بن حميد، دار الكتب العلمية-بيروت 1403 هـ، (2/ 393)

(381) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام (1/ 9)

وسائل الدعوة في العصر الأموي كانت متعددة ومتنوعة وقد أجاد المشتغلون بالدعوة استخدامها، ووظفوها لخدمة الدعوة بما يتناسب مع متطلبات عصرهم، حيث بلغت الدعوة الإسلامية في تلك الفترة الزمنية أقصى انتشار لها، وأشرقت شمس الهداية على أمم لم تكن تعرف الإسلام أو تدين به. ومن أبرز الوسائل الدعوية في العصر الأموي هي:

• إسكان العرب

إسكان العرب في بلاد ما وراء النهر وإسكان بلاد ما وراء النهر في البلاد العربية الإسلامية من الوسائل المستخدمة في الدولة الأموية، حين اتخذ العرب مراكز ثابتة في خراسان منذ أن وطد الأمويون نفوذهم في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فلما ولي الربيع بن زياد الحارثي خراسان، نقل إليها من أهل البصرة والكوفة خمسين ألف أسرة عربية⁽³⁸²⁾، ويمثل هذا التوافد العربي بداية السياسة العربية تستهدف شمال جيحون، إذ سرعان ما خرج من هذا المجموع العربية من سكن دون النهر بإشارة من الربيع بن زياد، ويظهر أن ذلك الاستقرار البطيء كان بقصد الإرتياد، بدليل أن بعضهم لم ينقلوا أهل بيته إلى ناحية جيحون. ولا يخفى علينا أثر هذه الظاهرة في المجال الثقافي، إذ أسهمت في خلق فرصة أمام أهل بخارى ليختلطوا بالعرب. فتعارف كل منها على تقاليد الآخر مما كان له أكبر الأثر في تضيق ذلك اليوم الشاسع الذي كان بينهما. وفضلا على ذلك بأن أهل بخارى استقروا في البصرة في وقت مبكر من تاريخ الإسلام بعد أن بنى لهم عبيد الله بن زياد مساكن خاصة بهذه المدينة عرفت بحي البخارية أو سكة البخارية⁽³⁸³⁾. وتابع هذا

(382) البلاذري، فتوح البلدان (ص/ 396)

(383) البلاذري، المصدر السابق (ص/ 397). ياقوت الحموي، معجم البلدان (1/ 356)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الأمر سعيد بن عثمان في اسكان النفر الأتراك بين العرب، وكان نتيجة ذلك أن نهض الراغبون في الجهاد ولفتح بلاد ما وراء النهر حتى وصل الأمر للنساء أن شاركن الجنود العرب في عبور النهر. ويرجع الفضل إلى قتيبة بن مسلم في اسكان القبائل العربية واستقرار أهلها استقراراً حقيقياً في بلاد بخارى، وقد استهدف قتيبة بن مسلم من وراء تخصيص استقرار ومنازل للعرب في هذه المدن نشر الإسلام، وقد ذكر ابن كثير⁽³⁸⁴⁾ عن قتيبة بن مسلم أنه "قد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله، فأسلموا"، وكان سكان الإيرانيين سكنوا مع أهالي بخارى نتيجة مجهود قتيبة بن مسلم.⁽³⁸⁵⁾

• إبقاء حكام السابقين على الحكم

أبقى قتيبة بن مسلم حاكم بخارى طغشادة بعد أن فتح هذه المدينة، والتي كان سبب إسلام مئات أهالي بخارى.

• تعيين عمال العرب إلى جانب أمراء الأتراك

فكان قتيبة بن مسلم جعل أيوب الأنصاري أميراً على بخارى في جانب طغشادة.

• سياسة التسامح

بعد فتح قتيبة لبخارى، سمح لهم بعمارة أراضيهم والانتقال بين النواحي، ونعم تجار بيكند بهذه السياسة، ويبدو أن تسامح قتيبة على هذا النحو قد جاء مقترناً بحرص العرب أزاء أعمال مردة الترك الذين نشروا في نواحي بخارى سياسة غاشمة تنطوي على العداء تجاههم يدافع وثنيته، وبلغ الأمر بقتيبة أن أمر العرب بأن يحملوا السلاح عن خروجهم من مدينة بخارى إلى خارجها لصلاة العيد، وكان

(384) البداية والنهاية (7/ 167)

(385) سعيد نفيسي، نشأة وتاريخ حياة الشاعر الرودكي وأشعاره (محيط زندگی و احوال و اشعار رودکی) (ص/ 15)

الْجُهْدُ الدَّعْوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

قتيبة أن سمح لآل كثكثة من التجار بأن يقيموا قصور خارج المدينة، فبنوا سبعمئة قصر إلى جانب بيوت أخرى لاتباعهم وخدمهم الذين مارسوا طقوس المجوس مما ساعد على ظهور مثل هؤلاء المردة. وكان قتيبة قد يعطي درهمين لكل من يحضر الصلاة، وذلك في بداية إسلامهم سببا رغبة الناس في الإسلام.

وكما حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز على العمل بمبدأ التسامح مع أهل بلاد ما وراء النهر في ظل سياسة مرسومة لترغيب الناس في الإسلام، فدعا إليه ملوك ما وراء النهر كما أمر عماله بنشره وقرر العطاء لمن دخل فيه واسقط الجزية عمن أسلم، وكان من سياسته تغيير واليا عند وجود المشاكل في القرية. واستمرت الدعوة السلمية في بلاد ما وراء النهر بعد عهد الخليفة عمر. ففي خلافة هشام بن عبد الملك دعا الوالي أشرس بن عبد الله (108-110هـ) أهالي بخارى وسائر نواحي ما وراء النهر إلى الإسلام وأمر بطرح الجزية عمن أسلم، فسارعوا إلى الإسلام. وأورد النرشخي أن بعض دهاقين من بخارى قد أعلنوا إسلامهم على يد نصر بن سيار، وكان أن لجأ كل منهم يشتكوا من طغشادة بخارى خداة الذي اغتصب أملاكهم بقرى بخارى، كما اشتكوا أيضا من واصل بن عمرو أمير بخارى الذي أخفق في رد الظلم عنهم. (386)

المطلب الأول: مفهوم الأسلوب

لغة: مأخوذة من معنى الطريق الممتد أو السطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، جمع أسلوب هو أساليب، والأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب، يقال: تم في أسلوب سيئ⁽³⁸⁷⁾. ويتناول الزبيدي⁽³⁸⁸⁾ مادة سلب، فيقول: "سلبه الشيء يسلبه سلبا كإختلاسه إياه، ومن المجاز سلبه فؤاده وعقله، وناقاة وامرأة سالب وسلوب ومسلمب إذا مات ولدها قبل أو القته لغير تمام وظبية سالب وسلوب سلبت ولدها، ومن المجاز: شجرة سليب، سلبت ورقها وأغصانها والأسلوب السطر من النخيل والطريق يأخذ فيه وكل طريق ممتد، فهو أسلوب، والأسلوب الوجه والمذهب يقال: هم في أسلوب سوء ويجمع أساليب، وقد سلك أسلوبه: طريقته، وكلامه على أساليب حسنة، من المجاز الأسلوب الشموخ في الأنف".

اصطلاحاً: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيا ألفاظه، أو هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه⁽³⁸⁹⁾. وفي البلاغة الواضحة: هو المعنى الموضوع في ألفاظه مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام والأفعال في نفوس سامعية.

فنفهم من هذين التعريفين أن الأسلوب هو الطريقة التي يسلكها المتكلم للتعبير عن الغرض المقصود من الكلام. والأسلوب الدعوي هو الطريقة أو المنهج الذي

(387) ابن منظور، لسان العرب، (ص/ 2058). لويس معلوف، النجد في اللغة والإعلام، المطبعة الكالوتية-بيروت

1973م (ص/ 302)

(388) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق عبد الحليم الطنطاوي، المجالس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، 1394هـ، (3/ 71)

(389) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيس لبياني الحلبي ومشاركة للسنة 2، (ص/

303). علي جارم ومصطفى أمين، نفس المصدر (ص/ 12)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

يستخدمه الداعية لتبليغ رسالة الإسلام للناس ودعوتهم إلى الدين الحق، فيعتمد على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، كما أشار القرآن الكريم في قول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (390).

المطلب الثاني: الأساليب المستخدمة فيها

إن الدولة الأموية استخدمت أساليب متنوعة في مجال الفتوحات ونشر الإسلام في بلاد ما وراء النهر، فما يلي بعضها:

• القوة العسكرية المنظمة

اعتمدت الدولة الأموية على جيوش مدربة ومنظمة قادها قادة أكفاء مثل قتيبة بن مسلم الذي كان من أبرز قادة الفتوحات في بلاد ما وراء النهر. فكان تعيين قتيبة بن مسلم في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي من خطة استراتيجية للغاية كان لها تأثير في الفتوحات، ففتح المدن الكبيرة مثل بخارى وسمرقند. وهكذا استخدم الحصار الطويلة والاستراتيجيات العسكرية المبتكرة، مثل السيطرة على المدن الكبرى عبر استسلامها أو الاتفاقيات.

• الحوار والتفاهم مع السكان المحليين

لجأت الدولة الأموية إلى إقامة علاقة ودية مع زعماء القبائل المحلية والسكان الأصليين من خلال المفاوضات والترغيب في الإسلام. فالاتفاقيات التي عقدها قتيبة بن مسلم مع زعماء بخارى وسمرقند، مما سمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية مقابل الجزية. وتقديم الحماية للسكان الذين انضموا للدولة الإسلامية خير أمثلة لهذا الأسلوب.

(390) سورة النحل، الآية رقم (125)

• التسامح الديني والثقافي

أظهرت الدولة الأموية تسامحا تجاه الديانات والثقافات المحلية، مما شجع السكان عبي اعتناق الإسلام تدريجيا بدون إكراه. وخير أمثلة في هذا المجال هو استمرار معابد الزرداشتيين والبوذيين في بعض المناطق لفترة طويلة تحت حماية الدولة الإسلامية. والسماح باستخدام اللغات المحلية جنبا إلى جنب مع اللغة العربية حتى تم التعريب تدريجيا.

• استخدام النموذج الأخلاقي

اعتمدت الدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر على النموذج الأخلاقي في التعامل مع السكان، حيث قدم القادة المسلمون أمثلة على التسامح والعدل، مما جذب السكان المحليين إلى الإسلام. فعدالة قتيبة بن مسلم في التعامل مع الأسرى والقبائل المحلية، وإدارة القادة للأقاليم المفتوحة بحكمة دون استغلال السكان خير أمثلة في هذا المجال.

بلاد ما وراء النهر كانت بيئة متنوعة دينيا وثقافيا، واستخدام الأمويون مزيجا من القوة العسكرية والدبلوماسية والتسامح الثقافي لنشر الإسلام. فالأمثلة من بخارى وسمرقند وفرغانة تظهر نجاح هذه الأساليب في تحقيق الاستقرار ونشر العقيدة الإسلامية في هذه المناطق.

الباب الثاني

الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر في المجال
الاجتماعي، والثقافي، والوسائل والأساليب المستخدمة فيها

الفصل الأول

الجهود الدعوية في المجال الاجتماعي

إن طبيعة مجتمع بلاد ما وراء النهر، لاسيما في الفترة التي سبقت عمليات الفتح الإسلامي لمناطقهم، تمكن في غلبة وانتشار الترك فوق جميع أراضي ومدن تلك البلاد، وهؤلاء باعتبارهم مجتمعا قبليا محاربا، فإن حالات الصراع والنزاع بين قبائلهم، بدت طابعا مميزا لهم، حتى بعد نزوحهم من مناطقهم الأصلية واستقرارهم فيما بعد فوق أراضي ما وراء النهر، إذ أن نزعتهم في السيطرة واطهار قوتهم بدت واضحة على أغلب قبائلهم، وبسبب ذلك النزاع قد تفرقت هذه القبائل واستحوذت قدر استطاعتها على أوسع مساحة من الأراضي وسيطرت على مدن مختلفة. وقام رؤسائهم بتكوين ممالك مستقلة لهم، والذي يبدو أنها بدأت ، وتشكلت بالظهور بعد غزو الإسكندر المقدوني قبل الميلاد لبلاد ما وراء النهر، تقليدا للمدن اليونانية أو الممالك التي أنشأها الإسكندر في المناطق التي غزاها ومنها ما وراء النهر⁽³⁹¹⁾، وهذه الممالك غير واضحة التاريخ أو الحدود، إذ أن بعضها يشمل أقاليم واسعة والبعض الآخر صارت ممالك للملوك. وأما أهمها وأشهرها فهي تلك التي تقع في أعلى نهر جيحون وتسمى مملكة تخارستان⁽³⁹²⁾، وكذلك مملكة الختل أو ختلان، ومملكة الصاغانيان⁽³⁹³⁾. وهناك ممالك أخرى في وسط بلاد ما وراء

(391) طه باقر، فوزي رشيد و رضا جواد هاشم، تاريخ ايران القديم، مطبعة جامعة بغداد-190م، (ص/ 67). آرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمه: يحيى الخشاب و عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، (ص/ 16 و 35). قدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج، (ص/ 83)، والتي أشار إلى عدد من المدن التي بناها الإسكندر المقدوني في ما وراء النهر، وكذلك، ياقوت الحموي، معجم البلدان، (1/ 98 و 183)

(392) انظر للتفصيل: اليعقوبي، البلدان، (ص/ 120-121-122)

(393) اليعقوبي، البلدان، (ص/ 122)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْطَائِيَّةٌ

النهر، منها مملكة الصغد⁽³⁹⁴⁾، وهذه المملكة تتكون من وحدات سياسية مستقلة كانت موجودة قبل الفتح العربي الإسلامي هناك وأهمها مدينة سمرقند والتي تعد عاصمة لهذه المملكة⁽³⁹⁵⁾، وربما كانت مملكة فرغانة، ومملكة أشروسنة، ومملكة الشاش⁽³⁹⁶⁾، من ضمن الوحدات السياسية المستقلة لمملكة الصغد، لاسيما وأن البعض منها لم ترتبط إداريا بالعاصمة سمرقند، بل كانت لها عاصمة خاصة بها⁽³⁹⁷⁾. كما ورد الكلام أيضا عن مملكة خجندة في فترة ما قبل الإسلام، والتي يبدو أنها كانت خاضعة لملك فرغانة على اعتبارها إحدى المدن الكبيرة التي تقع ضمن الحدود الإدارية لفرغانة⁽³⁹⁸⁾. ولم تشر المصادر التاريخية إلى الفترة التي كان هؤلاء الملوك يتمتعون بسلطاتهم، أو طبيعة نظام الحكم فيها، إلا أن القاسم المشترك بينها أنها كانت حضارات إقليمية ريفية أو بدوية قديمة، تدين بالولاء المطلق إلى ملكها، لاسيما وأنهم يتحالفون أثناء الحروب ضد أعدائهم، وكان نظامهم لا يمد بعضهم بعضا أثناء الحروب إلا بإذن الملك⁽³⁹⁹⁾، كما أن جميع هذه الممالك كانت تعترف بسلطة الخان أو الخاقان⁽⁴⁰⁰⁾ سيدا لها، وتدفع له الأموال. إذ يبدو أن هذا الخان كان

(394) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، (2/ 354)

(395) القلقشندي، صبح الأعشى، (4/ 435)

(396) المقدسي، البدء والتاريخ، (4/ 79-80). اليعقوبي، البلدان، (ص/ 125)

(397) فقد كانت كاسان عاصمة لمملكة فرغانة، والتي اتخذها بعض ملوك الترك مقرا لهم، ووصفت بأنها مدينة جليلة القدر، عظيمة الأمر. انظر: اليعقوبي، البلدان، (ص/ 125). ياقوت، معجم البلدان، (4/ 295 و 430)

(398) الطبري، تاريخ الرسل، (5/ 648). ابن حوقل، صورة الأرض، (ص/ 419) والذي أشار أن خجندة ضمن فرغانة لكنها منفردة في أعمالها وإدارتها، بارتولد، تركستان، (ص/ 277)

(399) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (5/ 126). لومبار، الإسلام في مجده الأول، (ص/ 23)

(400) هو لقب ملك من ملوك الترك، ويطلق على شيوخ الأمراء، ومعناه الرئيس، انظر: البيروني، الآثار الباقية، (ص/ 110)، الباشا، الألقاب الإسلامية، (ص/ 274)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

يسيطر على جميع الترك بما فيهم ترك ما وراء النهر، وأنه قد يقوم بمهمة قيادة الجيش للقتال إذا تطلب الأمر.

المبحث الأول: مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر وطبقات المجتمع

المطلب الأول: مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر

عرفت في بلاد ما وراء النهر بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والتي تمثل قسما منها بالعادات والتقاليد التي مارسها مجتمع بلاد ما وراء النهر وتطبع بها الأفراد، والتي هي دون شك ليست منفصلة عن الفكر والمعتقدات القديمة التي توارثتها الأجيال، وأنها تجسد حركة المجتمع الإنساني عبر التاريخ في نشاطاته الفكرية والدينية والاجتماعية عموما، إذ تتخلل تلك العادات بعض التقاليد والإشارات والرموز التي اندثر بعضها، وبقيت بعض آثارها عالقة في النفس البشرية متجسدة في الطقوس والتقاليد الاجتماعية، وإن كانت غير واضحة المعالم والحدود، لكنها بقيت وإن جفت عروقها وذهبت أصولها.

أولا: العادات والتقاليد

ومن الملاحظ في مجتمع ما وراء النهر، أنه مجتمع قبلي، متمسك بالتقاليد البدوية، والتي تعد من أبرزها: إكرام الضيف، لا سيما وإن في الكرم استمالة قلوب الناس، واستخدام الاشراف⁽⁴⁰¹⁾، كما أن أهالي ما وراء النهر، إنما يعملون ذلك رغبة في الخير واستجابة لمن دعاهم إليه، فكانوا أهل ثروة وغنى، ولم يقتصر غناؤهم بأنفسهم، بل يصرفون في الأعمال الخيرية مثل: بناء الأربطة، وعمارة الطرق، والوقوف على سبيل الجهاد، ووجوه الخير إلا القليل منهم، لأن في تركيبهم، واخلاط طبائعهم، من تركيب بلدهم، وتربيتهم ومشاكله مياهم، ومناسبة إخوانهم، ما ليس أحد

(401) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية،

تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي-بيروت، 1418هـ/ 1997م. (ص/ 23)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

سواهم⁽⁴⁰²⁾، ولعل أوضاعهم الاقتصادية الجيدة، وظروفهم المعيشية الحسنة، قد انعكس على طبائعهم الاجتماعية، حتى قيل عن أهل ما وراء النهر بأنهم أهل يسار وعفة ومعروف، وضيافة، وتعظيم، وأن الفقير عندهم غانم والغني سالم، حتى إن السائل أو الفقير - إن وجد في مجتمعهم - لا يكاد يخشى من العوز، فلا يقف على باب بل يدخل إلى أي دار يراها، ويطلب ما يسد به جوعه ورمقه⁽⁴⁰³⁾، وقد صور لنا الاصطخري عاداتهم في إكرام الضيف ما ليس عند غيرهم من المجتمعات، فهم يتنافسون إذا ما طرقتهم شخص ما ويتنازعون فيه، وقد شهد منزلا بالصغد في ما وراء النهر، ضربت الأوتاد على باب داره، وأن بابها لم يرد منذ مائة سنة أو أكثر، لا يمنع من نزولها طارق، "وربما نزل بالليل بغتة من غير استعداد، المائة والمائتان والأكثر، بدوابهم، وحشمتهم، فيجدون من علف دوابهم، وطعامهم ودثارهم ما يعمهم، من غير أن يتكلف صاحب المنزل أمرا لذلك، ولدوام ذلك قد أقيم على كل عمل من يستقل به، وأعد ما يحتاج إليه على دوام الأوقات، بحيث لا يحتاج معه إلى تجديد لأمر عند طروقهم، وصاحب المنزل من البشاشة والإقبال والمساواة لأضيافه، بحيث يعلم كل من شاهده، سروره بذلك وسماحته".⁽⁴⁰⁴⁾

وبما أن مجتمع ما وراء النهر، أغلبهم من الترك، وأن بعضهم ينتمون إلى قبائل بدوية فقد كان من تقاليدهم ورسومهم أنهم يجتمعون خلال أوقات الحروب، ليحمي

(402) الاصطخري، مسالك الممالك، (ص/ 290)

(403) المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص/ 214)

(404) مسالك الممالك، (ص/ 289). الطبري، تاريخ الرسل، (7/ 7-8)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

بعضهم الآخر، لا سيما وأنهم يدينون بالولاء المطلق في حل مشاكلهم إلى رؤسائهم وملوكهم، وأمورهم داخل قبائلهم تعتمد على المشورة والاتفاق.⁽⁴⁰⁵⁾

ومن العادات والتقاليد التي كانت متبعة لديهم هو: تمسكهم بمعتقداتهم التي توارثوها، فقد وجد العرب المسلمون حين دخلوا لفتح بلادهم، أن أهالي ما وراء النهر كانوا يقطعون آذانهم وشعورهم وأذنان خيولهم، حزنا على موتاهم، لا سيما إذا كانوا من رؤسائهم أو قادة جيشهم، وأنهم يقومون بحرق جثث موتاهم، ومن دون شك فإن أغلب تقاليدهم الوثنية تلك قد تغيرت وتبدلت بعد اعتناق الأهالي الدين الإسلامي، وقد أشار المقدسي إلى هذا الأمر، عند ما ذكر تأثير الإسلام في معتقدات الأهالي القديمة في ما وراء النهر، فكانوا أسلم صدورا، وأرغب في الجماعات، فأهل سمرقند وصفهم بأنهم أهل جماعة وسنة، وأهل خوارزم كانوا أهل فهم و علم وفقه.⁽⁴⁰⁶⁾

ثانيا: المرأة والملابس

المرأة: المرأة في بلاد ما وراء النهر تتمتع بالحرية والاحترام، فإذا أراد الرجل أن يتزوجها، فعليه أن يخطبها من ولي أمرها -أبيها أو أخيها- ولا يستطيع الزوج أن يصل إلى زوجته، إلا بعد أن يوفي ما تم الاتفاق عليه من مهر، والذي يكون عادة إما جمالا أو دوابا أو عددا من الثياب، ويبدو أن المرأة في الطبقات المتوسطة، كطبقة

(405) فكان أهل ما وراء النهر أحسن الطاعة لكبرائهم، وفي ذلك احتراما لشيخوهم وساداتهم. انظر: ياقوت

الحموي، معجم البلدان، (5 / 47)

(406) انظر للمزيد: المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص/ 373). النظامي العروضي، جهاز مقاله (أربعة

مقال)، (ص/ 123)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

الفلاحين، تقوم بأهم وأجل الأعمال وجميع الأشغال، لما تمتلكه من حصانة وشدة وجرأة، وليس للرجال تصرف في أكثر من الحرث والحصاد.⁽⁴⁰⁷⁾

الملابس: أما ملابس وزي الطبقات الغنية من الملوك والنبلاء، فلم تشر إليه المصادر التاريخية، سوى ما جاء من اشارات قليلة عن ملابس بقية طبقات المجتمع في ما وراء النهر، إذ كان العامة يلبسون الأقبية والقلانس⁽⁴⁰⁸⁾، وغالبا ما كان أهل بخارى يلبسون ذلك. أما زي أهل خوارزم فكانت القراطق⁽⁴⁰⁹⁾ والقلانس. أما كبراء القوم من الفقهاء وغيرهم فالذي يبدو أن لهم زيا خاصا بهم، إذ أشار المقدسي أنه لا يتطيلس بما وراء النهر إلا كبيرهم. ولعل ارتفاع ثمن هذه الملابس، هو ما جعل هؤلاء من أصحاب الطبقات الغنية ينفردون بلبسها، إذ توجد بعض الثياب التي تصنع في بعض مدن ما وراء النهر، بلغ ثمنها عشرين دينارا، والتي لا يلبسها إلا أمير أو وزير، لأنها ثياب تفوق غيرها في جودتها وصحة عملها وحسن صنعها، كما كان من مظاهر وعادات الطبقة الغنية في بخارى، أن اتخذوا طائر الطاووس في دورهم رمزا لثيابهم.⁽⁴¹⁰⁾

وكانت عناية أهل البر بمياه الشرب، تأخذ جانبا كبيرا لديهم، ونالت عناية متميزة، فيروي الاصطخري و ابن حوقل، "وقل ما رأيت خانا أو طرف سكة أو محلة أو مجمع ناس في الحائط بسمرقند يخلو من ماء جمد مسبل، وأن بسمرقند في المدينة

(407) الإدريسي، نزهة المشتاق، (1/ 520)

(408) القلنسوة، هي لباس مستدير ومبطن يوضع على الرأس، انظر: الكرملي، بعض اصطلاحات يونانية

في اللغة العربية، (ص/ 307). الاصطخري، مسالك الممالك، (ص/ 314)

(409) نوع من اللباس يوضع على الرأس. وقال ابن الأثير: هو القَبَاءُ، وهو لِبَسٌ مَعْرُوفٌ مُعَرَّبٌ مِنْ كُرْتَه

قال: وإبدالُ القافِ من الهاءِ في الأسماءِ المُعَرَّبَةِ كثيرٌ. تاج العروس من جواهر القاموس (26/ 337)

(410) الحميري، الروض المعطار، (ص/ 83). المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص/ 258). الإدريسي، نزهة

المشتاق، (1/ 501). النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 27)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

وحائطها فيما يشتمل عليه السور الخارج زيادة على ألفي مكان، يسقى فيها ماء الجمد مسبلا عليه الوقوف من بين سقاية مبنية وجباب منصوبة".⁽⁴¹¹⁾

المطلب الثاني: الطبقات الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر

عندما كان أغلب سكان ما وراء النهر من الفرس فإنهم عاشوا في ظل النظام الطبقي الذي كان يقيس مراتب الناس بمقاييس مختلفة في العهود المختلفة، ففي بعض العهود كانت مراتب الناس حسب أعمارهم، فأكبرهم سنا أعلاه مجلسا. وفي عهود أخرى كانت مراتبهم بحسب الغنى والثروة أو بحسب العقل والحكمة، أو البأس والنجدة أو الحسب والنسب، وعندما دخل الإسلام مجتمع هذه البلاد أحدث تغيرا اجتماعيا كبيرا في حياة الناس، وجاء بمبادئ أطاحت بعادات سيئة راسخة عندهم، وكان من أهم هذه المبادئ التي جاء بها الإسلام المساواة وتكافؤ الفرص، فقد كان لهذين المبدأين أثرهما في محو فكرة الطبقة القديمة التي كانت سائدة قبل الإسلام في هذا المجتمع، فقد قرر الإسلام أن هذه الدرجات أو الطبقات ليست حكرا لأحد وإنما لكل مجتهد نصيب، فكانت هناك طبقات مختلفة قبل الإسلام التي أزيلت بإتيانها، وهذه الطبقات هي الطبقة العليا، وهم الولاة والحكام والأشراف وأبناء الولاة، وكانت لهم مكانة خاصة في المجتمع، يكرمونهم ويمنحونهم المعاش وعاف عنهم الضرائب في حين كانوا يؤخذ من الغير. والطبقة الوسطى، فهم: التجار ورجال الدين، ابتعدوا عن مناصب الدولة لكنهم تقلدوا المناصب القضائية والعلمية. والطبقة السفلى، وهم: الصناع والحرفيين والزراع والرقيق وعامة الشعب فينظرون لهم نظرة امتهان إلى أثناء الدولة الأموية في هذه البلاد، فلم يكن من حق الرقيق أن يعتق بمجرد دخوله في الإسلام، فيخدمون الأمراء والأغنياء ورجال الدولة، وكانت

(411) الاضطخري، مسالك الممالك، (ص/ 290). ابن حوقل، صورة الأرض، (2/ 467)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

حياة هذه الطبقة تتجلى ببساطة في المأكل والملبس والمعيشة⁽⁴¹²⁾. فانقسم المؤرخون القدامى هذا التقسيم الطبقي إلى طبقات مختلفة نشرحها فيما يلي:

أولاً: طبقة الأمراء

فإن بلاد ما وراء النهر في زمن الدولة الإسلامية من جهة المجتمع ينقسم إلى طبقات مختلفة، فالطبقة الأولى هم: الأمراء، وهؤلاء لم يكونوا سوى المقدمين من النبلاء، ومهامهم اقتصر في الحصول على الامتيازات والمناصب المهمة في ممالكهم، فقد ورد ذكرهم ضمن الحرس الخاص بالملوك، وهم الذين اطلق العرب عليهم اسم (الشاكرية)⁽⁴¹³⁾. ويظهر من كلام النرشخي في وصفه لقصر ملكة بخارى (خاتون)⁽⁴¹⁴⁾، أن لديها حرسا خاصا أشبه ما يكون بحرس شرف، ومهمتهم كانت في المحافظة على قصر الملكة، وكان لهم زيا خاصا بهم، إذ يتمنطقون بالذهب، ويحملون سيوفا ذهبية، ويتناوبون في العمل مع غيرهم كل يوم⁽⁴¹⁵⁾، وربما كان مثل هذا النظام، موجودا لدى بقية ملوك ما وراء النهر.

ثانياً: طبقة النبلاء والدهاقين (التجار)

كما أن هناك امراء من طبقة النبلاء المحليين، كانوا إلى جانب الأمراء الكبار، وسلطة هؤلاء لم تكن تتجاوز حدود ما يمتلكونه أو يسيطرون عليه من أراض أو

(412) أبو الفضل البيهقي، تاريخ البيهقي، ترجمه إلى العربية: يحيى الخشاب، صادق نشأت، مكتبة الانجلو المصرية، (ص/ 669)

(413) الطبري، تاريخ الرسل، (6/ 409)

(414) هو لفظ تركي معناه السيدة، انظر: الباشا، الألقاب الإسلامية، (ص/ 264)

(415) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 23-29). وانظر: فامبري، تاريخ بخارى، (ص/ 39)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

قرى⁽⁴¹⁶⁾. فكان أقوى هؤلاء النبلاء وأكثرهم نفوذا هم الدهاقين⁽⁴¹⁷⁾، الذين كانوا من أكثر المتنفذين في بلاد ما وراء النهر، على عكس أقرانهم في خراسان، إذ ليس هناك قوة سياسية أو اجتماعية، تستطيع أن تمنع سيطرتهم على الأراضي⁽⁴¹⁸⁾، ويبدو أنهم كباقي الأمراء الأقوياء والمتنفذين، قد تمتعوا بمكانة خاصة وامتلكوا القرى الواسعة والقصور الفسيحة، والمدن الكبيرة، فكانوا أشبه بأمراء محليين تعتمد عليهم حكوماتهم، وتحسب حسابهم، ومن هؤلاء الدهاقين (خورتكين الدهقان)، الذي كانت من مدينة اوزكند في فرغانة ملكا له، ويبدو أنه من أمراء الترك المتنفذين هناك، كما كانت له محلة أخرى باسمه هو⁽⁴¹⁹⁾. ومن دهاقنة الترك الآخرين (المزربان بن تركسفي) الذي كان من أكبر دهاقين سمرقند ويمتلك رستاقا باسمه⁽⁴²⁰⁾. ولم تقتصر هذه الطبقة من النبلاء على الترك وحدهم، بل شاركهم فيها بعض العرب القاطنين هناك، إلا أن أدوارهم العامة، لاسيما الاجتماعية والسياسية كانت ضعيفة، بحيث لم تتحدث عنها المصادر التاريخية، ويبدو أن دورهم اقتصر على امتلاك الأراضي الزراعية والقرى ومنافسة أو مشاركة الترك في ذلك، ومن هؤلاء ما أشار إليه الاصطخري، بأن بعض أفراد قبيلة بكر بن وائل العربية، قد امتلكوا قرى كثيرة في بعض مناطق سمرقند، وكانت لهم فيها دور ضيافة، وأراض ومزارع سميت

(416) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، (ص/ 8-286). شكري فيصل، حركة الفتح الإسلامي، (ص/ 209)

(417) الدهقان هي كلمة فارسية مركبة من مقطعين (ده) بمعنى قرية و (قان) بمعنى التاجر، أي تاجر القرية وأغناهم، انظر: ابن منظور، لسان العرب، (13/ 163)

(418) بارتولد، تركستان، (ص/ 297)

(419) أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد، بغداد، الطبعة الأولى 1981م، (ص/ 31). بارتولد، تركستان، (ص/ 297)

(420) اسم يطلق على كل موضع فيه قرى ومزارع، ويبدو أنه من وحدات الإستان الزراعية، حول معنى الرستاق، انظر: مصطفى، المدن في الإسلام، (1/ 88). الاصطخري، المسالك والممالك، (ص/ 181)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

باسمهم، كذلك كان بكر بن مالك من كبار الدهاقين العرب الذين اشتهروا في
فرغانة. (421)

أما دور هؤلاء الدهاقين في بلاد ما وراء النهر، فقد ارتبطت مصالحهم مع مصالح
طبقة النبلاء، وكان لهم دور سياسي واضح لاسيما في الفترة التي صاحبت عمليات
الفتوح العربية الإسلامية في أراضيهم، إذ قادوا بعض الثورات مع الأهالي هناك،
دفاعا عن مصالحهم وامتيازاتهم الخاصة، مما اضطر العرب أحيانا للاستعانة بهم،
و عقد الصلح معهم للحد من قهر الأهالي وثوراتهم في بعض المدن⁽⁴²²⁾، لذا يبدو
أنهم كانوا يشكلون طبقة اجتماعية مترفة على حساب الطبقات العامة من الأهالي،
وتحت أنظار الدولة ورجالها وقت ذاك، مدفوعين بالحفاظ على مراكزهم
ومناصبهم وثرواتهم.

وتعد هذه الطبقة، من الطبقات الاجتماعية التي تحظى بمكانة لا تقل أهميتها عن
باقي الطبقات الأخرى، فثرواتهم عن طريق تجارتهم الرائجة مع بلدان ومدن العالم
الأخرى لا سيما بلاد الصين⁽⁴²³⁾، ونجد في رواية الطبري عن هجرة أهل الصغد عن
بلادهم عام (103هـ / 721م) بأنه يثني على مكانة هؤلاء التجار، الذين كانوا بين
الأهالي المهاجرين، ويساوي بينهم وبين الأمراء والملوك - على حد قوله⁽⁴²⁴⁾. أما

(421) المسالك والممالك، (ص/ 181). وهو من العرب الذين ترجع أنسابهم إلى قبيلة كنانة بن خزيمة
بن مدركة، انظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، جمهرة أنساب
العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1983م-1403هـ،
(ص/ 11)

(422) انظر: الطبري، تاريخ الرسل، (5/ 522-636). والذي أشار إلى اتفاق قتيبة بن مسلم مع خوارزم
شاه ضد ملك خام جرد، وكذلك قيام سعيد خذينة خلال ولايته على خراسان بالاستعانة بالدهاقين

(423) بارتولد، تركستان، (ص/ 298)

(424) الطبري، تاريخ الرسل، (6/ 7)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

النرشخي، فيستدل من كلامه بصدد تجار بخارى، أنهم كانوا يمتلكون عقارات واسعة ويسكنون قصورا منيعة، وأن مكانتهم لا تقل في شيء عن مكانة الدهاقين⁽⁴²⁵⁾، فإن هذه مجموعة من الأثرياء، ارتبطت مصالحهم بمصالح الطبقات الغنية الأخرى، إذ لا توجد لدى الباحث معلومات دقيقة عن وجود عداء أو مشاكل بين التجار والدهاقنة أو مع غيرهم من باقي الطبقات، ولا يعرف طبيعة العلاقة بينهم بدقة، إلا أنه يمكن القول أنهم اشتركوا مع بقية طبقات مجتمع ما وراء النهر، بأنهم كانوا شعبا مقاتلا⁽⁴²⁶⁾. أما أماكن تواجد هؤلاء التجار، فقد انتشروا في أغلب المدن الكبيرة والتي تمتاز بالحركة والنشاط التجاريين، لاسيما سمرقند التي كانت تمتاز بوفرة مالها، بسبب وجود التجار وحركة التجارة فيها⁽⁴²⁷⁾، كما انتشر التجار في خوارزم، بسبب حركة تجارتها القوية مع بلاد الترك الغزية في شرق ما وراء النهر، ونشاط القوافل التجارية التي تخرج منها بمختلف السلع والمتوجهة إلى خراسان وبلدان أخرى، فكانت محط انظار التجار لممارسة أعمالهم فيها فجمعوا ثروات طائلة، لا سيما عن طريق تجارتهم مع أهالي ما وراء النهر لا سيما الترك بشراء المواشي⁽⁴²⁸⁾، كما انتشر تجار الأنسجة القطنية (الكرابيسيين) في مدينة تسحان إحدى مدن فرغانة، وانشأوا فيها سوقا خاصا بتجارهم⁽⁴²⁹⁾، كما نجد التجار أيضا قد انتشروا في أغلب مدن فرغانة وفي الشاش، ومارسوا أعمالهم هناك، فكانوا يجنون أرباحا طائلة عن طريق تجارتهم المتنوعة.

(425) تاريخ بخارى، (ص/ 43)

(426) بارتولد، تركستان، (ص/ 299)

(427) المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص/ 222)

(428) الاضطخري، المسالك والممالك، (ص/ 170). المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص/ 227)

(429) المقدسي، مصدر سابق، (ص/ 222). النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 28)

ثالثا: طبقة الفلاحين

أما الفلاحون⁽⁴³⁰⁾، فهم أيضا لا يقلون أهمية عن اقرانهم من الحرفيين وأصحاب المهن، لا سيما وأن مجتمع ما وراء النهر اعتمد بدرجة كبيرة على الزراعة، بسبب توفر الظروف الملائمة لها من انتشار الأنهار والمياه العذبة، والتربة الخصبة في أغلب مناطق ما وراء النهر، الأمر الذي أدى إلى انتشار المزارع والقرى الزراعية، بحيث لا يخلو مكان منها، وبلغت القرى الزراعية في بلاد ما وراء النهر إلى أكثر من ثلاثمائة ألف قرية⁽⁴³¹⁾. وهذا الانتشار الواسع للمزارع، فضلا عن اهتمام الفلاحين بعمارة أراضيهم ومزارعهم، قد أدى بالنتيجة إلى وفرة الإنتاج الزراعي الذي بات يفضل عن حاجة أهله، وأن أطعمتهم وفواكههم بلغت من السعة والكثرة حتى باتت ترعاها حيواناتهم ودوابهم⁽⁴³²⁾. كما مارس الفلاحون إلى جانب الزراعة، تربية الحيوانات بمختلف أنواعها، وبسبب الاهتمام بتربيتها ازدادت أعدادها بكثرة حتى إن الشخص الواحد منهم بات يمتلك ما بين المائة إلى خمسمائة دابة، وهو ليس بتاجر⁽⁴³³⁾، أما مساكن هؤلاء الفلاحين فهي بلا شك بسيطة بالنسبة للطبقات الاجتماعية الغنية الأخرى، ولا يتعدى بنائها من الطين أو الحجر⁽⁴³⁴⁾.

رابعا: طبقة المحاربين

وهناك طبقة اجتماعية مهمة في مجتمع ما وراء النهر، لا يمكن التغافل عنها، ألا وهي طبقة المحاربين أو (المطوعة)، وعلى الرغم من أن هؤلاء يعدون من صفوف الجيش النظامي أو من تشكيلاته، إلا أنهم يشكلون طبقة اجتماعية مهمة، لا سيما

(430) يعني الزراعون الذين يفلحون الأرض أي يشقونها، ابن منظور، لسان العرب، (2 / 548)

(431) الاصطخري، مسالك الممالك، (ص / 161-163)

(432) الاصطخري، مصدر سابق، (ص / 161 إلى 165). ابن حوقل، صورة الأرض، (ص / 422)

(433) ياقوت الحموي، معجم البلدان، (5 / 47)

(434) الاصطخري، مسالك الممالك، (ص / 167-174)

الْجُهْدُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

وأن معظم هؤلاء هم من أبناء الفلاحين الذين تدفع بهم قراهم باتجاه الخطر، حتى سماهم النرشخي "عسكر القرى"⁽⁴³⁵⁾، ويبدو أن هؤلاء قد انخرطوا في خدمة امرائهم وملوكهم إلى جانب تشكيلات الجيش النظامي، وكانوا يلعبون دورا هاما في القتال⁽⁴³⁶⁾، وأن أعدادهم كانت كبيرة، إذ لا توجد قرية من قرى ما وراء النهر، إلا ويخرج منها فارس أو راجل، والذين امتازوا عن غيرهم بالبأس والجرأة والشجاعة والاقدام في الحروب، ويتضح من ذلك أن أكثر أهالي ما وراء النهر هم من حملة السلاح، لذلك قيل عنهم بأنهم "ليس في الإسلام ناحية أكبر حظا في الجهاد منهم"⁽⁴³⁷⁾، ولعل ذلك يفسر لنا سبب وجود الأربطة بكثرة في ما وراء النهر، إذ ذكر الاصطخري أن بها "زيادة على عشرة آلاف رباط"⁽⁴³⁸⁾ وهم يستنفرون في الحالات التي كان الخطر بها يهدد أمن وسلامة مناطقهم.

أما موارد هؤلاء وكسب عيشهم، فهو لا شك من عملهم في هذا المجال، إذ لم تكن لهم مهنة سوى القتال والجهاد، كما كانت بعض مواردهم تأتي من الضياع التي تقطعها لهم السلطة، بحيث أن "مؤونتهم ومؤونة دوابهم وسلاحهم وعيالهم ومن نزل عليهم منها"⁽⁴³⁹⁾، فهو بذلك أشبه بالإقطاع العسكري. وكان هؤلاء لم يكلفوا الدولة كثيرا في أمور تسليحهم لا سيما وأن أغلبهم من المحاربين الذين يمتلكون العدد اللازمة لقتالهم، فضلا عن توفر الأسلحة وتداولها في أسواقهم، مع رخصة أسعارها، لأنها تصنع في بلدانهم، فقد كانت فرغانة وإسبيجاب تعدان من أهم مدن

(435) تاريخ بخارى، (ص/ 115)

(436) ابن الزبير، الذخائر والتحف، (ص/ 141)

(437) الاصطخري، مسالك الممالك، (ص/ 163-164). المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص/ 214)

(438) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (ص/ 558)

(439) ابن الزبير، الذخائر والتحف، (ص/ 143)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

ما وراء النهر، فهما مركزان كبيران لصناعة السيوف والأسلحة وآلات الحرب، إذ أن في بلاد ما وراء النهر من معادن الحديد ما يفضل عن حاجتهم في الأسلحة والأدوات الحربية.⁽⁴⁴⁰⁾

خامسا: الطبقة العامة

أما الطبقة العامة في مجتمع ما وراء النهر، فهي تشكل شريحة مهمة داخل مجتمعها، لاسيما وأن أغلبهم من الصناع وأصحاب المهن والفلاحين، وهؤلاء يمثلون أغلبية سكان ما وراء النهر، وأنهم مارسوا عملهم منذ فترات طويلة، وطوروا حاجاتهم وصناعاتهم بما يلائم متطلبات مجتمعهم، كما عملوا - لاسيما أصحاب الحرف - على تنشيط الحركة التجارية والصناعية والزراعية في مدنهم، لذا فإن دورهم لا يقل أهمية عن دور التجار والوسطاء في انعاش الحياة الاقتصادية لمجتمعهم، فصناع الآلات والأسلحة في فرغانة كان لهم دور كبير في رفد أسواق ما وراء النهر وأسواق بلدان أخرى⁽⁴⁴¹⁾، كذلك الطبقة الحرفيين الذين انتشروا في مدينة (بنكث) قصبة الشاش، فكان لهم دور فعال في تمييزهم عن غيرهم في صناعة القسي، إذ كانوا ماهرين في صناعتها.

فالأحوال الاجتماعية بصورة شاملة كانت حسنة بالنسبة للأمرء والأغنياء، لكنها سيئة بالنسبة للمساكين والفقراء من جهة الطبقات الاجتماعية، وذلك لأن المجتمع إذا انقسم إلى طبقات، يفقد فيه العدل ويسلب فيه الحقوق الإنسانية، وهذا ما يخالفه الشريعة الإسلامية، وقد تغيرت الأحوال إلى حد ما في هذه البلاد بعد الفتوحات الإسلامية لكنها لم يستقر في المجموع. فالأحوال السياسية المستبدة

(440) الاضطخري، مسالك الممالك، (ص/ 167). بارتولد، تركستان، (ص/ 282)

(441) ابن حوقل، صورة الأرض، (ص/ 416). الإدريسي، نزهة المشتاق، (1/ 512-513). بارتولد،

تركستان، (ص/ 282)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

والاجتماعية التي تجعل الناس بين الطبقات والعوامل وعدم لزوم العدل بينهم جعلت بلاد ما وراء النهر مهياة للفتح الإسلامي الذي سيخلصها من هذا التفكك السياسي والاجتماعي، لأن الإسلام الأساسي هو منع الناس من الظلم والاستبداد، وتنفيذ العدل ما بينهم وإعطاء حقوقهم الكاملة وجعل الناس في كامل الحرية وعدم تفريقهم بين الأبيض والأسود والعرب والعجم، فالإنسانية متساوية القيمة وفي أي إهاب تبرز، وعلى أية حالة تكون، وفوق أي مستوى ترتفع، حيث قال الرسول عليه السلام: "أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى".⁽⁴⁴²⁾

(442) أحمد، مسند أحمد، (38/474)، رقم الحديث: (23489)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المبحث الثاني: الاهتمام بقضايا الفقر والصحة للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر

المطلب الأول: مفهوم الفقر، أسبابه، نظرة الإسلام له وحل هذه المشكلة:

أولاً: مفهوم الفقر

الفقر لغة واصطلاحاً:

الفقر-بفتح الفاء-عند أهل اللغة ضد الغنى، وهي: الحاجة، وفعله الافتقار، والنعت فقير، وقد أفقره الله، والفقر (بالضم): لغة رديئة، وأغنى الله مفقره، أي: وجوه فقره⁽⁴⁴³⁾. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾⁽⁴⁴⁴⁾.

الفقر اصطلاحاً: هناك تعريفات عديدة مختلفة للفقر نأخذ أهمها:

يذكر ابن قدامة، أن الحاجة هي الفقر والغنى ضدها، فمن كان محتاجاً فهو فقير يدخل في عموم النصوص، وبالتالي فإن الشخص الذي لا يملك ما تحصل به الكفاية، لن يكون غنياً، كما يشير إلى أن "الغنى هو: ما تحصل به الكفاية"⁽⁴⁴⁵⁾. فخلاصة القول في تعريف الفقر أنه فقد القدرات الثلاثة المهمة، وهي: التغذية السليمة والكافية، والمستوى الصحي، وكذلك التعليم والمعرفة، وقد تأتي فيه الحرمان من حقوق الإنسان والحريات الأساسية. فهي حالة اجتماعية حيث لا يتوفر للأفراد فيها أدنى مستويات المعيشة المتوقعة والشائعة في المكان الذي يعيشون فيه للبقاء على قيد الحياة، والذي يحدد مستوى الفقر هو مستوى الدخل الذي يختلف من مكان إلى آخر.

ثانياً: الفقر من وجهة نظر الإسلام

(443) المعجم الوسيط، (2 / 697)

(444) سورة التوبة، الآية رقم: (60)

(445) ابن قدامة، المغني، (2 / 493)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

إن الإسلام هو أول نظام على وجه الأرض سعى إلى تحقيق الحاجات الأساسية، فحدد حاجات الإنسان الأساسية الفردية والجماعية معا، وقد سميت الضروريات، هذه الأخيرة التي تتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية، بحيث إذا لم تلب اختلت الحياة، وتخص هذه الضروريات: حفظ النفس والدين والعقل والنسل والمال، وهي الأمور التي جاءت الشرعية من أجلها ولحفظها.

لا ينظر الإسلام إلى الفقر على أنه عيب اجتماعي أو ذلة للفقير ومنقصة من كرامته، ولا ينظر له نظرة تقديسية، فليس هناك آية قرآنية يمدح الفقر ولا حديث واحد صحيح في ذلك. والأحاديث الواردة في مدح الزهد لا يعني مدح الفقر، فالبعض يظنون أن مدح الزهد هو مدح الفقر. الإسلام يجعل الغنى نعمة يمتن الله بها، ويطالب بشكرها، ويجعل الفقر مشكلة، بل مصيبة يستعاذ بالله منها، ويضع مختلف الوسائل لعلاجها، وحسبنا أن نذكر هنا أن الله امتن على رسوله بالغنى فقال: ﴿وَوَجَدَكَ عَالِيًا فَأَعَزَّتْ﴾⁽⁴⁴⁶⁾، وجعل إيتاء المال من عاجل مثوبته تعالى لعباده المؤمنين، ﴿وَمُؤَدِّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَجَعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾⁽⁴⁴⁷⁾، وقال النبي ﷺ: "نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ".⁽⁴⁴⁸⁾

والأحاديث النبوية تعتبر الفقر آفة خطيرة يخشى سوء أثرها على الفرد وعلى المجتمع معا، على العقيدة والإيمان، وعلى الخلق والسلوك، وعلى الفكر والثقافة، وعلى الأسرة والفرد جميعا. فلا عجب أن يروى عن رسول الله ﷺ "كَادَ الْفَقْرُ أَنْ

(446) سورة الضحى، الآية رقم: (8)

(447) سورة نوح، الآية رقم: (10-11-12)

(448) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد. دار الحرمين-القاهرة، (9/22) رقم الحديث: (9012)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

يَكُونُ كُفْرًا" (449). وَلَا عَجَبُ أَنْ يَسْتَعِذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْفَقْرِ، مُقْتَرِنًا بِالْكَفْرِ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ" (450)، وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أَظْلَمَ" (451)، فَهَذَا يَرْتَبِطُ الْفَقْرُ بِالْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ.

وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ أَنَّ الْإِسْلَامَ عِلْمُ أَبْنَاءِ هَذَا الْمَجْتَمَعِ وَمِنْهُمْ الْفَقِيرُ نَفْسُهُ أَنَّ الْكِرَامَةَ وَالرَّفْعَةَ فِيهِ لَيْسَتْ بِالثَّرْوَةِ وَالْغِنَاءِ وَمَا يَمْلِكُ الْمَرْءُ مِنْ فَضْةٍ وَذَهَبٍ وَعَقَارٍ وَمَنْقُولٍ، بِالْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالتَّقْوَى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (452)، وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ، فَيَنْظُرُ الْإِسْلَامُ لِلْفَقْرِ عَلَى أَنَّهُ ابْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (453)، لَكِنْ مَعَ كُلِّ هَذَا وَضَحَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ طَرِيقَ مُخْتَلَفَةٍ لِحَلِّ هَذِهِ الْمَشْكَلَةِ.

وَلَا بَدَّ مِنَ الْقَوْلِ بِكَيْفِيَّةِ عِلَاجِ الْإِسْلَامِ لِمَشْكَلَةِ الْفَقْرِ، فَإِنَّ لِكُلِّ مَعْضَلَةٍ فِي الْكُونِ حَلًّا، وَلِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِنَّ الَّذِي خَلَقَ الدَّاءَ خَلَقَ الدَّوَاءَ، وَالَّذِي قَدَرَ الْمَرَضَ قَدَرَ الْعِلَاجَ وَالشِّفَاءَ، فَالْمَرَضُ بِقَدْرِ اللَّهِ، وَالْعِلَاجُ بِقَدْرِ اللَّهِ، وَالْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ يَدْفَعُ قَدْرًا بِقَدْرِ، كَمَا يَدْفَعُ قَدْرَ الْجُوعِ بِقَدْرِ الْغِذَاءِ، وَيَدْفَعُ قَدْرَ الْعَطَشِ بِقَدْرِ الشَّرْبِ، وَلِهَذَا

(449) أَبِي نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِي، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ-بَيْرُوتَ، 1394هـ-1974م. (3/ 53)

(450) أَبُو دَاوُدَ، سَنَّ أَبُو دَاوُدَ، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ (4/ 324)، رَقْمُ الْحَدِيثِ: (5090).

(451) أَبُو دَاوُدَ، سَنَّ أَبُو دَاوُدَ، (2/ 91)، رَقْمُ الْحَدِيثِ: (1544). كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فِي الْإِسْتِعَاذَةِ. ابْنُ مَاجَةَ، سَنَّ ابْنُ مَاجَةَ، (5/ 15)، رَقْمُ الْحَدِيثِ: (3842)، بَابُ مَا تَعُوذُ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ

(452) سُورَةُ الْمَجَادَلَةِ، الْآيَةُ رَقْمُ: (11)

(453) سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الْآيَةُ رَقْمُ: (155)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

قال عمر بن الخطاب حين رجع بمن معه من الشام خشية الوباء وقيل له: "أفرارا من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله"، وقبل ذلك سئل النبي ﷺ عن أدوية يتداوون بها وتقاة يتقونها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: "هي من قدر الله"⁽⁴⁵⁴⁾. فإذا كان الفقر داء فإن الله جعل له دواء، وإذا كان قدرا من الله فإن مقاومته والتحرر من ربقة من قدر الله أيضا، فلا يجوز للشخص الذي يفكر أن الفقر لا مفر منه ولا علاج له إلا الرضا والقناعة.

ثالثا: عوامل وأسباب الفقر

هناك فارق جوهري بين العامل والسبب، فأسباب الفقر هي الأشياء التي أوجدت المشكلة في الأصل، أما العوامل فهي الأشياء التي تساهم في استمرار الظاهرة التي كانت موجودة بالفعل، فالعوامل يمكن علاجها والتحكم فيها وتقديم حلول لها، أما أسباب الفقر فلا يمكن أن نعود إلى الماضي وإلى التاري لتغييرها، وما يتحمل فعله هو تغيير العوامل التي تؤدي إلى إدامة الفقر:

أولا: عوامل الفقر

أ. الجهل: وهو عدم المعرفة أو نقصها، والجهل بخلاف الغباء وبخلاف عدم الحكمة، فالمعرفة تتصل اتصالا وثيقا بالتعليم وتعزيز القدرات، فهي طريق القوة، والمعلومة أو المهارة ستصل بشكل طبيعي أو تتسرب إلى بقية المجتمع. فإن الجهل هو العامل الأساسي للفقر في المجتمع.

ب. المرض: عندما ينتشر بالمجتمع معدلات عالية من المرض فهذا يعني التغيب عن العمل ويقل الانتاجية والثروات، فاقتصاد المجتمعات يكون سليما وقويا إذا كان أفرادها يتمتعون بصحة جيدة، فالصحة تساهم في القضاء على الفقر

(454) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (2/ 1137)، رقم الحديث: (3437)، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له

شفاء

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمُويَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

والتي تتحقق بالحصول على مياه شرب آمنة، والمعرفة بأساسيات النظافة والوقاية من مرض.

ج. الاعتماد على الغير: هو عدم الاعتماد على الذات في الحصول على المورد أو الدخل أو الاحتياجات بل التكاء على الغير، فهذا الاعتماد والكفاية لا يبني الثروات ولا يرفع من مستواهم، وهو يعني تراكم البطالة وغياب نطاق واسع من قطاع المجتمع عن الانتاجية والعمل وبناء الاقتصاد والوفاء بالاحتياجات التي يخرج الإنسان من الفقر وتضمن له حياة كريمة.

ثانيا: أسباب الفقر

فإن هناك أسباب متعددة للفقر من جهة السياسة والأمنية، والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك، فاختلطنا الجميع في بعضهم البعض وذكرنا أهمها، والتي ما يلي:

أ. قلة الانتاج وسوء التوزيع: وهو استعمال الإنسان باستخراج الأشياء النافعة عن خزائن الطبيعة وجعلها صالحة للاستهلاك. وسوء التوزيع هو تقسيم الثروات بين الأفراد، وفيها حصة لكل فرد من الأمة، وهذا يأتي عندما يكون النظام منحرفا وحكومته ظالمة ومستبدة.⁽⁴⁵⁵⁾

ب. انتشار الفساد وسوء السلطة: من أهم أسباب الفقر هو انتشار الفساد وسوء السلطة والجرائم وعدم الاستقرار السياسي والأمني، فكلما أساء السلطة وخلط الاستقرار زاد الفساد ونشر الجرائم والفوضى في الأرض، وهذا يؤدي في المجموع إلى الفقر الاجتماعي.

(455) عبد الهادي الفضلي، مشكلة الفقر، دار الزهد-بيروت، الطبعة الرابعة، 1397هـ/1977م،

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمُوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

ج. عدم السعي في طلب الرزق: إن العمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر، وأن على الإنسان أن يعمل ليغني نفسه بنفسه، والعمل والكسب والتجارة من أفضل الأعمال إلى الله تعالى، فإذا قل العمل والمهن زاد الفقر في المجتمع.

د. الاستعمار والحروب والصراعات الداخلية: الكلمة بحد ذاتها يشرح الكلام، فالاستعمار والحروب والنزاعات الداخلية، يزيد الفقر في الدولة، فكان في خلافة عبد الملك بن مروان زاد الصراعات الداخلية والفتن، ضعف الاقتصاد كاد أن يسقط الدولة، فأول أمر قام به الخليفة القضاء على الفتن الداخلية، وهذه المقاومة يصرف الأموال الضخمة، فكلما انتهى النزاعات الداخلية حسن اقتصاد الدولة الإسلامية.

هـ. حدوث الكوارث الطبيعية المتمثلة بالمناخ والبيئة وغيرها من العوامل الطبيعية، حدوث الكوارث الطبيعية لا علاقة لها بالدولة بل هو شيء طبيعي يحدث في أي كان، لكن الأمر الذي يهم بموضوع الفقر هو الاستعداد الكامل لهكذا الحوادث، مثلاً الزلزال، المطر والهواء المهلك، قلة الماء والقحط وغير ذلك.. فإن كانت الدولة لم تكن مستعدة لسد هذه الكوارث، بالطبع أنها ستواجه الفقر الاجتماعي حتى الفقر الدولي الذي يضر دخل الدولة.

و. العادات والتقاليد: تعد العادات والتقاليد الاجتماعية من أهم الأسباب التي تسد أمام معالجة الفقر، فالفقر المستمر يؤجل الدعوة إلى الله. فهناك عادات وتقاليد يختلف بالزمان والمكان لا يخالف الشريعة الإسلامية وهي التقاليد خيرة طيبة، موافق الشريعة الإسلامية فهو الحق والمطلوب، وهناك عادات وتقاليد زائدة متبقية من الآباء والأجداد وهو تقاليد جاهلية سيئة وباطلة، يخالف الشرع ويحذر منها، فهذا يؤدي إلى الفقر بين الأفراد والأسرة وحتى في المجتمع، ومن أمثلة ذلك بأن الرسل جميعهم عندما بدأوا بدعوة قومهم إلى الله وحده ونبذوا ما دون ذلك من إشراك غيره معه في العبادة كان جواب جميع الأقسام لأنبيائهم، ﴿قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

مَثَّلْنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ⁽⁴⁵⁶⁾، "فهم وجدوا آباءهم وعلمائهم وكبرائهم مطبقين متفقين على عبادة الأوثان، قالوا ويبعد أن يقال: إن أولئك القدماء على كثرة وقوة خواطرهم لم يعرفوا بطلان هذا الذين، وأن الرجل الواحد عرف فسادهم ووقف على بطلانه".⁽⁴⁵⁷⁾

ومن العادات السيئة في المجتمع الذي يؤدي إلى الفقر هو تطويل وتصعيب الزواج في بعض المجتمعات، فالرسول ﷺ يأمر بالتسهيل في الزواج وعدم تأخيرهم حيث يقول، "إذا أتاكم من تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِنْ لَا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ"⁽⁴⁵⁸⁾، لكن القرون ما بعدها أوجدوا تقاليد مختلفة فيها، فصعب على الناس الزواج وتسبب ذلك في كثرة الزنا وغيرها، وكذلك أحيانا تستغرق الزاج من الأسرة من المال أكثر مما يملكه. فالتقاليد السيئة تؤدي إلى الخلل الاجتماعي واضطراب القيم وانتشار الفساد والريذيلة، وزيادة الفقر وضياع الأمن والسكينة.

ز. عدم إعطاء الزكاة والصدقة: من أهم أسباب الفقر هو مخالفة حكم من أحكام الشريعة الإسلامية ألا وهي إعطاء الزكاة والصدقة. فإن من سنن الله تعالى في الدنيا خلق الفقير والغني معاً، فوضع بعض الشروط للغني أن يعطي الزكاة والصدقة وألزم عليه، فإن خالف الغني ذلك، زاد الفقر.

ح. عدم زراعة الأرض: أجازت الشريعة زراعة الأرض الموات ويفرض على الدولة أن يهيئ للفقراء والمساكين زراعة هذه الأراضي، ووجود السوق اللازم الداخلي والخارجي لبيع ما يزرع.

(456) سورة إبراهيم، الآية رقم: (10)

(457) محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، (19 / 73)

(458) الترمذي، سنن الترمذي، (3 / 386)، رقم الحديث: (1084)، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون

دينه فزوجوه

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

ط. عدم تطبيق العدل بين الناس: ليس عدم العدل يهمننا في الفقر فقط، فهي مشكلة أساسية في كل الحوادث، إذا كان في مجتمع ظلم وفساد ولا يطبق فيه العدل، يسيطر عليه الفقر والفساد والنزاعات الداخلية والخارجية. وكما ذكرنا أنفاً، كل هذا يؤدي إلأى الفقر في المجتمع.

رابعاً: حل مشكلة الفقر من وجهة نظر الإسلام

إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تدرج في طرح حلول الفقر في المجتمعات بشكل عام والمجتمع المسلم بشكل خاص، وهي الحث على العمل والسعي في طلب الرزق، وإعطاء الزكاة والصدقة، فقد كان الأنبياء وهم أفضل الخلق يعملون ويكسبون قوت يومهم من عمل أيديهم، فقد كان سيدنا محمد ﷺ والأنبياء شعيب، ويعقوب وإسحاق وموسى عليهم الصلاة والسلام يرعون الغنم، وكان الياس ﷺ مهنته الغزل والنسيج، وداود ﷺ مهنته الحدادة، وإدريس ﷺ مهنته الخياطة أو الحياكة، ومهنة إبراهيم ﷺ أبو الأنبياء كان البناء وتجارة الأقمشة، وأكبر دليل على بنائه الكعبة هو وابنه إسماعيل ﷺ ومع ذلك قد ذكر بعض التفاسير أنه كان تاجراً للأقمشة، وكان سيدنا نوح ﷺ حرفه النجارة، حيث يعتبر من أول البشر الذين بنوا السفن البحرية. كانت هذه المهن والحرف التي قام بها الأنبياء والمرسلين والتي تعتبر قدوة خاصة لنا، فيظهر منها أهمية الحث على العمل وهو الحل الرئيسي لمشكلة الفقر.

وقد أشار القرآن الكريم في آيات عديدة للحث بالعمل، وأنه لا ينبغي عليه أن يقعد عن السعي مهما كانت الأسباب، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁵⁹⁾، فقد أذن الله تعالى في هذه الآية لعباده بالسعي

(459) سورة الجمعة، الآية رقم: (10)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

عقب صلاة الجمعة بهد توفير القوت لهم ولعيالهم، وتحصيل الربح من خلال البيع والشراء والتجارة عموماً، وغير ذلك من الوسائل المتاحة لكل مجتمع⁽⁴⁶⁰⁾. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ الْأَنْشُورُ﴾⁽⁴⁶¹⁾، حسب نص الآية ينبغي على المسلم أن يسعى في طلب الرزق وتحصيله بالعمل وعدم الركون للراحة، وقد مهد الله الأرض للناس لتلك الغاية؛ لذا يجب عليهم استغلال ذلك في تحقيق الاكتفاء من خلال العمل والكد بما أوتوا من طاقة لأجل ذلك⁽⁴⁶²⁾، والآية القرآنية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽⁴⁶³⁾ التي تدل بأن الله لا يغير حال الإنسان ما لم يغيره بنفسه، تدل على أن الله تعالى بكمال عدله وكمال حكمته لا يغير ما يقوم من خير إلى شر وعكسه، ومن رخاء إلى شدة وعكسه، حتى يغيروا ما بأنفسهم. وهناك آيات متعددة يدل على أن الحل الرئيسي لمشكلات الفقر وتوفير القوت للرفعة هو العمل والكسب النفسي.

ونستدل في أحاديث النبي ﷺ ببحث العمل ونبذ الراحة وطلب الرزق والسعي له، وفي الآتي بعض الأحاديث التي أشارت إلى أهمية العمل في علاج وحل مشكلة الفقر، حيث قال النبي ﷺ: "ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده"⁽⁴⁶⁴⁾، فالحديث يشير إلى أهمية العمل ودوره في علاج مشكلة الفقر، وأنه ما أكل المسلم طعاماً قط خيراً له مما كسبته يده، وأن

(460) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، (385 / 23) بتصرف

(461) سورة الملك، الآية رقم: (15)

(462) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الذين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ط / 1، دار الفكر - بيروت، (225 / 10) بتصرف

(463) سورة الرعد، الآية رقم (11)

(464) البخاري، صحيح البخاري، (57 / 3)، رقم الحديث: (2072)، كتاب البيوع، باب كسب الرجل

وعمله بيده

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

الأنبياء الذين هم خير أهل الأرض لم يعمدوا للجلوس والراحة بل عملوا وأكلوا مما جنته أيديهم بما أتيح لهم. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: "ما بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ".⁽⁴⁶⁵⁾

والطريقة الثانية من طرق حل علاج مشكلة الفقر بعد العمل والسعي في طلب الرزق، حيث ألزم القرآن الكريم بإخراج زكاة وصدقة أموال الأغنياء للفقراء والمحتاجين، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁶⁶⁾، أو كما كان النبي عليه الصلاة والسلام قال لمعاذ حين أرسله إلى اليمن: "...فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ"⁽⁴⁶⁷⁾. فالزكاة والصدقة اللتين هما حصة مقدرة من المال أوجبها الله لمستحقيها الذين جاء ذكرهم في القرآن والسنة النبوية.

والجدير بالذكر فإن الفقر قد يكون آفة من الآفات التي بانتشارها في المجتمعات تؤدي إلى الكثير من الأمراض والعلل الاجتماعية من انتشار الجهل والأمية والسرقة والقتل والزنا، فالأفراد المنحرفة تؤدي إلى انحراف مجتمع، يعني الفقر يؤدي إلى خلخلة في القيم والسلوك والانضباط بل والتماسك الاجتماعي. فهناك أضرار ظاهرة من الفقر مثل انتشار الظلم الاجتماعي، وشيوع القلق الاجتماعي حيث يفكر الإنسان في كيفية وجود النفقة لعيالته، وانتشار الأمراض الجسمية والعقلية والنفسية من أضرار الفقر الرئيسية. ومن أضرارها التخلف الحضاري والمدني حيث لا يمكن

(465) البخاري، صحيح البخاري، (3 / 88) رقم الحديث: (2262)، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط

(466) سورة التوبة، الآية رقم: (103)

(467) أبو داود، سنن أبي داود، (2 / 104)، رقم الحديث: (1584)، كتاب الزكاة، باب زكاة السائمة

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

التفوق الحضاري لمجتمع فقيرة التي ليست عندها نفقة للعيال فكيف يتفوق الحضارة، ويؤدي فقر المجتمع إلى تفشي الأمية والجهل وزرع الحقد والكراهية للمجتمع في نفوس المحرومين.

وهناك أضرار أخرى متنوعة يلحق بالزمان والمكان، وقد حاول الباحث في الآتي أن يقدم كيفية تعامل الدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر لحل علاج مشكلة الفقر أسريا واجتماعيا وكيفية تنمية الحضارة الإسلامية.

المطلب الثاني: اهتمام الدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر بقضية الفقر وأثرها على المجتمع

قامت الدولة الأموية في حل مشكلة الفقر بطرق عديدة يختلف عن خليفة الدولة إلى خليفة وعن والي المنطقة إلى والي وعن أمير إلى أمير. فالأمر يرجع إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي قضى الفقر بعامين ونصف، ولم يكن تركيزه بقضية الاقتصاد فحسب، بل عدله الشامل في جميع نواحي الحياة أداه لحل المشكلات الأسرية والاجتماعية، وقد ذكر في هذا الإطار في كتابه إلى أحد من عماله: "إنه لا بد للمرء المسلم من مسكن يسكنه وخادم يكفيه مؤنته، وفرس يجاهد عليه عدوه، ومن أن يكون له الأثاث في بيته"⁽⁴⁶⁸⁾. ومن طرق علاج مشكلة الفقر التي استخدمه خلفاء بني أمية طوال خلافتهم، ما يلي في المحاور:

أولاً: الزكاة

الزكاة من أركان الإسلام الخمسة، والزم الشريعة على الغني كل سنة من ماله ليعطى إلى الفقير أو يجمع مع بيت مال المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

(468) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار

الفكر-بيروت، (1/ 666)

الْجُهْدُ الدَّعْوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الزَّكَاةَ وَالزَّكَاةَ مَعَ الرَّكْعَيْنِ ﴿٤٦٩﴾، وهو أمر يقتضي الوجوب، وقال النبي عليه السلام: "بُني الإسلام على خمسٍ، شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصيام رمضان" (٤٧٠). واستمر الوضع في عهد الخلفاء الراشدين، ونحن خير شاهدين بموقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث أعلن القتال ضد مانعي الزكاة حين قال: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها) (٤٧١). ولم يقتصر موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنها في أداء الزكاة، لكن الوضع اختلف بعدها واستمر في الدولة الأموية بسبب المشاكل الاقتصادية من حيث أن النزاعات والصراعات الداخلية اشتدت واختلف المسلمون ما بينهم، ومع ذلك كان الخلفاء الأمويون اهتموا بأمر الزكاة حين استقروا وأمروا بالبحث عن الفقراء لإعطائهم حقهم بالزكاة، فعدلوا البعض بتوزيعها، والبعض الآخرون في هذا الإطار لم يجدوا فرصة ذهبية لأخذ الزكاة أو متطورون بعدم التوزيع العادل حيث أن ظروف الدولة لا سيما في بلاد ما وراء النهر لم يكن يستقر بسبب الحروب، والنزاعات الداخلية مثل الثورات المتنوعة التي كانت موجودة منذ زمن بعيد. وفي توزيع الثروات العادلة كانت خلافة عمر بن عبد العزيز خير تمثيل لنا والذي عادل في توزيع الثروات والزكاة وغيرها بين المجتمعات. فكان في عهده عندما شاهد

(469) سورة البقرة، الآية رقم: (42)

(470) البخاري، صحيح البخاري (1/11)، رقم الحديث: (8)، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بين الإسلام على خمس. مسلم، صحيح مسلم، (1/45)، رقم الحديث: (16)، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس

(471) البخاري، صحيح البخاري، (9/93)، باب الاقتداء بسنن رسول الله، رقم الحديث: (7284).

مسلم، صحيح مسلم، (1/51)، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم الحديث: (20)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

الناس العدل في توزيع الزكاة تضخمت الأموال التي تأتي لخزينة الدولة، حيث أن الأمر وصل إلى حد لم يجد فيه شخصا فقيرا في كل الدولة يعطي له المال، وهكذا يحكي أن الرجل يخرج زكاة ماله في زمن عمر بن عبد العزيز، فلا يجد أحدا يقبلها⁽⁴⁷²⁾، فكان إذا لم يجد الفقير أمر بشراء رقاب المستعبدين وبيعهم. فالزكاة في عهد الدولة الأموية لا سيما في بلاد ما وراء النهر من أهم وسائل معالجة الفقر.

ثانيا: الزراعة وإحياء أرض الموات

الزراعة وإحياء الموات في الشريعة الإسلامية هو استصلاح الأراضي الموات البعيدة عن العامر غير المنتفعة وجعلها صالحة للزراعة⁽⁴⁷³⁾، حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽⁴⁷⁴⁾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ "⁽⁴⁷⁵⁾، وقوله: " مَنْ عَمَّرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا ".⁽⁴⁷⁶⁾ كما قلنا سابقا أن خلفاء الدولة الأموية اشتهروا بالاهتمام بزراعة الأرض الموات، لكن بسبب الصراعات الداخلية بين الخلفاء الأمويين، والضغط السياسي، وفقدان الأمن بالمنطقة، وأخذ التدابير الخاطئة من بعض أمراء بني أمية، منها (قرار بيع الأرض الخراجية وجعل ثمنها في بيت المال، هذا العمل أدى إلى توفير السيولة

(472) أبو الحسن بخشل، أسلم بن سهل بن حبيب الرزاز الواسطي، تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، عالم الكتب-بيروت، ط-1، 1406هـ، (ص/ 184)

(473) أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، القوانين الفقهية، (ص/ 339). أبو الفرج شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن قدامة، الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي، (6/ 164)

(474) سورة البقرة، الآية رقم (56)

(475) أحمد، مسند أحمد، (22/ 170)، رقم الحديث: (14269). الترمذي، سنن الترمذي، (3/ 654)، رقم الحديث: (1378)

(476) أحمد، مسند أحمد، (41/ 376)، رقم الحديث: (24882)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْطَائِيَّةٌ

النقدية اللازمة للدولة على المدى القصير، لكنه على المدى الطويل كانت له آثار عكسية على إيرادات بيت المال)، وكذلك حدوث مواجهة عسكرية بين المزارعين المهاجرين من الأرياف إلى المدن من الموالي وبين الدولة الأموية، وذلك أخذ الأراضي بالقوة وإعادة فرض الجزية على أهل المنطقة بين فترة (41-99هـ)، وهذا أدى إلى قلة غلة الخراج، وهجرة الفلاحين إلى المدن وترك أراضيهم.

ونظرة للزراعة وإحياء الأرض الموات، فإن بلاد ما وراء النهر مكون من نهريْن عظيمين، وهي المناطق التي تحتوي بين هذين النهرين، والجدير بالذكر أن هذه البلاد لم تحتوي فقط هذه الأنهار بل هناك عشرات الأنهار⁽⁴⁷⁷⁾ حفرها الدول لا سيما في بلاد بخارى. وخصبة بلاد ما وراء النهر كان عامله الأساسي هو نهر جيحون، فالزراعة من أساس عوامل الاقتصاد في هذه البلاد رغم كثرة المياه ووجود الأرض المستطيلة المحسنة للإنتاج الزراعي.

في أيام الدولة الأموية واجه الخلفاء ومنذ قيام حكمهم مشاكل مالية اقتصادية، وكانت لها عدة أسباب منها سياسية ومنها عسكرية ومنها إدارية وعمرانية، فبذلوا مجهودا عظيما في تذليلها واتخذوا تدابير منها عاجلة ومنها آجلة وضعها بعضهم بالإيجاب ونعتها بعضهم الآخر بالسلب والخروج عن القيم والتقاليد والمبادئ الإسلامية، ومن أهل الذين قاموا بتدابير إصلاح الأرض واستصلاحها هو معاوية بن أبي سفيان، فإنه واجه وقت وصوله إلى الخلافة أزمة مالية شديدة، فأرسل الكتب إلى عماله في بلاد الفرس وغيرها يطالب منهم الأموال ليجمعوا إلى مركز الدولة التي هي في أشد بال الخطر ماليا، فبدأ باستصفاء الصواخي - وهي تلك الأراضي الخاصة بالخليفة، العملية التي بدأها عمر بن الخطاب - وتطويرها بإنشاء مشاريع

(477) انظر للمزيد من الأنهار: النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 54-55)

ري عديدة فأحيا بذلك أراضي واسعة من عملية الانتاج الزراعي، وتابع هذا الأمر كلا من عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك⁽⁴⁷⁸⁾. وامتد الأمويون الطرق الأخرى في إحياء الزراعة أنهم شجعوا الناس على العمل الزراعي وأبدوا عليه اهتماما بالفلاحين وأسهموا من بيت المال في الصرف والإنفاق على الشؤون الزراعية، فربطوا بين عملية اقتطاع الأرض وبين إحيائها فكان لا يقطع أرضا لشخص حتى يقوم بإحيائها وإذا أقطع لرجل وتمضي سنتان ولم يعمرها يأخذها منه.

وهكذا يحكي أن في عهد عمر بن العزيز مرة جاء رجل يشتكي إليه، "إن جيش المسلمين مر بأرضه وخرب فيها بخيول"، فأمر له عمر بن عبد العزيز بالفور بتعويض ما يستحق من الدراهم، وذلك لإحياء أرضه للزراعة. والفائدة في معالجة الفقر بالزراعة هي بدأ العمل للفرد ويستفيد ما يحصل منه، وللدولة يستفيد منه بوصول ضريبة العشر أو الخراج عليها. لكن الأمر في الاستفادة من الزراعة هنا يختلف إذ أن عمر عبد العزيز ألغى الضرائب الإضافية على القطاع الزراعي⁽⁴⁷⁹⁾، وكذلك قدم القروض للمزارعين ليستفيد منه في الزراعة، لجلب الأفراد للحصاد والزراعة، فانخفضت بذلك أسعار السلع الزراعية وبعدها زاد الطلب وانتعش القطاع الزراعي.

(478) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/291). الرئيس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، (ص/214-215)

(479) الطبري، تاريخ الرسل، (4/70). أبو يوسف، كتاب الخراج، (ص/186-187)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

ويروي أن الحجاج بن يوسف أخذ بأسباب العمران الاقتصادي والزراعي إنشاؤه مدينة واسط⁽⁴⁸⁰⁾، وكان سبب إنشائه تحويل أرض منتجة لتنمية موارد الدولة وتحل مشكلة الفقر، وربما يكون من الأسباب الأخرى للاختيار هو موقع واسط الجغرافي الممتاز إذ تتواصل المدن للتجارة بطرق النهرية والبرية التي تجعل من المدينة ذات مركز تجاري مرموق بالإضافة إلي الأراضي الزراعية الخصبة المحيطة بها⁽⁴⁸¹⁾، وكان صلتها للتجارة وغيرها بالمدن الشرقية في خراسان وما وراء النهر عن طرق النهرية. فتكاثر العمران من حول المدينة وازداد الزراعة والكسب فيها حيث جعل "سوقا عامرة"، كان فيها تجار لكل صنف من البضائع يتعاطون تجارتهم في قطعة خاصة لا يخالطهم فيها أحد، وبينها وبين بلاد الشرق (بلاد الهند وخراسان وما وراء النهر) اتصال تجاري ربط بالجسر عن طريق السفن، فتغير شكل الحياة فيها بفعل هذا المجهود العظيم في مواجهة الفقر وتنمية موارد الدولة في هذه الدولة واستفاد منه تجار وعمال بلاد ما وراء النهر إذ يعملون ويتاجرون في هذا السوق المذكور.⁽⁴⁸²⁾

وفيها تبين للحجاج بن يوسف أن الإصلاح الزراعي يحتاج إلى الحيوانات التي قل عددها عندئذ، فواجه هو بأميرين: أحدهما أنه حظر ذبح البقر مدة من الزمن حتى يمكن الإفادة من جهدها في الزراعة والحرث⁽⁴⁸³⁾، ومن نتائجها من العجول والأبقار زيادة الثروة الحيوانية. وثانيهما أنه استورد الجاموس وعددا من مزارعي بلاد الهند

(480) هي المدينة التي أنشأها الحجاج سنة (83-86هـ) في العراق، وتقع في حدود بين الكوفة والبصرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (5/347). ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (6/249)

(481) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/284)

(482) الطبري، تاريخ الرسل، (6/383). ياقوت الحموي، معجم البلدان، (5/349-350)

(483) البلاذري، أنساب الأشراف، (13/360)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

للمساعدة في إحياء أرض موات فأحيوها⁽⁴⁸⁴⁾. وكذلك نقل رؤوس الأموال إلى مناطق فقيرة لتنميتها، حيث فعل ذلك قتيبة بن مسلم الذي أسكن مجموعة من العرب في سمرقند وهم أعلى الناس ثروة في العصر الأموي. وكل هذه المحاولات لسد نشر الفقر في المجتمع وجمع الأموال للدولة.

وكما قلنا أن قلة الانتاج وسوء التوزيع من المشاكل الأساسية لتنمية الفقر في المجتمع، فإن استعمال الإنسان باستخراج الأشياء النافعة عن خزائن الطبيعة وجعلها صالحة للاستهلاك يسد تنمية المشكلة، ومع هذا فقد يكون تقسيم هذه الثروات بين الأفراد بشكل عادل، وفيها حصة لكل فرد من الأمة، لكن في بعض الأحيان يكون الثروات كثيرة بل العدل غير موفر في التوزيع بسبب انحراف النظام وجور الحكومة، وهذا يؤدي إلى الفقر. فالحل الأساسي لهذه المشكلة هي معالجة النظام الانحرافي وجور الحكومة، حيث فعل ذلك في معالجته عمر بن عبد العزيز أثناء خلافته لا سيما في بلاد ما وراء النهر، حيث جاء له وفد القوم من سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة بن مسلم دخل مدينتهم وأسكنهم المسلمين على غدر، مع أن قتيبة بن مسلم أراد تنمية هذه البلاد الزراعية بمساعدة السكان العرب، فكتب الخليفة إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا، فإذا قضى بإخراج المسلمين، أخرجوا فنصب لهم رجلا فحكم بإخراج المسلمين من هذه البلاد على أن ينادوهم على سواء فكرة أهل سمرقند الحرب وأقروا المسلمون فأقاموا بين أظهرهم⁽⁴⁸⁵⁾. ذلك لأن الاعتداء على حقوق الآخرين يسبب زيادة الفقر، ويظهر ذلك جليا من أن بنو مروان اجتمع إلى باب عمر بن عبد العزيز فقالوا لابنه عبد الملك: "قل لأبيك إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا وإن أباك قد

(484) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 368)

(485) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 411). الطبري، تاريخ الطبري، (6/ 568)

الْجُهْدُ الدَّعْوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

حرمنا ما في يديه فدخل على أبيه فأخبره فقال لهم: إن أبي يقول لكم إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم".⁽⁴⁸⁶⁾

ثالثا: الخراج والجزية

من موارد بيت المال الخراج والجزية، فهما مبلغ معين من المال يدفعه من توافرت فيه شروط خاصة في وقت معين من السنة، وهما يختلفان في أن الخراج موضوع على الأرض ولا يسقط بإسلام الممالك، وثبت بالاجتهاد. والجزية موضوعة على الرؤوس وتسقط بالإسلام⁽⁴⁸⁷⁾، وتفرض بأهل الكتاب وغيرهم كما يفرض الزكاة على المسلمين. قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾⁽⁴⁸⁸⁾. فكانت الجماعات غير الإسلامية هي التي تدفع الجزية حيث كان ربان اليهود يأخذها منهم، وأسقف النصارى يأخذ منهم، أما المجوس وهم غالبية السكان في منطقة بلاد ما وراء النهر، فكان المرزبان يأخذ منهم ويستسلمها للمسلمين⁽⁴⁸⁹⁾. كانت الجزية تجمع ممن تجب عليه شروط دفعها وأما ما لا يجب عليه فلا، وقد وزعت عليهم بنسب مختلفة.⁽⁴⁹⁰⁾

والخراج هو يؤخذ من الأرض التي أفاء الله بها على المسلمين فملكوها وصالحوا أهلها على أن يتركوهم فيها بخراج معلوم يؤدونه إلى بيت مال المسلمين، وقد

(486) السيوطي، تاريخ الخلفاء، (1/ 238)

(487) يحيى بن آدم القرشي، كتاب الخراج، (ص/ 181). حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، (1/ 382)

(488) سورة التوبة، الآية رقم: (29)

(489) يوليوس فلهوزن (مستشرق ألماني)، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية،

نقله عن الألمانية: محمد عبد الهادي أبو ريدة، راجع الترجمة: حسين مؤنس. (ص/ 261)

(490) إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي، (ص/ 438)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

تناول الماوردي الكلام على الخراج فقال: "وأما الخراج فهو ما وضع لي رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها، وفيه من نص الكتاب بينة خالفت نص الجزية، فلذلك كان موقوفا على اجتهد الأئمة"⁽⁴⁹¹⁾، قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾⁽⁴⁹²⁾. وكان اهتمام الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية في هذا الإطار اهتماما بالغاً إذ يقول عمر بن الخطاب عن الفلاحين: "اتقوا الله في الفلاحين"، وكان عمر بن عبد العزيز يوصي ولاته بقوله: "لا تقتلوا راهبا ولا أكارا"⁽⁴⁹³⁾. ومن هذا المال كانت الدولة الأموية معظمها تستفيد تصرف أعطيات الجند وما تتطلبه مرافق الدولة وما بقي يرسل إلى بيت المال.

وقد اختلف الامراء في بداية العصر الأموي في مفهوم تقدير الخراج، فقصره بعضهم على جزية الرؤوس التي فرضت على أهل الذمة، وقصره غيرهم على ضريبة الأرض، وكل منهما يخالف ما جرى به عرف الرواة الذين تحدثوا عن مقدار الخراج في الولايات. فهم يعنون بالخراج المال الذي يأتي من إحدى ناحيتين: الأولى الضرائب الشخصية المعروفة بالجزية أو جزية الرؤوس، الثانية ضرائب الأطيان، وذلك هو مجال اختلافهم. وهذا الاختلاف أدى إلى أخذ زيادة الضرائب حيث لم يرعى الخلفاء الأمويون القواعد التي قررها الخلفاء الراشدون بل جاوزوا حدودها، ولا سيما في عهد معاوية بن أبي سفيان إذ أنه كتب إلى عامله في مصر: "أن زد على كل امرئ من القبط قيراطا، فرد به، "كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزد عليهم"⁽⁴⁹⁴⁾، وقد كانت الحال في بلاد خراسان وما وراء النهر حيث أن عبد الملك

(491) الماوردي، الأحكام السلطانية، (ص / 227)

(492) سورة المؤمنون، الآية رقم: (72)

(493) ابن قدامة، المغني، (9 / 313). يحيى بن آدم، الخراج، (ص / 48)

(494) البلاذري، فتوح البلدان، (ص / 215)

الْجُهْدُ الدَّعَوِيُّ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

بن مروان عمل إحصاء جديد للسكان عامة، وكلف كل شخص بسداد ما فرض عليه من الضريبة، وزادت جزية كل شخص على ما كانت عليه من قبل.⁽⁴⁹⁵⁾

عندما كان الحجاج بن يوسف والي العراق وخراسان، أسلم عدد ضخم في بلاد ما وراء النهر بسبب الحروب الواسعة والفرار من الجزية، فعندما زاد عدد من أسلموا انخفضت الأموال في خزينة الدولة بشكل كبير، وحينها قرر الحجاج وغيره من الموالي استمرار فرض الجزية على المسلمين الجدد، وأعاد وضع الخراج على الأرض التي أسلم أصحابها كما كان من قبل إسلامهم، وقال لهم حينما أمر بإعادتهم إلى قراهم: "أنتم علوج وعجم، وقراكم أولى بكم"⁽⁴⁹⁶⁾، ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجهه إليها. هذا الأمر تسبب مشكلتين، أولاً: ارتدوا الذين أسلموا فراراً من الجزية، فقالوا إن كنا ندفع الجزية في الإسلام فما بال أن نبقي على ديننا. ثانياً: انضمام الناس إلى ثورة ابن الأشعث ضده. قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽⁴⁹⁷⁾، وهذه الآية تخالف تماماً في أخذ الجزية إذا كانت في العدوان، وقول ابن تيمية: "الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"⁽⁴⁹⁸⁾، فخزينة الدولة لا تملأ بأخذ المال من الغير بالظلم، بل بالعدل والمساواة. وكانت بعض ولاة الدولة الأموية في ذلك الحين أضرب بشيئين رئيسيين الذي ذكرناهما بسبب عدم تطبيق أمور الشريعة الإسلامية في هذا المجال. والسبب

(495) أبو يوسف، الخراج، (ص/ 34)

(496) أبو عمر شهاب الدين أحمد ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة

الأولى: 1404هـ، (3/ 364)

(497) سورة الممتحنة، الآية رقم: (8)

(498) فتاوى ابن تيمية، (28/ 63)

الرئيسي في هذا المجال أن الحجاج لم يكن يفعل ذلك ليحصل على الأموال الضخمة ويجمع في خزينته الشخصية، بل يرى سياسته هكذا ويتبع أوامر الخليفة لاستقرار الأمور وإن كان على ما خالفه، ويمكن تمثل ذلك واستجلاؤه من خلال الحوار الذي دار بينه وبين الخليفة عبد الملك، بوصفه رد فعل لشكوى روح بن زنباع⁽⁴⁹⁹⁾ له من الحجاج في ضرب غلمانته وحرق فساطيطه، حيث أجاب له الحجاج بفعل ذلك أنه لم يفعل، وقال: "إنما يدي يدك، وسوطي سوطك، وما على أمير المؤمنين أن يخلف على روح عوض الفسطاط فسطاطين، وعوض الغلام غلامين؟ ولا يكسرنى فيما قدمني له؟ فأخلف لروح ما ذهب له"⁽⁵⁰⁰⁾. فكان مخلصا في خدمة بني أمية زهاء عشرين سنة حتى مات في عهد الوليد بن عبد الملك، ولم يترك وراءه غير القرآن وسلاحه وبعض مئين من العملة الفضية.

وفي هذا الإطار كان عمر بن عبد العزيز يعرف أهمية العدل في بناء الدولة وكيفية حل مشكلات الفقر، فكان أول ما بدأ به هو رد المظالم، فبدأ بنفسه وأعاد كل الأموال التي أخذها من بيت مال المسلمين حيث قال: "إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي"⁽⁵⁰¹⁾ وهذا الفعل جعله قدوة للآخرين، حتى وأمر بإعادة أرض في حلوان إلى صاحبها المصري بعد أن عرف أن أبوه عبد العزيز ظلم المصري وأخذها دون وجه حق⁽⁵⁰²⁾. وبعد أن انتهى من نفسه أمر برد جميع مظالم بني أمية وأمرائهم والتي

(499) روح بن زنباع بن سلامة بن حداد بن حديدة ابن أمية بن امرئ القيس بن جمانة، أبو زنباع الجذامي الفلسطيني، ولأبيه زنباع صحبة أرسل عنه النبي صلى الله عليه وسلم، حدث عن أبيه ومعاوية بن الصامت وغيرهم، كان له اختصاص بعبد الملك بن مروان. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، (18/ 240)

(500) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (2/ 30-31)

(501) ابن سعد، الطبقات، (5/ 263)

(502) ابن حجر، الدراية في تخريج أحاديث الهذاية، (1/ 250). محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، المبسوط، دار المعرفة-بيروت، 1414هـ/ 1993م، (2/ 209)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

حصلت بعضها من عشرات السنين. واستمر عمر بن عبد العزيز في هذا الأمر، وأنه منع الجزية على كل من أسلموا وسقط عن الفقراء غير المسلمين من أهل الذمة وغيرهم حتى أنه أمر بالإنفاق عليهم⁽⁵⁰³⁾، وأعلن إعادة الحقوق لهم، فأصبح هذا الأمر بتفليس خزانة بعض الدول، واشتكى إليه أغلب الولاة، فرد بالقول: "لوددت أن كل الناس أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا"⁽⁵⁰⁴⁾، فلم يقتصر هذا بنفسه بل أمر الولاة أن يضع الجزية عن من أسلم، ففي رواية يقول لأحد أمرائه: "إن الله بعث محمدا داعيا ولم يبعثه جابيا، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كان أهل الذمة أسرعوا في الإسلام وكسروا الجزية فاطو كتابك وأقبل"⁽⁵⁰⁵⁾.

ولم يكن عامل الخليفة على مصر هو الوحيد الذي طلب منه السماح له في أخذ الجزية ممن أسلم، فهذا هو عامله على الكوفة وخراسان وما وراء النهر، يسأله أخذ الجزية المتراكمة على اليهود والنصارى والمجوس الذين أسلموا، فجاءه رد عمر عبد العزيز الواضح يقول: "كتبت إلي تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة، وتستأذني في أخذ الجزية منهم، وإن الله جل ثناؤه بعث محمدا داعيا إلى الإسلام ولم يبعثه جابيا، فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه، وميراثه ذوي رحمه إذا كان منهم يتوارثون أهل الإسلام، وإن لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بين المسلمين، وما أحدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه والسلام"⁽⁵⁰⁶⁾. وكذلك كان عمر بن عبد العزيز قام بالحوار

(503) ابن سعد، الطبقات، (5/ 296)

(504) أبي نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (5/ 305)

(505) ابن سعد، الطبقات، (5/ 384). المقرئزي، الخطط، (1/ 78)

(506) أبي يوسف، الخراج، (ص/ 142). ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، (ص/ 99-100)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

مع الخوارج، وفي حينها منع فرض الضرائب والجزية على الموالي، وأصبح ذلك سببا لتوقف الحروب فقل صرف الأموال على الحروب واستفاد منها في حل مشكلة الفقر.

رابعاً: إعطاء الحرية للتجار والكسب

كانت التجارة مورد مهم تعتمد عليه سكان بلاد ما وراء النهر مع أن إيراد الأموال وإصدارها يكون بين الدول المجاورة أو قرى مختلفة، وذلك عن طريق أسواق تربطها طرق وجسور تجارية مهمة سهلت عملية التبادل التجاري بين المدن والدول. وكانت بلاد ما وراء النهر يعتبر مركزاً للأسواق يأتون إليها آلاف التجار من الخارج، وفيها صناعات وحرف وشركات كبيرة تعمل فيها آلاف العمال والمهندسين وغيرهم.⁽⁵⁰⁷⁾

وإلى جانب آخر فإن الحرية في التجارة والكسب كجزء من الحرية الاقتصادية، فقد قام عمر بن عبد العزيز بإعطاء الحرية للتجارة وكل من يكسب، وبها كتب إلى عماله على ضرورة منح الناس حرية استثمار أموالهم، والاتجار بها في البر والبحر على حد سواء، فقد كتب إلى عماله: "وأما البحر فإننا نرى سبيله سبيل البر، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾"⁽⁵⁰⁸⁾ فأذن أن يتجر فيه من شاء، وأرى أن لا نحول بين أحد من الناس وبينه، فإن البر والبحر لله جميعاً سخرهما لعبادة يبتغون فيهما من فضله فكيف تحول بين عباد الله وبين معاشيهم"⁽⁵⁰⁹⁾. وكذلك ألغى

(507) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 25 إلى 40). السمعاني، الأنساب، (5 / 195). البيروني، الآثار الباقية في القرون الخالية، (ص/ 204). اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (1 / 158). محمد أحمد محمد، بخارى في صدر الإسلام، (ص/ 11)

(508) سورة الجاثية، الآية رقم (12)

(509) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، (ص/ 98)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

لسهولتهم الضرائب التي تأخذ على الجسور والمعابر ومنع الاحتكار قبله، وفي ذلك ذكر ابن سعد⁽⁵¹⁰⁾ أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله أن يخلوا سبيل الناس في الجسور والمعابر وبدل ذلك يجعل اهتمامهم بأخذ الزكاة والصدقات من أهلها، ومنع أيضا التسعير وجعل الناس تعمل كيف ما شاءوا ما لم يخالف الشريعة. وقام يزيد بن عبد الملك (102-105هـ) وهشام بن عبد الملك بنفس الخطة التي اتبعها الخليفة السابق إذ أنهما حفرا الأنهار والسدود في وسط المدن لتنمية الزراعة، وقاما بتعبيد الطرق وإنشائه وذلك عن طرق بناء الجسور وغيرها. ولقد أثمرت ذلك في رد الحقوق وإطلاق الحرية الاقتصادية المنضبطة، حيث وفرت للناس الحوافز للعمل والانتاج، وأزالت العوائق التي تحولت دون ذلك وهذا أدى إلى نمو التجارة، ونموها زاد دخل الدولة بزيادة الزكاة مما أدى إلى رفع مستوى الطبقات الفقيرة.

خامسا: العدل ورفع الظلم

غياب العدالة والمساواة يؤدي إلى الظلم والفساد، وهذا يؤدي إلى الفقر وعدم استقرار الدولة، فالعدل عامل مهم في تحقيق الاستقرار الكامل في معالجة مشكلة الفقر من الأساس، ويظهر ذلك من قول عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي⁽⁵¹¹⁾، حيث قال: "العدل، كن لصغير الناس أبا، ولكبيرهم إبنا، وللمثل منهم أخا، وللنساء كذلك وعاقب الناس على قدر ذنوبهم، وعلى قدر أجسادهم، ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتعد من العادين"⁽⁵¹²⁾. وكذلك كتابته إلى عماله بعد

(510) يقول ابن سعد، كتب عمر بن عبد العزيز: إني ظننت إن جُعِلَ العَمَّال على الجسور والمعابر أن يأخذوا الصدقة على وجهها فتعدى عمال سوء غير ما أمروا به، وقد رأيت أن أجعل في كل مدينة رجلا يأخذ الزكاة من أهلها، فخلّوا سبيل الناس في الجسور والمعابر. انظر: ابن سعد، الطبقات، (5/ 294)

(511) انظر ترجمته، ابن عساكر، تاريخ دمشق، (44/ 130) رقم الأعلام: (6931)

(512) السيوطي، تاريخ الخلفاء، (1/ 243)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

أن اشتكوا أن مدينتهم قد خربت ويقطع لهم مالا، فقال: فحصنا بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها والسلام"⁽⁵¹³⁾، فإقامة العدل أهم من إقامة البناء لأنه من العدل سعة ومع الظلم ضيق ومشقة.

فمن أسباب سد نشر الفقر هو رفع الظلم، وفي ذلك قام خليفة الدولة الأموي عمر بن عبد العزيز بتبييض السجون التي كانت مملوءة بمظالم بعض الأمراء، وإخراج جميع المساجين إلا بعضهم الذين لهم خطر واسع في البيئة⁽⁵¹⁴⁾، فالسجن ليس من العقوبات المهمة في الإسلام مع أنها وسيلة التعزير، أحيانا يكون المسجون يستحق العقوبة، لكن العفو عندهم أثر الأبلغ والإيجابي في الإصلاح والتنمية الاقتصادية. فلذا أخرج عمر بن عبد العزيز المساجين وبعد ذلك لم يحتج إلى هذه السجون ولم يدخلها أحد، بل قيل: لم يعاقب أحدًا في عهده إلا رجلا كان يزور الدنانير.⁽⁵¹⁵⁾

ومن مقتضيات العدل ورفع الظلم مراجعة الأحكام السابقة الظالمة، والتي ترتب عليها حقوق الناس، أو الفصل فيها إذا ما أثبت من جديد، ومنها ما كتب عمر بن عبد العزيز "برد أحكام من أحكام الحجاج مخالفة لأحكام الناس"⁽⁵¹⁶⁾، ورفع الظلم لم يتوقف به الخليفة عند المسلمين بل شمل غير المسلمين أيضا، وهذا أدى إلى تنمية الاقتصاد الدولية وتوقف الحروب داخل الدولة وخارجها.

فخلاصة القول أن الإسلام يكره الفقر والحاجة للناس وقد يكون معصية حين يسأل الفرد عن الوقوع فيها، وقد يكون نكبة تسأل الدولة عن ضرورة تلافيها، لأن الإنسان لا يريد أن يعفيهم من ضرورات الحياة المادية ليفرغوا لما خلقه من أجله. فالفقر

(513) ابن عساكر، تاريخ دمشق، (45 / 202)

(514) ومنهم: يزيد بن أبي مسلم، انظر: ابن خياط، تاريخ خليفة ابن خياط، (1 / 326)

(515) البلاذري، فتوح البلدان، (ص / 455)

(516) السيوطي، تاريخ الخلفاء، (1 / 178)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

خطر على الأخلاق والسلوك، كما هو خطر على العقيدة والإيمان. فإذا كان الفقر خطرا على الذين باعتباره عقيدة وإيمانا، فليس بأقل خطورة عليه باعتباره خلقا وسلوكا، فإن الفقير المحروم كثيرا من يدفعه بؤسه وحرمانه ولا سيما إذا كان جواره الطاعمون الناعمون إلى سلوك ما لا ترضاه الضيلة والخلق الكريم، ولهذا قيل: صوت المعدة أقوى من صوت الضمير، وشر من هذا أن يؤدي ذلك الحرمان إلى التشكيك في القيم الأخلاقية نفسها، وعدالة مقاييسها كما أدى إلى التشكيك في القيم الدينية. وقد بين النبي عليه السلام شدة وطأة الفقر على صاحبه، وأثره في سلوكه: "خذوا العطاء ما دام عطاءً، فإذا صار رشوةً على الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه تمنعكم الحاجة والفقر".⁽⁵¹⁷⁾

والفقر أيضا خطر على الجانب الفكري للإنسان، فالفقير الذي لا يجد ضرورات الحياة وحاجاتها لنفسه وأهله وعياله، كيف يستطيع أن يفكر تفكيراً دقيقاً سليماً. وقد روى عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني أن الجارية أخبرته يوماً في مجلسه أن الدقيق نفذ، فقال لها: "قاتلك الله، لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه"، ويروى عن الإمام الشافعي أنه قال: "لا تستشر من ليس في بيته دقيق لأنه مدله العقل"⁽⁵¹⁸⁾ أي: لأنه متشتت الفكر، مشغول البال، فلا يكون حكمه سديداً، وذلك أن الانفعال الحاد يؤثر على سلامة الإدراك وصحة الرأي، وكما جاء به الحديث الصحيح حيث يقول: "لا يَقْضِيَنَّ حَكْمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وهو غَضَبَانٌ"⁽⁵¹⁹⁾،

(517) أبي نعيم، حلية الأولياء، (5/ 165). الطبراني، المعجم الكبير، (20/ 90)

(518) ابن قيم الجوزية، جمعها: صالح أحمد الشامي، مواظ الإمام الشافعي، (ص/ 31)

(519) البخاري، صحيح البخاري، (9/ 65) رقم الحديث: (7158)، كتاب الأحكام، باب هل يقضي

القاضي أو يفتي وهو غضبان

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

وقاس الفقهاء على الغضب: شدة الجوع وشدة العطش وغيرهما من الانفعالات المؤثرة. (520)

ومن جانب آخر أن الفقر خطر على الأسرة من نواح عديدة، على تكوينها، وعلى استمرارها، وعلى تماسكها، ففي تكوين الأسرة نجد الفقر مانعا من أكبر الموانع التي تحول بين الشباب وبين الزواج، وما وراءه من أعباء المهر والنفقة والاستقلال الاقتصادي، ولهذا القرآن أمثل هؤلاء أن يعتصموا بالعفاف والصبر حتى تواتيهم القدرة الاقتصادية: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (521). وفي استمرار الأسرة نرى ضغط الفقر ربما غلب الدوافع الأخلاقية، ففرق بين المرء وزوجته وعلى كره منه، وربما على كره منها، وهذا أمر اعتبره القانون الإسلامي، فأجاز للقاضي تطليق المرأة من زوجها لإعساره وعجزه عن النفقة عليها، رفعا للضرر عنها وفقا لقاعدة فقهية في حديث الرسول عليه السلام: "لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ". (522)

المطلب الثالث: أثر الفقر على البيئة والمجتمع

أولا: أثره على التعليم

يؤثر الفقر على المجتمعات بشكل كبير وواضح على مختلف المستويات، وبمختلف أنواع التأثيرات، فالفقر يؤثر بشكل كبير على التعليم، فالفقير لا يلقي

(520) محمد رأفت عثمان، النظام القضائي في الفقه الإسلامي، دار البيان، الطبعة الثانية، 1415هـ-

1994م. (ص/ 543)

(521) سورة النور، الآية رقم: (32)

(522) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الموطأ، مؤسسة زايد-أبوظبي، ط / 1425هـ-

2004م. (4 / 1078)، رقم الحديث: (2758). ابن ماجة القزويني، سنن ابن ماجة (3 / 432) رقم الحديث

(2341)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

للتعليم بالا، فأولوياته محصورة في سد احتياجاته من الأكل، والشرب، واللباس، والعلاج، مما يجعل التعليم بالنسبة له من الأمور الثانوية، وذلك بسبب عدم قدرته على تحصيله، وبالتالي يرى الفقير أن الأفضل له ولأولاده عدم الالتحاق بالمدارس، وإنما الالتحاق بما يحقق لهم مصدرا للدخل، مما يؤدي بدوره إلى اقتصار التعليم على الأغنياء، وزيادة معدلات البطالة، وهذا يحدث في حياة السابقين وعصرنا هذا، فالفقراء لا يرفدون الأسواق بما تحتاجه من متطلبات، كما أن ذلك يؤدي إلى ارتفاع نسبة الجرائم، وتفشي الرذائل والفواحش.

كذلك يؤثر الفقر على إبداع أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى عدم الابتكار، فيتعطل المجتمع عن التقدم والتطور، وذلك بسبب قلة إمكانيات الفقير، وعدم قدرته على مواكبة التطورات الحديثة، فالمواكبة تحتاج إلى قدرات مادية كبيرة.

وينتج عن الفقر أيضا انتشار الأمية في المجتمعات، وانتشار الأمراض أيضا، فالمرض يلزم المجتمع الفقير.

ثانيا: أثره على التنمية البشرية

يعيق الفقر تنمية الإنسان، بل إنه العائق الأكبر أمام التنمية البشرية، فالفقير يعجز عن استغلال الكثير من الأمور الممنوحة بالنسبة له بسبب فقره، مما يؤدي إلى عدم تطوره، كما يحرمه أيضا من الرفاهية، مما يؤدي إلى انعزاله عن المجتمع بشكل كبير.

يؤدي الفقر إلى انتشار الأمراض بين أفراد المجتمع وتفشيها، ويرجع السبب في ذلك إلى التغذية السيئة، مع عدم القدرة على توفير الدواء المطلوب لعلاج الأمراض.

فإن من سنة الله الكونية وجود رد فعل لفعل، يساويه في المقدار ويعاكسه في الاتجاه، فجميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان لا بد وأن يواجهه فيها بعض المشاكل

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

والعقبات التي تبطئ من بلوغه غايته وإعاقة تقدمه، أو أنها تسبب في انهيار العمل وعدم اتيانه بنتائجه نهائيا إذا لم يتم التعامل الدقيق والمناسب مع المشاكل من خلال وضع الحلول التي تؤدي إلى اجتيازها، والدولة الإسلامية التي تريد إنهاء الفقر لتوسيع نشر الدعوة الإسلامية وتنمية المجتمع من جهة الحضارة والثقافة وال عمران وغيرها، فهي أكثر تضررا بنشر الفقر حين تواجه المشاكل والصعوبات التي تضعف تقدمها وانتشارها، أو قد تثبط جهود القائمين عليها، والتي يجب على الدولة أن يضع لها الحلول المناسبة لاجتيازها والاستمرار في عمليتها حتى يصل إلى النتائج التي يرجوها، ولا ييأس من الاستمرار بها، فالمشاكل ينبغي حلها والابتعاد عنها تماما. لذلك حرصت الشريعة الإسلامية على تحسين الحالة الاقتصادية للدولة الإسلامية بأمرها بكسب المال وارتاح الفرص للناس حتى لا يكون عالة الناس على المجتمع الذي فيه.

والجدير بالذكر أن كسب المال للناس وشغله فيه لا يسده عن الدعوة إلى الله تعالى، ومن خير أمثلة ذلك حكاية عمر بن الخطاب مع الأنصاري خير دليل في هذا الجانب، فكانا يتناوبان في النزول على مجلس النبي ﷺ، فيأتي عمر للمجلس ويخرج ذلك الصحابي للعمل والتكسب لأهل بيته، وفي اليوم التالي يذهب عمر للتكسب لأهله ويجلس الأنصاري في مجلس النبي ﷺ وفي المساء يعلم كل منهما الآخر ما ذكره في مجلس النبي ﷺ⁽⁵²³⁾، فالصحابة كانت لا تشغلهم تجارتهم ولا عملهم ولا تدبير شؤون أهلهم ومنزلهم عن التعلم والتعليم الذي هو رأس أمر الدعوة إلى الله. فإن قضية حل مشكلة الفقر أولى من غيرها، فكان يرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضية الفقر أولى من غيرها من القضايا الكثيرة، فكان أراد أن يقسم كنز الكعبة

(523) البخاري، صحيح البخاري (1 / 29)، رقم الحديث: (89)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

المدفون فيها على فقراء المسلمين، فلما أخبر بأن النبي وأبا بكر لم يفعلوا ذلك، توقف عنه واقتدى بهما. وهذا الأمر يعني كم من قضية يواجه الدولة الإسلامية لكن من خيرها أن يكون الأمة في خير ونعمة وأمن وسلام. فكما أن الزكاة شرع اعطائه لمؤلفة القلوب لجلب الناس في دين الله وتوسيع نشر الدعوة الإسلامية حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾⁽⁵²⁴⁾، فهو مرتبط بالدعوة الإسلامية ارتباطا وثيقا، لأن عدم اعطائه يؤدي إلى الفقر، والفقر يجد المشاكل الدينية والثقافية والأخلاقية حتى السلوكية، فإذا قضى الدولة بمشاكل الناس الاقتصادية يسهل تطبيق ما أراد من أوامر الله.

(524) سورة التوبة، الآية رقم (60)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

المبحث الثالث: اهتمام الدولة الأموية بالرعاية الصحية في بلاد ما وراء النهر

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن الرعاية الصحية قبل العصر الأموي

أولاً: الحالة الصحية والطبية في عصر النبوة

كان في بلاد ما وراء النهر قبل الإسلام علوم ومعارف طبية موجودة لكنها بدائية وبسيطة، واعتمد أطبائهم على خبرات أطباء بلاد فارس الذي كان فيه بيمارستان القديم سمي جنديسابور وسيأتي بحثه، والصين حيث أنهم يعرفون أن أمراض الصدر تكثر في الشتاء، والحميات في الخريف، وأن أمراض العصبية تكثر في الربيع بينما تكثر الأمراض الجلدية في الصيف، ومن ثم نبهوا على ضرورة الوقاية من جانب المريض تبعاً لكل فصل بما يلزم للوقاية من هذه الأمراض الموسمية، وهكذا عرفوا الأمراض الأخرى وتمكنوا من معرفة التبدلات التي تطرأ على النبض في الأمراض المختلفة، واعتمدوا على الوسائل الطبيعية للعلاج، حيث توسعوا في مفهوم العلاج الطبيعي مزيجاً من الطب اليوناني والهندي المشهورين.

كما أن طبقة الزرادشتية برزت في هذه البلاد والتي اهتمت بدراسة الطب، ولمعت في صناعته، وتكونت من هذه الطبقة فئات ثلاث من المعالجين، منها كانت تعالج بالأدعية والصلاة، والأخرى بالأغذية والعقاقير، والثالثة كانت تستعمل الأدوات الدقيقة في إجراء العمليات الجراحية.

وأن العرب قبل الإسلام فكانوا يعتمدون في علاج الأمراض على السحر والتنجيم والشعوذة حيث أنهم يستعملون دماء ذبائح بعض الحيوانات والطيور أو الحشرات في العلاج مع السحر والشعوذة⁽⁵²⁵⁾، حيث كان المرضى يعالجون عند المنجمين والكهان، باستثناء قلة معدودة من أطباء العرب الذين حصلوا على بعض المعارف

(525) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقة الأطباء، (ص/ 421). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الطبية القديمة عندما زاروا بلاد فارس واليمن، أو وجدوا بعض الوصفات العلاجية القديمة⁽⁵²⁶⁾، ومن أمثال ذلك الحارث بن كلدة الذي تعلم في المعارف الطبية في مستشفى جنديسابور⁽⁵²⁷⁾. وكان اتصال العرب بجنديسابور لا يلحق بالمسلمين بل كان بدأ قبل الدعوة الإسلامية، واستمرت حتى العصور ما بعد النبوة والخلفاء الراشدين، وازداد اتصالها في العصر العباسي.

ذكرنا باختصار كيفية اهتمام الرعاية الصحية للأمم السابقة في بلاد ما وراء النهر وغيرها، لكن ومع ظهور الإسلام زاد الاهتمام بها على أسس الشريعة الإسلامية، واحتراما لمن مارسوا الطب الجاهلي بالمعرفة والكهانة. فعني النبي ﷺ بصحة الأبدان، وقد احتلت الأحاديث الطبية جزءا لا بأس به من أحاديث الرسول، وقد جمعت ودونت هذه الأحاديث الطبية في مؤلفات خاصة بالطب النبوي وغيرها. وقد حث النبي ﷺ فيها على الاستزادة من المعرفة الطبية، حيث يقول: "ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً"⁽⁵²⁸⁾، وهي دعوة صريحة لضرورة تقصي المرض وعلمته، والبحث عن طرق علاجه ومن ثم ربط الرعاية الطبية والصحية بالعلم. وعن سلمى خادمة رسول الله ﷺ قالت: (ما أحد يشتكي إلى رسول الله وجعا في رأسه إلا قال: احتجم، ولا وجعا في رجله إلا قال: اخضئها).⁽⁵²⁹⁾

وكان النبي ﷺ في بداية الأمر ينصح الناس بالأدوية الطبيعية، مثل حبة السوداء، والغسل، والحناء والخل وغيرها⁽⁵³⁰⁾، حيث كان يشفي هذه الأشياء في كثير من

(526) أحمد حسنين القرني، قصة الطب عند العرب، دار الكتب المصرية، 2018 م. (ص/ 1)

(527) ابن هشام، السيرة النبوية، (ص/ 688)

(528) البخاري، صحيح البخاري، (7/ 122)، رقم الحديث: (5678)، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء

(529) أبو داود، السنن، (6/ 8)، كتاب الطب، باب في الأمر بالحجامة.

(530) مسلم، الصحيح، (3/ 1622)، رقم (2052)، كتاب الأشربة، باب فضيلة الخل والتأدم به

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

الأمراض والتي ثبت بالآيات الكريمة وأحاديث النبي ﷺ. وكان في زمنه ﷺ يعلمون الطب ويعملون به، حيث ذكر ابن الجوزي والذهبي في كتابيهما⁽⁵³¹⁾. لكن مع توسع الفتوحات الإسلامية جعل النبي أن يقوم بمستشفى خاصة للجرحى في الغزوات والمرضى واختص له الأطباء. ولم يقتصر النبي ﷺ بالجانب النفسي للصحة من خلال توجيهاته الطبية في الأحاديث النبوية والتي تدعو إلى حسن الظن بالله وعدم جلب الأحزان والهموم النفس البشرية والتي تؤدي إلى الأمراض في الأبدان، كقوله: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الذين وغلبة الرجال"، وأكد على أهمية الاستغفار لتفريج الهموم قوله "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل فرجاً ومن كل ضيقٍ مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب"⁽⁵³²⁾، وذلك لأن الأخذ بالأسباب من الأدوية والتوجيهات والنصائح من شعائر الله في تطبيق الإنسانية.

فمن الأسباب والوسائل الذي استخدمه الرسول عليه السلام في استخدام قضية الصحة هو المستشفى خاصة بناه في المسجد النبوي، لرعاية الجرحى والمرضى⁽⁵³³⁾، والذي يعد خطوة عملية نحو تحرير الطب من الأسطورة والخرافات التي تشل فاعليته، ولعل المتأمل للأحاديث النبوية الشريفة، يلحظ الكثير من الأحاديث التي تدعوا إلى العلاج ومعالجة الأمراض بطريقة صحيحة وعلمية، والتي تكشف على علم الطب، فعلى سبيل المثال، أمر البعض بالتداوي بالحمية وقطع لبعضهم عرفاً،

(531) راجع للأدلة والبراهين حول الطب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم: صفة الصفوة، تحقيق:

أحمد بن علي، دار الحديث-القاهرة، 1421هـ/ 2000م. (1/ 319). تاريخ الإسلام، (2/ 507)

(532) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (1254)

(533) يعتبر المؤرخون أن أول مستشفى أقيم في الإسلام كان ذلك المستشفى العسكري الذي بناه الرسول في غزوة الخندق، أنظر: البخاري، صحيح البخاري، (1/ 100)، رقم الحديث: (463). باب الخيمة في

المسجد للمرضى وغيرهم

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

وكي آخر، وقال لعلي رضي الله عنه وكان قد رمد: (لا تأكل من هذا (يعني الرطب)، وكل من هذا، فإنه أوفق لك، يعني سلقا قد طبخ بدقيق أو شعير)⁽⁵³⁴⁾، لأن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية، حيث قول الرسول: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم ثلاث أكالاتٍ يُقْمَنَ صُلْبُهُ، فإن كان لا محالة، فثُلثُ طَعَامٍ، وثُلثُ شَرَابٍ، وثُلثُ لِنَفْسِهِ"⁽⁵³⁵⁾، فإن كثرة الأكل يؤدي إلى هلاك صحة البدن، حيث أن الخليفة عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان سألا الحارث بن كلدة من خريج مدرسة الطبية جند يسابور عن الطب؟ فقال: الأزم، أو الحمية⁽⁵³⁶⁾، يعني الجوع وعدم الإكثار من تناول الطعام، وهذا يدل على أن الأطباء يؤكدون على الطب الوقائي أكثر من العلاج، وفي هذا يقول ابن خلدون في مقدمته في فصل صناعة الطب⁽⁵³⁷⁾، "هذه الصناعة ضرورية في المدن والأمصار، لما عرف من فائدها، فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء، ودفع المرض على المرضى بالمداوة، حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم، واعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية"، ولما كان الإسلام غايته الأساسية حفظ حياة المسلم والعناية بصحته الجسمانية والنفسية؛ فقد اعتبر الشارع مهنة الطب من فروض الكفاية التي إن لم يقم بها أحد من أهل بلد مسلم أثم أهل البلد جميعاً، ونظم الإسلام مهنة الطب، ووضع قواعد الممارسة الطبية التي يجب أن يلتزم بها كل من الطبيب ومريضه؛ من أجل صلاح البدن وسلامة الفرد.

(534) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة-بيروت، (4/ 284)

(535) الترمذي، سنن الترمذي (4/ 590)، رقم الحديث: (3280)، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل

(536) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، (ص/ 161). فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،

(9/ 302)

(537) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار القلم-بيروت، 1404هـ/ 1987م، (1/ 4)

ثانيا: الحالة الصحية والطبية في العصر الخلفاء الراشدين

يعد عصر الخلفاء الراشدين عصر تطور وتوسع للدولة الأموية لا سيما عهد عمر بن الخطاب، الذي بنى فيه المدن، ودنت فيه الدواوين، وفتحت فيه الأمصار، وتطورت الجانب القضائي ونالت الصحة والطب نصيبها من هذا التطور، وقد استفادوا من ثقافات أخرى وصناعات وعلوم الشعوب.

فعلى الرغم من انشغالهم بنشر الإسلام وتثبيت أركان دولتهم، إلا أنهم لم يهملوا العلم الطبي، فقد كانت عناية الخلفاء الراشدين بالطب والأطباء عناية خاصة وذلك لحاجة المجتمع الإسلامي لهم، فقد كان أبو بكر الصديق ولو كان منشغلا في حروب المرتدين لكنه تمكن من سلامة الجيوش في جانب الصحة، حيث أنه يوصي قواده بالرفق بالجنود وعدم إرهاقهم بالمشي لمسافات طويلة لأن بعضهم ضعفاء الجسم لا يستطيعون المشي الطويل⁽⁵³⁸⁾. وقد تنبه عمر بن الخطاب إلى أهمية المراكز العلمية التي ساهمت في تطوير علم الطب منها: مدرسة جنديسابور في بلاد فارس والإسكندرية في مصر، فمثلا اعتنى الخليفة بالمرضى، ومنهم المصابين بالأمراض الجلدية كالمجدومين، وخصص لهم رزقا من بيت المال⁽⁵³⁹⁾ ومنع اختلاطهم بالناس، فضلا عن ذلك، فقد خصص رزقا للعجزة، وفي خلافته ظهرت طبابة الحروب، وتطورت تطورا ملحوظا، فقد أرسل الأطباء مع الجيوش لمداواة

(538) الواقدي، فتوح الشام، (1 / 15)

(539) أنه فرض لكل مولود من بيت المال، السيوطي، الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير،

(14 / 390-391)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الجرحي الذين رافقوا جيش سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية سنة (15هـ / 636م).⁽⁵⁴⁰⁾

وكان المسلمون لا يجدون غضاضة من الاستعانة بالأطباء غير المسلمين، فالخليفة عثمان بن عفان استعان بالأطباء غير المسلمين في معالجة المرضى المسلمين، فيروي أنه جيء بأحد الأعراب المجروحين إليه فأرسله إلى طبيب نصراني كي يداويه⁽⁵⁴¹⁾، واهتمامه بصحة الأسنان دليل آخر اهتمامه بقضية الصحة حيث أنه شد أسنانا من الذهب استخدمه لصحتها⁽⁵⁴²⁾، لأن المعادن الأخرى التي قد تستخدم في هذا المجال يصدأ، كما فعله الآخرون قبل الإسلام. وللخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه نصائح طبية قيمة حول الغذاء، حيث قال: (لا أحب أن يدخل في بطني إلا ما أعلم)⁽⁵⁴³⁾، وكذلك نصائحه الخاصة بتناول بعض الأطعمة النافعة للبدن كالتمر، حيث قال: (من أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل داء في بطنه..⁽⁵⁴⁴⁾)، واهتم بالرقابة الصحية على الأسواق وأمر القصابين بعدم النفخ في الذبيحة عند سلخها، لخوفه من أن يكون أحد القصابين مصابا بأمراض معينة تؤدي إلى تلوث

(540) ومن هذه الأطباء، الحارث بن كلدة وغيرهم، راجع: ابن جلجل أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي-القاهرة، الطبعة الثانية، 1347هـ / 1955م، (ص/ 54-55)

(541) عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي وآخرون، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1998م، (2/ 131)

(542) ابن عساكر، تاريخ دمشق، (12/ 39). السيوطي، تاريخ الخلفاء، (1/ 150)

(543) ابن الأثير، الكامل، (2/ 750)

(544) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية-القاهرة، 1343هـ / 1925م، (ص/ 368)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

اللحم وفساده عند نفخه فيه، وهذا سيؤدي إلى تعرض الناس للتسمم، حيث من أقواله لأصحاب الأسواق والمحال الغنائية: (من نفخ فليس منا).⁽⁵⁴⁵⁾

والجدير بالذكر أن عمارة بعض المدن في هذا العصر كان قد اهتم بالجانب الصحي أيضاً، حيث قاموا بتطبيق قاعدة "لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ"، فيجلب مصالح المكان ويدفع مضاره، وفي هذا قول ابن خلدون الواضح "أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها، فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار منازلها جميعاً سياج الأسوار..⁽⁵⁴⁶⁾، وكان من طبيعة الحكومات آنذاك أن المستشفيات كانت تبنى في أفضل الأماكن البيئية وأبعدها التلوث والتغير، وبدأ ذلك مند فترة باكرة، فأول مستشفى في الإسلام كان خيمة نصبت في مسجد النبي ﷺ، والمسجد هو أطهر أماكن في أرض المسلمين، إذ يجتمع الناس فيه للصلاة وهم متطهرون. ونرى كثير من المستشفيات في الحضارة الإسلامية بنيت بجوار المسجد، ويزداد الأمر وضوحاً إذا علمنا أن المسجد كان هو مركز المدينة الإسلامية وأفضل البقاع فيها، وأحياناً تبنى بجوار القصور أو تحول القصور إلى مستشفيات، ولا شك أن القصر يبنى في أفضل المواقع من المدينة، فمن هذا ما ورد أن معاوية بن أبي سفيان بنى بيمارستاناً عند المئذنة الغربية من الجامع الأموي⁽⁵⁴⁷⁾، واستمر هذا الاهتمام البالغ عند الخلفاء الأمويين والعباسيين حيث توسيع الدولة الإسلامية تجلبت الأطباء والمدارس الطبية استفادوا منها المسلمون.

(545) عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الأمالي في آثار الصحابة، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن-القاهرة، (1/ 105)

(546) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، (1/ 432-433)

(547) ابن العماد، شذرات الذهب، (7/ 584)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

وبذلك نجد أن الخلفاء الراشدين قد قدموا اهتماما بالغاً للناس في عصرهم على الرغم من انشغالهم بالفتوحات الإسلامية التي نشطت في عصرهم، إلا أنهم لم يهملوا الجانب الصحي والطبي والذي أدى إلى تحقيق انتصارات عظيمة ورائعة في عصرهم الذهبي، فقد كثرت في عهد الخلفاء الراشدين إقامة المستشفيات المتنقلة فيما بعد، حتى أصبح المستشفى المتنقل مجهزاً بجميع ما يحتاجه المرضى من علاج وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة، وكان ينتقل من قرية إلى قرية في الأماكن التي لم تشيد فيها مستشفيات ثابتة. وهذه نبذة سريعة للمسلمين عن الحياة الصحية والطبية في عصر ما قبل الأمويين.

المطلب الثاني: الرعاية الصحية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر

توجت الدولة الأموية إنجازاتها الحضارية بترك بصمات واضحة في المجال الصحي والطبي، فكان الفضل لهذه الدولة بتحويل الرعاية الصحية والطبية من عمل فردي إلى عمل جماعي من خلال تأسيس المستشفيات ومراكز الطب، إذ تعتبر المستشفيات مؤسسات علمية على غرار كليات الطب أو مستشفياتها التعليمية اليوم، فقد كانت الدروس عقد بها تحت إشراف أطباء أكفاء متخصصين.⁽⁵⁴⁸⁾

وكانت الدولة الأموية تتولى الإنفاق والإشراف على المستشفيات، وقسمت هذه المستشفيات إلى عمومية لإيواء المرضى على اختلاف أمراضهم ونزعاتهم، وأخرى خاصة للأمراض العقلية، وثالثة للأمراض السارية، وكان بعضها ثابتاً يقدم خدماته في الحواضر، وكان بعضها الآخر متحركاً يقدم خدماته إلى الأماكن النائية من خلال

(548) فتحة البراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الفكر العربي-القاهرة، 1427هـ/ 2008م،

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

انتقال الأطباء إلى تلك المناطق لمعالجة من لم يستطع الوصول إلى الحواضر أو التي لا يمكن الوصول إلى المستشفى.

وسيتم معالجة إسهامات الدولة الأموية في الجانب الصحي والطبي في بلاد ما وراء النهر خلال عدة محاور:

أولاً: إنشاء المستشفيات (البيمارستانات)⁽⁵⁴⁹⁾

تطورت قضية الصحة ومعالجة المرضى في عهد الدولة الأموية وازدادت اهتمامها اهتماماً بالغاً وذلك لسبب تعلم العرب المعارف الطبية في البلاد المختلفة، لأن الدولة الإسلامية انتشرت إلى أن وصلت من بلاد الصين إلى أبواب الأندلس من عاصمة واحدة وخليفة واحد، فكثر المساجد والعمارات وبناء المدن، وانجازات حضارية وثقافية أخرى، فكانت تحتاج الدولة أن يخصص الأماكن لمعالجة المرضى والجرحى حتى لا يصعب على الدولة مراقبته، فانشأت لأول مرة البيمارستانات الكبرى، والمصحات الطبية على اختلاف تخصصاتها في أرجاء الدولة الأموية، وترجمت الكتب الخاصة بالطب، وقام الخلفاء والولاة الأمويين بتشجيع طلاب العلم على دراسة تلك الكتب الطبية المعربة، مما ساهم في ازدهار الطب ازدهاراً كبيراً، ولكن لم يصل إلينا سوى القليل عن تاريخ الطب في تلك الحقبة التاريخية لا سيما في بلاد ما وراء النهر، وربما بسبب تعرض له التاريخ الأموي للأسف من طمس

(549) بفتح الراء وسكون السين، كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بیمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب، و (ستان) بمعنى مكان أو دار، فهي إذن بيت المرضى، ثم اختصرت في الاستعمال فصل مارستان. انظر: أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط-4، 1407هـ/1987م، (3/978). وذكر: "أن الملك مناقيوش بن أشمون أحد ملوك القبط الأول بأرض مصر، أول من عمل البيمارستانات لعلاج المرضى، وأودعها العقاقير ورتب فيها الأطباء وأجرى عليه ما يسعهم. انظر: المقرئ، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار،

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةِ اسْتِبَاطِيَّةِ

وتشويه من قبل خصومهم، ولعل الحديث عن الصحة والطب في هذه الحقبة التاريخية يكون فيه جزء من الإنصاف لإنجازات هذه الدولة.

وكما أن الدولة هذه ورثت البلاد العظيمة والتي تهد من أهم مراكز العلوم الطبية في العصور القديمة، حيث استفادوا من خبرات أطبائها وعلمائها، فكان خلفاء بني أمية من أوائل من أدخلوا الأطباء في الأعاجم إلى حاشيتهم، فتشير المصادر إلى أن ابن آثال النصراني طبيب معاوية أسهمت في نقل بعض معارف الطب إلى العربية، فقد كان خبيراً بالأدوية المركبة والمفردة وقواها⁽⁵⁵⁰⁾، وكان هذا الطبيب النصراني ماهراً في تخصصه متمكناً من علمه في الطب، مما دفع معاوية إلى تشجيعه على ترجمة بعض الكتب اليونانية إلى العربية، وبهذه الخطوة العظيمة تزايد أعداد المشتغلين بالطب في هذا العهد، وكان معاوية يعد أول من بنى بيمارستاناً ثابتاً في العصر الأموي في مصر⁽⁵⁵¹⁾، وهي الفكرة الذي وضع الرسول لها خطة أساسية في بلاد الإسلام، وذلك عندما أمر ببناء خيمة منفصلة في مسجده لمعالجة جرحى غزوة الخندق حين أصيب سعد بن معاذ، "اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةٍ رُفَيْدَةٍ حَتَّى أَعُوْدَهُ مِنْ قَرِيبٍ"⁽⁵⁵²⁾، وهكذا كانت هذه الخيمة هي أول مستشفى أو بيمارستان حربي منتقل في الإسلام. ولو تكلمنا بمستشفى ثابت فإن معاوية هو يعد أول من خصص من العرب بيمارستاناً خاصاً ثابتاً ليعالج المرضى.

ثانياً: المستشفيات في عهد الدولة الأموية

لم يكن بيمارستانات من الاختراعات الأموية بل هي قديمة الزمان، فكان المسلمون وإن كان حاجتهم إلى المستشفيات الخاصة بهم، لكن في المقابل تعرضت الدولة

(550) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، (1/ 171)

(551) ابن العماد، شذرات الذهب، (7/ 584). ابن دقماق، الانتصار، (1/ 99)

(552) ابن هشام، السيرة النبوية، (2/ 239)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

الأموية للعديد من الثورات، والتي هزت دعائمها وركائزها، وقد تكلمنا باختصار عن هذه الثورات التي كانت طوال حكومة الأمويين، ومع هذا ففي هذا العصر ظهرت أبهة الملك، وفي هذا العصر كانت أوسع عملية لرد المظالم لا سيما في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، وإلى جانب تلك الأحداث والتغيرات السياسية والاقتصادية والعسكرية، ازدهرت الحياة الطبية والصحية، فتم لأول مرة إنشاء بیمارستان الكبير، والمصحات الطبية على اختلاف تخصصاتها في أرجاء الدولة، وترجمت الكتب الخاصة بالطب غضا عن النظر بالأديان والأقوام والمناطق، وقام الخلفاء والولاة بتشجيع طلاب العلم على دراسة تلك الكتب الطبية المعربة، مما ساهم في ازدهار الطب ازدهارا كبيرا، ولكن المشكلة الأساسية التي نواجهها هو عدم الوصول إلينا تفاصيل كافية لتاريخ الطب وأعمالهم في تلك الحقبة التاريخية لا سيما في بلاد ما وراء النهر في ذلك العصر سوى القليل، وربما بسبب ما تعرض له التاريخ الأموي للأسف من طمس وتشويه من قبل خصومهم في الدولة العباسية ومن دون التاريخ، فيروي ابن عساكر في تاريخه⁽⁵⁵³⁾، بأن امرأة اسمها ريا حاضنة زيد بن معاوية، التي عاشت قرابة المئة سنة، وعاشت خلفاء بني أمية كلهم من معاوية بن أبي سفيان إلى هشام بن عبد الملك، وكان بسبب ذلك مرجعا من في رواية أخبار خلفاء بني أمية وقد تسبب لها ذلك في قتلها من العباسيين حين آلت إليهم الخلافة، ليمنعوا روايتها لمناقب خصومهم.

ومن جهة أخرى في الحقيقة أن هذه الدولة ساهمت كلما استطاعوا أن يستفيدوا من خبرات أطباء الدول الأخرى ويقدموا من أسهل ما حصلوا في جانب الصحة للمجتمع في كل ما فتحوه من البلاد.

(553) تاريخ دمشق (69 / 158-159)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

ولقد كان اهتمام الناس بالمعارف الطبية ملازما للتطور الحضاري، فلجأ بعضهم إلى التعاويد والسحر والتنجيم لشفاء مرضاهم. وعالجوا بعض الأمراض بتقصي عوارضها والعناصر المسببة لها وتعاطوا التشريح والجراحة. وقد أفادوا من توافر النباتات الطبية لتركيب الأدوية، ولذلك فإن العلوم الطبية ليست من صنع أمة واحدة، ولا شعب معين، بين أن بعض الأمم والشعوب لها دور بارز في تقدم هذه العلوم وتطورها على من سواها من الأمم، ونخلص هذا الاهتمام في الدولة الأموية بالملاحظات الآتية:

- أن معاوية بن أبي سفيان كان له طبيب خاص ابن آثال النصراني⁽⁵⁵⁴⁾ فإنه أسهم في نقل بعض معارف الطب إلى العربية، وكان طبيبا ماهرا، من بلاد حمص، وكان رئيسا لأهل الذمة بها، درس في مدرسة جنديسابور، متمكنا من علمه في الطب، خبيراً بالأدوية المركبة والمفردة وقواها⁽⁵⁵⁵⁾، مما دفع معاوية إلى تشجيعه على ترجمة بعض الكتب اليونانية الطبية إلى العربية.
- أن عمر بن عبد العزيز كان يحرض على استقطاب الأطباء المتميزين، بغض النظر عن دينهم ومذهبهم. فكان الطبيب عبد الملك ابن أبجر الكناني⁽⁵⁵⁶⁾، طبيبا خاصا لعمر بن عبد العزيز، وكان يعتمد عليه في صناعة الطب.⁽⁵⁵⁷⁾

(554) كان طبيبا متقدما من الأطباء المتميزين في دمشق نصراني المذهب، أنظر ترجمته، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص/ 171)

(555) ابن الأثير، الكامل، (1/ 172). ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (ص/ 171)

(556) كان طبيبا عالما ماهرا، أسلم على يد عمر بن عبد العزيز وكان حيتنذ أميراً قبل أن تصل إليه الخلافة وصحبه. أنظر ترجمته: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص/ 171)

(557) ابن أبي أصيبعة، المرجع السابق، (ص/ 171)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

- اتساع رقعة الدولة الأموية إلى حدود الصين مما يشتمل فيه أجناس وأعراق وعلوم، كان لها الأثر في إثراء الحركة العلمية لا سيما الخاصة بالطب، حيث استفاد الأمويين من مدارسهم وكتبهم في تلك الأقاليم.
- إن توفر الأمن وسهولة الحركة والتنقل في أرجاء الدولة الأموية اسهم اسهاما كبيرا في تبادل الخبرات والمعارف الطبية والجراحة بين الأقاليم.
- إن نشاط حركة الفتح اسهم تقدما كبيرا في مجال الطب، إذ اقتضت الضرورة معالجة عددا كبيرا من الجرحى الذين كانوا يتساقطون في جبهات القتال، حيث كان كل جيش يصحب عدد من الأطباء والممرضات والمستشفيات الناقلة والأطعمة الصحية وغير ذلك.
- نشأ الوليد بن عبد الملك مستشفى خاصة بالمرضى تقدما كبيرا في مجال الطب في عهد الدولة الأموية، وهو أول مستشفى فعلي ثابت، حين أسكن به العميان والمحذومين حتى لا تنتقل العدوى للآخرين.⁽⁵⁵⁸⁾
- ومن الجدير بالذكر كان وجود العديد من العلماء والأطباء النصاري في البلاط الأموي لهو شهادة على سمو روح التسامح والتعايش في هذه الدولة. ومن أبرز ما ظهر المستشفيات في عهد الدولة الأموية ما يلي:

مستشفى جنديسابور في العصر الأموي

(558) المقرئزي، الخطط، (2/ 415). محمد بن يوسف الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك،

تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد-صنعاء، 1995م، ط / 2، (1/ 178).

أبو الحاسن، النجوم الزاهرة، (1/ 92)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

مدرسة أو مستشفى جنديسابور⁽⁵⁵⁹⁾ من أعرق المدارس الطبية التي تناولها المؤرخون، حققت شهرة واسعة بفضل أطبائها المهرة وعلومها الطبية المتقدمة، أنشأت قبل الإسلام وبقيت مستمرة في إنجاب العلماء والأطباء حتى حدود العصر العباسي، فهي لم تكن سوى المدرسة بل تقدم الأطباء وعالج المرضى المختلفة. وقد عاشت مدرسة جنديسابور أزهى أيامها عند فتح العرب بلاد فارس سنة (19هـ / 642م) أيام عمر بن الخطاب، وتعتبر هذه المدرسة بقعة علمية تختلط فيها علوم العرب والفرس واليونان والهند ومختلف حضارات الشرق، ما جعل منها مركزاً ثقافياً مرموقاً. وذلك لتوفر المصادر اليونانية والتي كانت تعتبر آنذاك المرجع الأول في الطب، حيث أن فلاسفة اليونان لجأوا إلى بلاد فارس حين أغلق المراكز العلمية الطبية سنة (489م و 529م) في مدينة الرها⁽⁵⁶⁰⁾ وغيرها من المدن، واشتهر مدرسة جنديسابور وجلب إليها المعلمين من اليونان⁽⁵⁶¹⁾، وقد شهدت مدينة جنديسابور تشييد أكبر وأول مستشفى أو بيمارستان عرفته الحضارة القديمة آنذاك،

(559) بضم الجيم، وفتح الدال، وياء ساكنة والسين مهملة وألف وباء موحدة مضمومة، (جُنْدِيْسَابُور أو جنديسابور)، هي مدينة بخوزستان، بناها الملك سابور بن أردشير (21-272م)، فنسبت إليه (سابور)، وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده، فعمرها سنة 260م قبل الإسلام بثلاثة قرون، فهي مؤسسة صحية دينية واشتق اسمه من اللغة الفارسية، وهو يعني مكان المرضى أي المستشفى، فهي في حين مدرسة ومستشفى. انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص/ 405 و 408). ياقوت الحموي، معجم البلدان، (170 /2)

(560) اسمها بالرومية: أداسيا، وهي من مدن الجزيرة الفراتية، بنيت في السنة السادسة من موت الاسكندر المقدوني، بناها الملك سلوقس، اشتهرت بكثرة الأديرة. انظر: ابن الفقيه الهمداني، البلدان، (ص/ 180). ياقوت الحموي، معجم البلدان، (3 / 106)

(561) عيسى بك، تاريخ البيمارستانات الإسلامية، (ص/ 61-62)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

كما كان بادرة حسنة ساعدت في إنشاء مستشفيات عدة في البلاد الإسلامية فيما بعد. (562)

لم يكن هذا المستشفى من اختراعات المسلمين، بل كان اتصالهم بجنديسابور قائما قبل بدء الدعوة الإسلامية، واستمرت مدرسة جنديسابور في تقديم خدماتها في العصر الأموي، ثم ازداد اتصالهما بالعرب المسلمين في العصر العباسي حين تطورت الوسائل.

لقد كانت مستشفى جنديسابور أول من ساعد الخلفاء الأمويين على نشر الطب في بلادهم، بما تخرج منها من الأطباء والمترجمين الذين برزوا في بلادهم، وكان لأطبائها معرفة واسعة بفروع علم الطب، فتخرج منها أطباء متخصصون في علاج الأمراض المختلفة، وبذلك تنوعت الخدمات التي قدمها هؤلاء الأطباء في المجتمع العربي لتنوع مجالات تخصصاتهم.

وقد ذكر ابن القفطي⁽⁵⁶³⁾ في الحديث عن تطور صناعة الطب في جنديسابور: "إن أهل جنديسابور من الأطباء فيهم حذق بهذه الصناعة، وعلم من زمن الأكاسرة، وذلك سبب وصولهم إلى هذه المنزلة، ولم يزل أمرهم يقوى في العلم ويتزايدون فيه ويرقبون العلاج على مقتضى أمزجة بلادهم حتى برزوا الدولة الأموية وجهودها في الرعاية الصحية والطبية في الفضائل، وجماعة منهم يفضلون علاجهم وطريقهم على اليونان والهند؛ لأنهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوه من قبل نفوسهم، ورتبوا لهم دساتير وقوانين وكتبوا جمعوا فيها كل حسنة مما يستدل منها على فضلهم وغازاة علمهم".

(562) علي بن يوسف القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، (ص/ 106)

(563) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، (ص/ 106)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

وفي جانب مستشفى جنديسابور ورث الأمويون العديد من مراكز العلوم الطبية في العصور القديمة كالاسكندرية وأنطاكية وغيرها، فاستفادوا من خبرات أطبائها وعلمائها، وقربوا إليهم الأطباء المشهورين، فكان ابن الأثال النصراني طبيب معاوية بن أبي سفيان. وقد أسهم في نقل بعض معارف الطب إلى العربية، من خلال ترجمة بعض الكتب اليونانية إلى العربية، وزاد عدد المشتغلين بالطب في عهذه عن ذي قبل.

وقد اهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز بالطب، فقد ترجم في عهذه كتب الطب من اللغات الأخرى إلى العربية للانتفاع به، كما خطا خطوة للأمام بنقل تدريس الطب من بلاد مختلفة مثل الاسكندرية وانطاكية وحران، وقام ذلك تحت إشراف الطبيب عبد الملك بن أبجر الكناني طبيب عمر بن عبد العزيز الخاص.⁽⁵⁶⁴⁾

مستشفى دمشق الصغير

أن مستشفى دمشق الصغير من أقدم ما عرفتة الدولة الأموية حيث تنسب عمارته إلى الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، فساعده لخدمة الناس ماديا ومعنويا. وكان من أصول الدولة الأموية أنهم يرسلون أبناء البلاد إلى مدن أخرى بعيدة حيث يتعلموا الطب وغيرها من العلوم. ويتوقع الباحث حسب بحثه أنه مستشفى صغير لا يعتبر بيمارستان بمعنى الحقيقي، حيث لا توجد أقسام مختصة لكافة الأمراض فيها، والمشكلة أننا لم نجد معلومات كافية لهذه المستشفى إلا القليل، ولم يشهد له المؤرخون المتأخرون أثرا، ويبدو أنه كان على نمط ما كان موجودا في عهد النبوة حين خصص الرسول عليه السلام حيزا في مسجده لمعالجة المرضى لكنه لم

(564) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم

شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، 1426هـ/2005م. (1/ 140)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

يصل إلى مستوى المستشفى بمفهومها الخاص. ولا توجد إشارات أخرى عن دور أو مصحات أخرى أقامها معاوية في المدن الذي يسيطر عليه إلا أن اشتهر في بعض الكتب التاريخية "دار مال الله" في مكة المكرمة الذي خصصها معاوية لإيواء المرضى.⁽⁵⁶⁵⁾

أ. مستشفى الوليد بن عبد الملك

يعتبر الوليد بن عبد الملك أول من أسس المستشفى الحقيقية وذلك سنة (88هـ / 707م)، حيث أنه كان محبا للبناء والعمارة، قال أبو العباس القلقشندي: "إن أول من اتخذ البيمارستان بالشام للمرضى الوليد بن عبد الملك وهو سادس خلفاء بني أمية.."⁽⁵⁶⁶⁾، فكان أول من عمل ببيمارستان وأجرى الصدقات على الزمنى، والمجذومين والعميان والمساكين واستخدم لهم الخدام، وجعل فيه الأطباء المتخصصين، وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا، وأمر الناس بعدم مخالطتهم حتى لا تنشر العدوى بين الناس، وهي مستشفى يأتون له أناس من مدن بعيدة، وكانوا ولاية بلاد ما وراء النهر يرسلون الناس لهذه المستشفى ليتعلموا العلوم الطبية ويتدربوا فيها.⁽⁵⁶⁷⁾

أنواع المستشفيات في عهد الأمويين

(565) الفاكهي، (3/ 289). محمد بن عبد الله بن أحمد أبو الوليد الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس-بيروت، 1416هـ / 1996م (2/ 273)

(566) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (1/ 491). القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، مطبعة الكويت-الكويت، 1405هـ / 1985م، (3/ 346)

(567) المقرئزي، الخطط والآثار، (2/ 405)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

ومن الجدير بالذكر أن بناء المستشفيات في ذلك الزمن كان أمرا تدريجيا بنائه يتنوع بأنواع مختلفة حسب الضرورة لها في حينها، فإن المستشفيات تنوعت إلى نوعين: المحمولة (المتقلة) والثابتة.

فالمحمولة: هي التي استفاد المسلمون في الحروب والمناطق التي يصعب فيها البناء، وهو الذي ينتقل من مكان إلى آخر بحسب الأمراض والأوبئة وانتشارها وكذا الحروب، وكان هذا النوع معروف لدى الخلفاء والأمراء والقواد، وهو عبارة عن مستشفى مجهز ترافق القوافل في حلها وترحالها، فتجهز بمواد الإسعاف الأولية وما يحتاجه المرضى من اللوازم⁽⁵⁶⁸⁾، وتاريخنا شاهد على ذلك حيث أول من ابتكرها هو الرسول عليه السلام أثناء غزوة خندق سنة (5هـ/ 626م) وسماها خيمة رفيدة وعين عليها طبية تعالج الجرحى مع وجود المستلزمات الطبية، وذلك عندما أصيب سعد بن معاذ فقال: "اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب"⁽⁵⁶⁹⁾. واستفاد الخلفاء الراشدين والأمويين في الحروب والمناطق البعيدة، فقد كان خلفاء أو ولاية بني أمية يأمرهم بتزويد الجيوش الإسلامية خلال الحروب بالصيادلة والأطباء والعقاقير وكل ما يحتاجونه من آلات وأدوات طبية، فمثلا كان الحجاج بن يوسف الثقفي أول من استخدم أسرة الإسعاف للجرحى، وهو الهودج الكبير الحجاجي⁽⁵⁷⁰⁾، سمي بها نسبة إليه، ومن ضمن توجيهات الحجاج الصحية والطبية للجيش، أنه أمرهم بنقع القطن المحلوج حين أرسل الجيش إلى السند بقيادة محمد

(568) ابن أبي أصيبعة، عيون الأطباء في طبقات الأطباء، (ص/ 175)

(569) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة-بيروت، 1959م، (7/ 412)

(570) أبو عروبة الحسين بن محمد بن مودود الحراني، كتاب الأوائل، مشعل بن بائي الجبرين المطيري، دار ابن حزم-بيروت، ط-1، 1424هـ/ 2003م، (ص/ 170). محمد أمين بن عمر بن عادين الدمشقي، رد المحتار على در المختار، دار الفكر-بيروت، ط-2، 1412هـ/ 1992م، (6/ 90)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

أبو القاسم الثقفي، فنقع في الخل الخمر الحادق ثم جفف في الظل، فقال: "إذا صرتم إلى السند فإن الخل بها ضيق أي قليل، فانقعوا هذا القطن في الماء، ثم اطبخوا واصطبغوا".⁽⁵⁷¹⁾

وكان الحجاج بن يوسف يتحرى قبل إرسال أي جيش من جيوشه مناطق جديدة أن تتوافر فيها الأقوات والمياه لأن ذلك له آثار على صحة الجيش، ومن ثم يؤثر على عطائه في القتال، فكان يسأل أهل الخبرة عن المناطق الجغرافية البعيدة، وكان الخبراء يقدمون تقاريرهم باختصار مفيد.⁽⁵⁷²⁾

والثابتة: من جهة أخرى المستشفيات الثابتة فهي كل بناء ثابت في جهة من الجهات لا ينتقل منها، وفيها جميع ما يلزم للمرضى والمداواة من أدوات طبية وأدوية وأطعمة وملابس وأشربة وأطباء وصيادلة، وكل ما يعين على ترفية الحال على المرضى والعجزة والمزمنين والمسجونين، وقد عرفت المستشفى الثابتة لأول مرة في الإسلام في عهد الوليد بن عبد الملك سنة (88هـ / 706م)⁽⁵⁷³⁾، ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية كثرت المستشفيات الثابتة لا سيما في المدن الكبرى وظهرت بأنواع مختلفة التي لا يهمنا ذكرها هنا.

الاهتمام بنظافة البيئة

ولا ينبغي غرض النظر والتجاهل بالاهتمام بنظافة البيئة في العصر الأموي حيث أنها مرتبطة بقضية الصحة ارتباطاً قوياً وثيقاً، حيث أنها تعد مظهراً من مظاهر رقي الأمم،

(571) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 420)

(572) ابن عساكر، تاريخ دمشق، (48/ 65). وقد ذكر المصادر أن الحجاج بن يوسف تابع الأمر من الخلفاء الراشدين الذين فعلوا ذلك. انظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، (ص/ 180). ياقوت الحموي، معجم البلدان، (5/ 180)

(573) القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، (3/ 346)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْطَائِيَّةٌ

ومعلما من معالم نضج الوعي الصحي عند الأمم، فإنها جعلت النظافة ركيزة من ركائز أداء العبادة، فتعددت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والتي تدعوا إلى النظافة، وجعل الخلفاء والأمراء هذا من ضمن أولوياتهم لا سيما في المجال الصحي، ويمكن للمتبع لإجراءات خلفاء بني أمية في دعم قيم المحافظة على البيئة حصرها بالآتي:

- إحياء الأرض الموات وتوفير المياه: كان حكام الدولة الإسلامية منذ عهد النبوة يحرصون على إحياء الأراضي الموات وتوفير المياه حيث تتابع الخلفاء والولاة الأمويين الاهتمام بالزراعة وحفر الآبار وشق الأنهار حيث تجعل الزراعة من الإيرادات المهمة في الدولة، فشجعوا الفلاحين والزراعيين ليستصلحوا الأراضي، فها هو معاوية بن أبي سفيان الذي أتاح الفرصة لأهل العراق أن يحيوا الأراضي الميتة⁽⁵⁷⁴⁾. والحجاج بن يوسف الذي أمر الفلاحين الذين غادروا قراهم بالعودة إليها، كما منع دبح الثيران لاستخدامها في حراثة الأرض⁽⁵⁷⁵⁾. وعمر بن عبد العزيز الذي أعلن للأمة "من أحيا أرضا ميتة ببنيان أو حرث، ما لم تكن من أموال قوم ابتاعوها، من أموالهم وأحيوا بعضا وتركوا بعضا، فأجز للقوم إحياءهم الذي أحيوا ببنيان أو حرث"⁽⁵⁷⁶⁾، ويعني به عن طريق شق الأنهار، وإنشاء العيون، أو حفر بئر، لتوصيل المياه إلى الأراضي الموات وزراعتها وتعميرها، بحيث أن المياه عنصر أساسي للحياة وخاصة للنظافة، فقد حرص خلفاء وولاة بني أمية على حفر

(574) البلاذري، فتوح البلدان، (1/ 356). الاصطخري، المسالك والممالك، (1/ 24)

(575) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (4/ 310)

(576) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، الاموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار

الفكر-بيروت، (2/ 369)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

بئر لتوصيل هذه المياه إلى الأراضي الموات وزراعتها وتعميرها، واهتموا بعملية كرى الأنهار الكبيرة، أي تنظيفها من الأوساخ الكثيفة التي تعيق جريان الماء.⁽⁵⁷⁷⁾

ويدل هذا الاهتمام وحرص الخلفاء بنظافة مياه الأنهار، لأن عدم نظافتها تؤدي إلى ركودها، وبعدها تنتشر الحشرات والهوام بها، فتكون ملوثة، فتنتشر الأوبئة بالجو، ومن المحتمل من الناس من يطر إلى شرب هذه المياه الضارة، بسبب قلة المياه في المنطقة، فتؤثر على صحته، وتنتشر بعض الأمراض الخطيرة بين الناس في عصره، ففطنوا خلفاء الأمويين لذلك الأمر، واعتبروا أن الاهتمام بنظافة الأنهار، ونظافة مياه الشرب وتوفيرها للناس من مسؤولياتهم الأساسية.

● نظافة الطرقات والبيوت: ومن أهمية الرعاية الصحية نظافة الطرقات والبيوت، وكانت الدولة الأموية تحرص على توعية الناس بأهميتها وإمطة الأذى عنها ونظافة البيوت، لورود النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، حيث قال الرسول عليه السلام "يُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"⁽⁵⁷⁸⁾، فمثلا نجد أن الولاة يهتمون بنظافة المدينة، ويعتبرون الأفراد مسؤولين عن نظافة بيوتهم، ويعاقبون من يهمل في ذلك، وكانوا يأخذون صاحب كل دار بعد المطر إذا أضحت، برفع ما بين يدي فنائه من الطين، فمن لم يفعل أمر بذلك الطين فألقي في بيته، وفي هذا صدر زياد بن أبيه⁽⁵⁷⁹⁾ بعض الإصدارات للمحافظة على نظافة وطهارة البيئة، أنه كان يمنع إقامة الحمامات إلا في المواضع التي لا تضر بأحد⁽⁵⁸⁰⁾، وهذا الأمر الذي أصدره

(577) ابن عساكر، تاريخ دمشق، (2 / 370)

(578) البخاري، صحيح البخاري، (3 / 133). باب إمطة الأذى. وأخرجه مسلم في الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف رقم: (1009)

(579) وهو زياد بن عبيد الثقفي، وزياد بن أبي سفيان، وقد ينسبونه إلى أمه ويقول زياد بن سمية. انظر:

الذهبي، سير أعلام النبلاء، (3 / 495)

(580) البلاذري، أنساب الأشراف، (2 / 159)

زياد، يدل إنه كان يحاول أن يبني الحمامات في أماكن بعيدة عن المدينة، لحماية سكان المدينة من المياه الملوثة - التي تخرج من تلك الحمامات - لمنع انتشار الأمراض كما أن يوجد في كل حمام من هذه الحمامات بيت النار أو مستوقد، وما ينتج عنه من ملوثات للجو من مخلفات الاحتراق، لذا نجده يأمر بإنشاء الحمامات في أماكن بعيدة، حتى لا تسبب الضرر لأي أحد، وهذا تصديق لقول الرسول | "لا ضرر ولا ضرار".

وقد اتخذ الأمويون الإجراءات الصحية والطبية الأخرى في هذا المجال بما كانوا يحذرون من مخاطر الأمراض والعدوى من خلال اتخاذ الإجراءات الصحية تجنباً لإصابة الناس بالأمراض الفتاكة، كما أصدر بعض ولاة بني أمية بعض القوانين الصارمة على الأشخاص الذين يتسببون في تلوث البيئة. فقد أصدر الحجاج بن يوسف الثقفي، أوامره بمنع التبول في الأماكن العامة، لمنع انتشار الأمراض والأوبئة، وعاقب كل من خالفها بالحبس، إذ قام الحجاج بحبس إعرابي لمدة سبع سنين، لأنه بال في أصل ربض واسط⁽⁵⁸¹⁾، وهذا العمل الذي قام به الحجاج مع أنه لا يناسب الحال، يدل على حرصه على عدم نشر النجاسات في الطرقات لما لها من آثار سلبية على حياة الإنسان، والحيوان، والبيئة.

وعندما فكر الحجاج بن يوسف الثقفي في بناء مدينة واسط، شكل هيئة من الأطباء لارتياذ الموضوع، ويلاحظ هنا إناطة اختيار موضع مدينته بأطباء، حيث قام الأطباء بجولة ما بين عين التمر عند مدينة كربلاء، إلى قرب البصرة فوق اختيارهم على موضع واسط، وذهب بنفسه ليراها، فاستطاب ليلها واستعذب أنهارها، واستمرأ

(581) ربض: من ربض بالمكان يربض، إذا لصق به وأقام ملازماً له، ومن قال يربض الرهط فهو من أرض الوادي، والربض: ما ولي الأرض من بطن البعير وغيره. ابن منظور، لسان العرب، (7/ 151). عبد الله بن سهل بن مهران العسكري، الأوائل، دار البشير-طنطا، الطبعة الأولى، 1408هـ. (ص/ 329)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

طعامها وشرابها. فكان قد حرص على المحافظة على بيئة واسط، من خلال الحرص على شق الأنهار وزراعة الأشجار.⁽⁵⁸²⁾

وقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي على درجة عالية من الثقافة البيئية فكان على علم ودراية بالمواصفات البيئية لكل المناطق التي تخضع لسلطانه، فكان إذا أرسل واليا إلى إقليم من الأقاليم أو مدينة من المدن، وصف له بيئة تلك المدينة، وما تتمتع به من خصائص بيئية نظيفة وصحية قابلة للسكن والعيش بها.⁽⁵⁸³⁾

● نظافة أماكن العبادة: بداية بقول المصطفى عليه السلام حيث يقول في بناء المساجد ونظافته: "ابنوا المساجد، وأخرجوا القمامة منها، فمن بنى لله مسجداً، بنى الله له بيتاً في الجنة، قال رجل: يا رسول الله، وهذه المساجد التي تبني في الطريق، قال: نعم، وإخراج القمامة منها مهوور حور العين"⁽⁵⁸⁴⁾، انطلاقاً من هذا الحديث والقاعدة الصحية والتي تدعو لبناء المساجد والاهتمام بنظافتها، وإزالة القمامة منها، اهتم خلفاء بني أمية بنظافة وتطهير المساجد، وكتفوا جهودهم لهذا العمل الجليل، لما فيه من أجر وثواب. فقد كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان من أوائل خلفاء الدولة الأموية، ممن خصص عبيداً لخدمة الكعبة والسهر على نظافتها...."⁽⁵⁸⁵⁾، فقد كانوا يقومون بكنس المسجد وتنظيفه وتطيبه، وقد سار بقية الخلفاء الأمويين من بعده على هذا النهج، وعندما بنى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، مسجد قبة الصخرة عام (72هـ/ 691م) خص غلمان وسدنة وخدام لهذا

(582) ياقوت الحموي، معجم البلدان، (5/ 348)

(583) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، (17/ 476)

(584) سليمان بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الموصل، مكتبة الزهراء، ط-2، 1403هـ/ 1983م. (3/ 19)

(585) ابن رجب البغدادي الدمشقي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي-السعودية، ط-2، 1422هـ/ 2003م. (2/ 536)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المسجد، حيث كانوا يقومون بكنس أوساخ المسجد في المواسم والشتاء والصيف، ويخبره بالطيب والمسك والعنبر وماء الورد والزعفران.⁽⁵⁸⁶⁾

الرعاية الصحية والطبية للسجناء

اهتمت الدولة الأموية برعاية السجناء من الناحية النفسية، والطبية، من خلال تقديم الطعام والشراب، والفراش النظيف لهم، وتقديم كسوة الصيف والشتاء لكل سجين، فقد أجرى الخليفة معاوية بن أبي سفيان الطعام والشراب لكل سجين⁽⁵⁸⁷⁾، إذ أنه سار على نهج الرسول والخلفاء الراشدين في كيفية معاملة السجناء، فقد كتب الخليفة عمر بن عبدالعزيز إلى عماله: "أن أجروا على السجناء ما يصلحهم في طعامهم، فكانوا يرزقونهم شهرة بشهر، كما أمر ولاته بأن يكسوا السجناء في الصيف والشتاء، وأن يكون فراش السجناء خاص بهم حتى لا تنقل العدوى بينهم، وخص لهم الأدوية ومعالجتهم، حيث كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: "ويعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال"⁽⁵⁸⁸⁾، وهذا يدل على الاهتمام بالمرضى السجناء وتقديم يد العون لهم من خلال علاجهم، وتقديم الأدوية المناسبة لهم، وإدخال الأطباء عليهم، لأنه من المقرر منذ القدم في مهنة الطب، وجوب متابعة الطبيب الأحوال مرضاه، ووصف الدواء لهم، والسؤال على تحسن أحوالهم، وهكذا يفعل بقية أيامه حتى يبرأوا (أي يشفوا).

وحرصت الدولة الأموية على أن تكون أبنية السجون مناسبة من الناحية الصحية، فكانوا يحرصون على أن تكون واسعة جيدة التهوية، تصل أشعة الشمس إلى

(586) مجير الدين العليمي الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس-عمان، 1419هـ/1999م. (1/281). ابن كثير، البداية والنهاية، (8/280)

(587) أبو يوسف، الخراج، (ص/163)

(588) ابن سعد، الطبقات، (5/276). أبو يوسف، الخراج (ص/163-164)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

حجرات السجن، وإفادتها أجسام السجناء، وتمكينهم من المشي في ساحة السجن، وتوفير المرافق الصحية لهم، والمطاهر للوضوء والاغتسال، وتنظيف بيوت الخلاء، سواء للرجال أو للنساء. وهذا يتضح جليا من توجيهات خلفاء بني أمية لولاتهم وخاصة توجيهات الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز رحمه الله بتعهد السجنون ومن فيها، أي الاهتمام بالسجناء من توفير الطعام والشراب لهم، وتقديم الكسوة، والاهتمام بمرضاهم، وتنظيف السجنون التي يقطنون فيها، وهذه هي تعاليم الدين الحنيف، والذي أوصى على الأسرى وكيفية معاملتهم.

واعتنى خلفاء بني أمية بالصحة النفسية للسجين، وحرصوا أن يخرج سليم البدن والنفس، فقد كتب الخليفة عمر بن عبدالعزيز إلى ولاته أن يتفقدوا السجناء، ويتعهدوهم ولو في كل يوم سبت⁽⁵⁸⁹⁾، بمعنى طلب أن يعرض السجناء على المسؤولين (أي وعاظ) في كل يوم سبت، حتى يعظوهم، ويقوموا من سلوكهم، ويقدموا لهم النصح والإرشاد، وأيضا توصيتهم بالصلاة، لأنه تمنح المسلم الراحة النفسية والطمأنينة له.

الرعاية الصحية والطبية لذوي الاحتياجات الخاصة

لقد شهد العصر الأموي تغيرا ملحوظا في الخدمات المقدمة إلى ذوي الاحتياجات الخاصة، فتذكر المصادر أن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، يعد من أوائل خلفاء بني أمية ممن اهتم بالزماني، حيث قال: "لأدعن الزمن أحب إلى أهله من الصحيح"⁽⁵⁹⁰⁾، إذ كان يمنح الزماني ويعطيهم العطايا الكثيرة فيصيرون أغنياء ولا يحتاجون إلى النفقة من قبل أهلهم ولا يكونون عالة على الناس، و الخليفة الأموي

(589) ابن سعد، الطبقات، (5/ 276)

(590) ابن عساكر، تاريخ دمشق، (8/ 270)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

الوليد هو يعتبر أول من أجرى الرواتب على العميان وأصحاب العاهات، وخصص لكل مقعد خادمة، ولكل ضرير قائدا، ليتوفروا كل الظروف التي تساعدهم على العطاء والإبداع في كافة المجالات السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية والقضاء على كل نقاط التهميش وإقصاء أي شريحة من المجتمع⁽⁵⁹¹⁾. ولم يكن هذا الإجراء مقتصرًا على الخليفة الوليد بن عبد الملك، في رعاية تلك الفئات الخاصة، بل كان الخليفة عمر بن عبد العزيز له إسهامات كبيرة في خدمة هؤلاء، فكان إذا كثر عنده أرقاء الخمس، فرقهم بين المقعدين والزمني فجعل لكل منهم غلامًا يخدمهم، ولكل أعمى غلامًا يقوده⁽⁵⁹²⁾. فهذه الخدمات المرفهة والتي قد لا تقل عما يقدم المريض في قصر السلاطين، يقدم كل ذلك مجانًا ولوجه الله عز وجل.

ويلاحظ أن الدولة الأموية قامت بالاستفادة من خبرات بعض أصحاب العاهات خلال عمليات الفتح الإسلامي، مثل: المهلب بن أبي صفرة، حيث وضعت الدولة الأموية ثقتها بذلك القائد العظيم رغم إصابته بالعور أثناء عمليات الفتح في بلاد ما وراء النهر وذلك سنة (55هـ/675م)، فقد حفظ له الخلفاء الأمويون مكانته العسكرية، وبلاءه الحسن في القتال، وخاصة في قتال الخوارج الأزارقة، فتم تعيينه واليا على خراسان سنة سبع وستين، وأبلى بلاء حسنًا في فتح بلاد ما وراء النهر" وقام بتثبيت الحكم الأموي فيها.⁽⁵⁹³⁾

(591) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (2/ 290)

(592) البلاذري، أنساب الأشراف، (3/ 42). ابن عساكر، تاريخ دمشق، (68/ 270)

(593) صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الشعور بالعور، تحقيق: عبدالرزاق حسين، دار

عمان-الأردن، 1409هـ/ 1988م، (ص/ 222-223)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

وهنا يزيد الباحث بأن الرعاية الصحية للدولة الأموية لم يقتصر بالإنسان فحسب، بل كانت لها رعاية طبية خاصة بالحيوانات أيضا، فإن هناك مصادر تشير إلى العديد من الوصايا للخلفاء الأمويين في بلاد ما وراء النهر تدعو للرفق بالحيوانات متتبعاً الأحكام القرآنية والسنة النبوية مع أن الحيوانات كانت مع الجيوش الأموية في كل زمان ومكان يحملون عليهم اللجام ومع ذلك يصحبون معهم البياطرة لمعالجتهم جرحهم ومرضهم ، فقد كان الخليفة عمر بن عبد العزيز يوصي بالرفق بالحيوانات بعدم إرهابها وتحميلها فوق طاقتها، حيث أنه ارسل إلى صاحب السكك في مصر كتاباً وفيه: " وكتب عمر بن عبد العزيز إلى صاحب السكك أن لا يحملوا أحداً بلجام ثقيل من هذه الرستنية ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة، وكتب عمر إلى حيان بمصر إنه بلغني أن بمصر إبلا نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل.⁽⁵⁹⁴⁾

فخلاصة ما تقدم يظهر واضحاً أن الدولة الأموية لا سيما في هذه البلاد اهتمت بالرعاية الصحية والطبية سواء بإنشاء المستشفيات المتنوعة بخدماتها الطبية الصحية النقية، أو من خلال توفير البيئة النظيفة الصحية للناس، أو من خلال إحياء الأراضي الموات وزراعتها وتوفير المياه لها من شق الأنهار وحفر الآبار والترع، وحرصها على نظافة المساجد ومنع المسببات التي تتلوث البيئة، والقيام بتوفير البيئة الصحية اللازمة للسجناء ورعاية الحيوانات صحياً وطبياً من خلال توفير الخدمات العلاجية لها، وهكذا نجد أن للدولة الأموية لها اهتمام خاص بالرعاية الصحية في الفترة المبكرة من التاريخ، من أقصى البلاد في الجانب الشرقي من بلاد خراسان وما وراء النهر إلى بلاد المغرب من الأندلس وغيرها.

(594) عبد الله بن عبد الحكم أبو محمد المصري، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب-بيروت، ط-6، 1404هـ/1984م، (ص/ 141)

الْجُھُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

وفي ختام هذا المبحث أذكر الجهود الصحية والطبية للدولة الأموية المقدمة للرعية في النقاط التالية:

أولاً: إن خلفاء بني أمية قدموا مجهودات عظيمة في تقدم الحضارة الإسلامية، لكن من فلسفة التاريخ أن النتائج قد تظهر بصفة مباشرة وتتجلى آثارها في وقتها والبعض الآخر فيما بعد في أطوار مختلفة، وهذا ما حدث في معظم العهود الإسلامية وبالأخص في عهد الأمويين.

بلغ علم الطب درجة عالية من التقدم في العصر الأموي، ومن مظاهر ذلك:

- ترجمة الكتب الطبية من اللغات القديمة إلى اللغة العربية.
- إنشاء البيمارستانات بكافة أنواعها وتخصصاتها المختلفة.
- العناية بنظافة وحماية البيئة.
- التشجيع على دراسة علم الطب مما زاد من عدد الأطباء في العصر الأموي.
- وضع شروط صحية محددة عند تخطيط المدن الإسلامية.
- توعية الناس في العصر الأموي بأخطار بعض الأوبئة أو الأمراض عن طريق الإعلانات الصحية التي نشرت في المساجد والأماكن العامة.
- أن نسبة عدد الأطباء المسلمين أقل من نسبة أطباء أهل الذمة في عصر الرسالة، بينما زادت نسبة الأطباء المسلمين قليلاً في العصر الراشدي مقارنة بأطباء أهل الذمة في تلك الفترة، وتزايدت أعدادهم في العصر الأموي، وأصبحوا متساوين مع أطباء أهل الذمة، وربما يرجع كثرة أعداد الأطباء المسلمين في الدولة الأموية نتيجة:
- تشجيع الخلفاء والولاة الأمويين لطلاب العلم على دراسة الطب.
- قيام بعض الخلفاء وولاة الدولة الأموية بترجمة العديد من الكتب الطبية إلى

الْجُهْدُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

العربية، مستعينين بأمر وأبرز أطباء أهل الذمة في تلك الحقبة التاريخية.

• تقرب بعض خلفاء وولادة الدولة الأموية الأطباء إلى مجالسهم، مثل قيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان بتقريب ابن آثال الطبيب عنده، والاستفادة من خبراته الطبية، وتقريب الخليفة عمر بن عبدالعزيز الطبيب ابن أبجر الكناني في مجلسه.

• قيام بعض الخلفاء الأمويين بإنشاء العديد من البيمارستانات في مختلف أقاليم التي تحت سيطرت الدولة الأموية، ومن أبرز هؤلاء الخلفاء، الوليد بن عبد الملك حيث كان محبا للعمارة والبناء.⁽⁵⁹⁵⁾

إن قلة المعلومات في المجال الصحي للدولة الأموية لا سيما في بلاد ما وراء النهر هي عدم الوصول إلينا تفاصيل كافية، وذلك بسبب ما تعرض التاريخ الأموي للأسف من طمس وتشويه من قبل خصومهم في الدولة العباسية من دون تاريخ.

للأسف، المصادر التاريخية المتوفرة عن بلاد ما وراء النهر خلال العصر الأموي لا تقدم تفاصيل دقيقة أو قائمة معروفة بأسماء المستشفيات كما تعرفها اليوم. ففي تلك الفترة لم يكن نظام المؤسسات الصحية متطورا بدأت تظهر "بيوت الشفاء" أو ما يعتبر من أسلاف المستشفيات الحديثة. فهنا بعض النقاط يجب أخذها بعين الاعتبار:

والجدير بالذكر أن مع ازدهار الحضارة الإسلامية في وقت لاحق، ولأن جهود الأمويين مهدت الطريق لازدهار المؤسسات الطبية لاحقا، أصبحت بخارى وسمرقند وغيرها من المدن من المراكز الطبية الهامة، ولا سيما أيام العصر العباسي.⁽⁵⁹⁶⁾

(595) انظر للمزيد: القلقشندي، صبح الأعشى، (3/ 499، 4/ 191)

(596) ياسين خليلي، الطب والصيدلة، حضارة العراق (8/ 465)

المطلب الأول: المشاكل الأسرية

الأسرة في اللغة على ثلاثة أوجه، فكلمة الأسرة تعني أهل الرجل وعشيرته وهي هنا تدل على أفراد الأسرة، كما تعرف بأنها الدرع الحصينة، ومفهوم الأسرة يطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك إذ توجد روابط تجمع أفراد الأسرة الواحدة، أما جمعها فهو أسر.⁽⁵⁹⁷⁾

والأسرة في الاصطلاح هي: وحدة التكوين الأولى للمجتمع، وبتماسك هذه الوحدة يتحقق تماسك المجتمع، فطالما كانت الأسرة على قدر كبير من التماسك والاستقامة صلحت شؤون المجتمع واستقامت أموره، ويتحقق التماسك في الأسرة إذا ما ساد الوفاق بين الزوجين، وامتد ظله على باقي أعضاء الأسرة فأصبح جو الطمأنينة والاستقرار هو السائد في الأسرة بما يحقق الراحة النفسية لأفرادها، ويحميهم من مؤثرات الانحراف، ويدعم تماسك الأسرة وقوة صلابتها.⁽⁵⁹⁸⁾

لم يعد الدارسون لنظام الأسرة والعلاقات داخلها ينظرون إلى الأسرة السعيدة باعتبارها الأسرة التي تخلو من المشكلات، فالصراع عملية تفاعل حتمية لأي جماعة تعيش ضمن حيز مكاني وتربطها علاقات وخصائص مشتركة. وهنا نذكر بعض أسباب المشاكل الأسرية بشيء من التفصيل:

الخلافات الزوجية: تعرف الخلافات الزوجية بأنها "تضارب توجهات الزوجين حيال بعض الأمور التي تخص أيا منهما أو تخصهما الاثنين، بحيث تستثير انفعال الغضب، أو السلوك الانتقامي أو التفكير فيه، وتعتبر هذه الخلافات عن نفسها بمظاهر شتى مثل النقد أو السخرية، والمناقشات الكلامية الحادة، وقطع التواصل

(597) معجم الوسيط، (1 / 17)

(598) أحمد بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: دار الفكر، 1415 هـ، (ص / 86)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

الكلامي أو التقليل منه، وعدم القيام بالأدوار سواء بصفة كلية أو جزئية، وقد يصل الأمر إلى هجر المنزل وفراش الزوجية أو حتى الضرب والإيذاء البدني، كما قد تؤدي إلى الطلاق".⁽⁵⁹⁹⁾

والحقيقة أن الخلافات في حدود معينة تعتبر عملية ملائمة وضرورية لمواجهة المشكلات وإيجاد حلول لها، فقد تؤدي إذا تم استثمارها وتوجيهها وجه صحيحة إلى التنفيس عن الشحنات الانفعالية الصرة، واستبانة حقائق غامضة ويمكن تصنيف الخلافات الزوجية إلى:

- الخلافات المدمرة أو الهدامة: وهي التي تركز على تجريح ذات الطرف الآخر، وتميل إلى تدمير الصورة والخيال التي يعيش بهم الإنسان.
- الخلافات البنائية وهي: التي تضمن إعادة تحديد المواقف وتفسيرها، وتخفيف التوترات الانفعالية.⁽⁶⁰⁰⁾

وتتعدد الأسباب المباشرة وغير المباشرة للمشكلات الأسرية بشكل يصعب حصره لكن نقوم بشيء من التفصيل: فالسعي للوقوف على أسباب محددة وواضحة للسلوك الإنساني ليس بالأمر الهين؛ والسلوك حصيلة تفاعل بين معطيات أساسية تتسم بالذاتية والفردية التي تميز كل شخصية عن الأخرى، وبين عوامل متغيرة تبعا للظروف الزمانية والمكانية. وليس من شأن هذه العوامل أن تحدث دوما نفس الأثر لدى نفس الفرد، مما يجعل الإحاطة بهذه المعطيات والعوامل المسببة للسلوك الإنساني عملية معقدة، ويزداد الأمر تعقيدا عند دراسة نمط العلاقة داخل الأسرة

(599) بشير صالح الرشيد، إبراهيم محمد الخليقي، سيكولوجية الأسرة والوالدية، الكويت : ذات السلاسل، 1417 هـ، (ص/ 171).

(600) محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية- بيروت، 1388 هـ، (ص/ 289)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْطَائِيَّةٌ

؛لما تتميز به العلاقات الأسرية من تعقيد وتداخل وتفاعل داخلي وخارجي ؛لذلك فإن عرض أسباب المشكلات الأسرية أمر لا يخلو من الصعوبة كما أن فصل الأسباب عن بعضها أمر غاية في التعقيد، وهو بالتالي أمر نظري فقط فالأسباب تظل متداخلة ومتتابعة، لا يمكن عزلها عن بعض أو تجريدها، وسيتم في الكلمات القادمة، فأسباب تتعلق بقصور النواحي الدينية، وتعلق بقصور النواحي الأخلاقية، وأسباب تتعلق بقصور النواحي النفسية، والرابع تتعلق بقصور النواحي التربوية، وهكذا أسباب اجتماعية.

المطلب الثاني: المشاكل الأموية في العصر الأموي

المشاكل الأسرية في العصر الأموي من جهة كانت متنوعة وتأثرت بعوامل اجتماعية. من أبرزها:

- الطلاق وتعدد الزوجات: شهد العصر الأموي ارتفاعاً في حالات الطلاق، ويرجع ذلك جزئياً إلى الرخاء الاقتصادي الذي سمح لبعض الرجال بالزواج المتعدد دون القدرة على تحقيق العدالة بين الزوجات، مما أدى إلى مشكلات أسرية. ونحن خير شاهدين بزوجات بعض خلفاء بني أمية بتعدددهن⁽⁶⁰¹⁾. وكان يأمر قتيبة بن مسلم العرب الذين يسكنون في بلاد ما وراء النهر أن يتزوجوا منهن لتخلط العرب بهم. ولا شك أن الموقف الإسلامي في قضية تعدد الزوجات هو إباحة الزوج بأربعة زوجات حيث قال تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَّةً وَرُبْعً فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾⁽⁶⁰²⁾. أن تعدد الزوجات حتى الأربعة حق أعطاه الله للرجل ولا يملك بشر أن يلغيه أو يقيده، والملاحظ أن المفسرون لم يختلفوا كثيراً في تفسير

(601) كان لوليد بن عبد الملك أربعة عقائل، وكان للججاج بن يوسف أربعة نسوة، وهكذا عندنا بعض الأمثلة. أنظر: ابن

عبد ربه، العقد الفريد (7/ 112-113)

(602) سورة النساء، الآية رقم (3)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

الآية السابق، بل استنبطوا منها جواز التعدد مع شرط العدل.⁽⁶⁰³⁾

• الطبقة الاجتماعية: على الرغم من انتشار الإسلام الذي ينادي بالمساواة، استمرت الفروقات الطبقيّة، مما أثر على الزواج والعلاقات الأسرية. فغالبًا ما كان الزواج يتم داخل الطبقات الاجتماعية المتقاربة، وأحيانًا كانت هناك اعتراضات من العائلات على زواج أبنائهم من طبقات أدنى.⁽⁶⁰⁴⁾

• الوضع الاقتصادي وتأثيره على الأسر: تفاوت المستوى الاقتصادي بين الأسر الأموية أدى إلى مشكلات مختلفة، حيث عانت بعض الأسر الفقيرة من ضغوط مالية أثرت على استقرارها، في حين أن الأسر الغنية كانت تواجه تحديات تتعلق بالبذخ والترف، مما أضعف بعض القيم الأسرية.

المطلب الثالث: الاهتمام بمعالجة المشاكل الأسرية

عندما توسعت الدولة الأموية إلى بلاد ما وراء النهر واجهت تحديات عديدة في التعامل مع المجتمعات المحلية ذات الثقافات والعادات المختلفة، فركز الأمويون على القضايا الأسرية باعتبارها أساس استقرار المجتمع، وسعوا لتطبيق القيم الإسلامية التي تعزز استقرار الأسرة وحل المشاكل الأسرية بطرق عادلة وإنسانية، ومنها:

• دعم استقرار الأسرة عبر التعليم الإسلامي

عمل الأمويون على نشر التعليم الإسلامي في بلاد ما وراء النهر لتعزيز فهم المجتمعات المحلية للقيم الإسلامية المتعلقة بالعائلة، فأسسوا مدارس وكتاتيب لتعليم الأطفال والشباب القيم الإسلامية، مع التركيز على الحقوق والواجبات داخل الأسرة. فكان قتيبة بن

(603) القرطبي، تفسير القرطبي (5/ 11-12). ابن كثير، تفسير ابن كثير (2/ 182)

(604) ابن عبد ربه، العقد الفريد (7/ 111)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْطَائِيَّةٌ

مسلم الباهلي عيّن دعاة وعلماء في المناطق المفتوحة، مثل بخارى وسمرقند، لتعليم السكان مبادئ الزواج الإسلامي وحسن المعاشرة بين الزوجين. وأيضاً كان للمسجد مجال مهم في هذه المسائل مع أن المساجد لم تكن فقط أماكن للصلاة، بل أيضاً مراكز للتوعية المجتمعية وحل النزاعات الأسرية.

• تقليل النزاعات الأسرية عبر القضاء الإسلامي

أنشأ الأمويون نظاماً قضائياً يعتمد على الشريعة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، مما ساهم في حل النزاعات الأسرية بشكل عادل، فعينوا قضاة مؤهلين للنظر في قضايا الطلاق والميراث والنفقة، وهو ما ساعد في تقليل الظلم داخل الأسر⁽⁶⁰⁵⁾. ونحن خير شاهدين لهذا الأمر بعد فتح بخارى وسمرقند، عندما عُيّن قضاة مسلمين للإشراف على النزاعات الأسرية بين السكان المحليين، وكان هذا الإجراء مقبولاً بسبب عدالة الأحكام وفق الشريعة الإسلامية. كذلك حرص القضاة على توضيح الحقوق الزوجية وتقليل النزاعات الناتجة عن اختلاف العادات بين السكان المحليين والمسلمين الجدد، حينما قاموا العرب بتزويج بنات السكان المحليين.⁽⁶⁰⁶⁾

• دعم الفقراء والأرامل

خصص الأمويون موارد من بيت المال لدعم الأسر الفقيرة، خاصة الأرامل والأيتام، في بلاد ما وراء النهر، لضمان استقرارهم المعيشي والاجتماعي. وتوفير هذا الدعم قلل من التحديات التي تواجه الأسر، وساعد في تحسين صورتهم لدى السكان المحليين.

(605) ابن عبد ربه، العقد الفريد (7/ 132)

(606) الماوردي، الأحكام السلطانية، (ص/ 74). ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (ص/ 392)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر بتوزيع الأموال على الأسر المحتاجة في بلاد ما وراء النهر، وخصص موارد لرعاية الأيتام وتوفير المساعدات للأرامل، وهكذا إنشاء برامج دعم لتزويج الشباب، مما ساعد على تسهيل تكوين أسر جديدة وتجنب المشكلات المرتبطة بتأخر الزواج.

• تعزيز دور القيم الإسلامية في العلاقات الأسرية

شجع الأمويون على تطبيق القيم الإسلامية في العلاقات الأسرية، مثل المودة، والرحمة، وحسن المعاشرة بين الزوجين. فركزت الدولة الأموية خطب الجمعة والدروس الدينية في المساجد على تبين أهمية الأسرة في الإسلام وحقوق أفرادها. فلقائد قتيبة بن مسلم كان يحرص على استقدام علماء ودعاة لشرح هذه القيم للسكان المحليين في المناطق المفتوحة حديثاً. وكان في بعض القرى الدروس تشمل تعليم النساء حقوقهن الشرعية، مما ساهم في تحسين دور المرأة داخل الأسرة.

اهتمام الأمويين بالقضايا الأسرية في بلاد ما وراء النهر كان جزءاً من جهودهم لنشر الإسلام واستقراره في هذه المناطق، من خلال التعليم الإسلامي والقضاء العادل، ومواجهة العادات المحلية الضارة، تمكنوا من تحسين أوضاع الأسر وتعزيز القيم الإسلامية. هذا النهج لم يسهم فقط في استقرار المجتمع، بل جعل الإسلام يظهر كدين عادل وشامل يراعي الجوانب المختلفة لحياة الإنسان.

الفصل الثاني

الجهود الدعوية في المجال الثقافي

المبحث الأول: اهتمام الدولة الأموية بالمساجد والمدارس في بلاد ما وراء النهر

المطلب الأول: مفهوم الثقافة

الثقافة لغة: لكلمة الثقافة دلالات متعددة عند العرب: فاستعملوها بمعنى الحذق، والفطنة والذكاء، وسرعة التعلم والضبط، والظفر بالشيء والتغلب عليه، والتقويم والتهديب.⁽⁶⁰⁷⁾

الثقافة اصطلاحاً: فلها تعريفات متعددة مختلف الزمن، ونلخصه هنا بتعريف قام بها مالك بن نبي في كتابه:

أنها: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه".⁽⁶⁰⁸⁾

وذلك لأن الثقافة تتناول العقيدة والنشاط الإنساني في شتى مجالات الآداب والعلوم والفنون والعادات، والأدب الشعبي وأدب الخاصة، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية كنظم الحكم والإدارة، ونظم الأسرة، ولا يخرج عن هذه الدائرة تخطيط المدن وتطوير القرى ووسائل النقل وأساليب المأكل والمشرب والزينة والزري ووسائل الترفيه النفسي والاجتماعي.



(607) ابن منظور، لسان العرب، (9/ 19 و 321). الفيروز ابادي، القاموس المحيط، (ص/ 795 و 854)

(608) مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، مشكلة الثقافة، تحقيق: إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر-دمشق،

1420هـ، 2000م، (ص/ 74)

شكل المسجد النواة الأساسية لأي وجود إسلامي في أية منطقة تواجد فيها المسلمون، فعندما فتح المسلمون بلاد ما وراء النهر، وجدوا مدنا متكاملة لا وجود لمسجد فيها، فأضافوا لها تعديلات بما يتلائم الوضع الجديد، فطوروا هذه المدن نحو الأفضل، وأجروا فيها تعديلات كبيرة، وكانت الدولة الأموية من أكثر الدول الإسلامية اهتماما بنشر الإسلام والثقافة الإسلامية، فأقاموا المساجد الجامعة في وسط المدن المفتوحة أو قرب القلعة، كما وسعوا من عرض الشوارع الداخلية في هذه المدن ليتيح لهم وللناس التحرك بسهولة في داخل المدينة، فأحدثوا حركة عمرانية في كل المدن التي وطئتها أقدامهم في بلاد ما وراء النهر، وقد لعبت المساجد دورا كبيرا في تحقيق هذا الهدف لا سيما في هذه البلاد المفتوحة. وكان المسجد في بداية الأمر يشكل المدرسة والمكان الذي يلتقي فيه المسلمون من الفاتحين ومن سكان بلاد ما وراء النهر، وفيه تقام أركان الصلاة اليومية والجمع والأعياد، وفيه تعقد رايات الحرب، وفيه يخطب الأمير، وفيه تبلغ تعليمات الدولة وتقرأ مراسيمها، وفيه يتدارس القرآن والحديث وغيره من علوم الدين الأخرى.⁽⁶⁰⁹⁾

ولا تكاد مدينة من المدن الرئيسية في بلاد ما وراء النهر تخلو من مسجد أو من مسجد جامع، وكان سكان المدن والقصبات يتنافسون ويبذلون الغالي والرخيص من أجل أن يكون في قريتهم أو ناحيتهم مسجد جامع تقام فيه صلاة الجمعة، وقد

(609) البلاذري، فتوح البلدان (ص/ 396). طارق فتحي سلطان قسم التاريخ / كلية التربية جامعة الموصل، النشاط العمراني في بلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد، مجلة التربية والعلم - المجلد (19)، العدد (5)، لسنة 2012 م، (ص/ 60)

ذكر لنا المقدسي⁽⁶¹⁰⁾ نصاً يشير إلى مكابدة أهل بيكند لإقامة المسجد الجامع وكم تعب أهل بيكند حتى وضعوا المنبر في مسجد الجامع.

ولغرض تبسيط الموضوع سيتم تناول المناطق التي كان فيها مساجد جامعة. ونبدأ من مدينة بخارى المركز السياسي والديني لبلاد ما وراء النهر، فبعد فتح مدينة بخارى للمرة الثالثة قرر القائد قتيبة بن مسلم الباهلي البقاء في مدينة بخارى⁽⁶¹¹⁾، وتقتضي الضرورة وجود مسجد جامع في المدينة، وبعد دخول معظم سكان المدينة في الإسلام، تم تحويل بيت الأصنام الذي كان في القلعة ليكون مسجداً جامعاً تقام فيه الصلوات الخمس فضلاً عن صلاة الجمعة، مثل بناء المحراب والمنبر وتحديد القبلة والميضأة، وتوجيه المسجد نحو القبلة، فضلاً عن المرافق والحمامات، وكان هذا هو المسجد الأول في مدينة بخارى. ولما ازداد عدد سكان مدينة بخارى وكثرة عدد الداخلين في الدين الإسلامي، تعددت المساجد فيها.

أما المدينة الثانية في بلاد ما وراء النهر فهي مدينة سمرقند، والتي كانت عاصمة بلاد ما وراء النهر لفترة من الزمن، وقد ضمت هذه المدينة مساجد عديدة يأتي في مقدمتها المسجد الجامع الذي شيده القائد قتيبة بن مسلم الباهلي⁽⁶¹²⁾ وقد شرط قتيبة على أهل سمرقند بأن يبنوا له مسجداً جامعاً يصلي فيه صلاة الجمعة ويوضع له

(610) المقدسي: أحسن التقاسيم (ص/ 282)

(611) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (4/ 542-543)

(612) ابن الأثير، مصدر سابق، (4/ 571-572)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المنبر ليخطب عليه فصنع أهل سمرقند ذلك إرضاء للقائد قتيبة بن مسلم الباهلي⁽⁶¹³⁾ وعين عليه الضحاك بن مزاحم⁽⁶¹⁴⁾.

ويبدو أن الكتب الجغرافية لم تتحدث عن الجوامع المنتشرة في قرى مدينة سمرقند ويبدو أنها كانت تضم مساجد فقط، ولاتقام فيها صلاة الجمعة.⁽⁶¹⁵⁾

وقد ذكر الاصطخري في تاريخ مدينه ترمذ فقال: "وأما الترمذ فإنها مدينة على وادي جيحون لها قلعة ومدينة وربض ويحيط بالربض أيضا سور ودار الامارة في القلعة والحبس خارج المدينة ومسجد الجامع في المدينة والمصلى داخل السور في الربض واسواقها في مدينتها وابنيته طين ومعظم سككها وأسواقها مفروشة بالآجر وهي عامرة".⁽⁶¹⁶⁾

(613) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 421). الطبري، تاريخ الطبري، (6/ 475). ابو محمد أحمد الكوفي المعروف بابن أعثم، كتاب الفتوح، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الدكن، 1392هـ-1972م، (7/ 243)

(614) الضحاك بن مزاحم الهلالي، كان فقيه مكتب عظيم فيه 3000 صبي، وكان يركب حماراً ويدور عليهم إذاعي، وثقه الإمام احمد وغيره، تـ 102هـ/720م. أنظر للمزيد: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (4/ 598). ابن العماد ابو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري-بيروت (د.ت)، (1/ 124)

(615) أ.د. طارق فتحي سلطان قسم التاريخ/ كلية التربية جامعة الموصل، النشاط العمراني في بلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد، مجلة التربية والعلم - المجلد (19)، العدد (5)، لسنة 2012 م، (ص/ 60). قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة-بغداد، 1981م، (ص/ 408). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (4/ 573)

(616) الاصطخري، المسالك والممالك، (ص/ 298)

الْجُهْدُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

أما مدينة فرغانة فيقع جامعها خارج القلعة ومصلى العيد على نهر الشاش⁽⁶¹⁷⁾، ومن مدن فرغانة أوزكند التي يقع مسجدها الجامع خارج القلعة⁽⁶¹⁸⁾. وخجندة التي يقع جامعها في المدينة وكذلك مدينة قبا حيث يقع جامعها في الأسواق⁽⁶¹⁹⁾ ومدينة كش التي يقع مسجدها الجامع في المدينة⁽⁶²⁰⁾.

أما مدينة نسف أو نخشب فيقع مسجدها الجامع في الرض قرب الأسواق، ومدينة أفشنة التي بنا قتيبة بن مسلم فيها مسجدا جامعاً⁽⁶²¹⁾.

هذه هي أهم المساجد الجامعة التي ضمتها مدن بلاد ما وراء النهر، وبناء المساجد يعكس كما نعلم الفن المعماري الإسلامي بالدرجة الأساس، إذ ارتبطت العمارة بالعقيدة الإسلامية، فالبساطة هي السمة المميزة للمساجد الجامعة في كل بلاد ما وراء النهر، وكانت هذه المساجد تدام عن طريق الأوقاف والهبات التي يهبها الأمراء والموسرين للإنفاق على ادامتها إذ أن لكل مسجد مؤذن وخادم وخطيب، والمساجد تحتاج غالباً إلى وجود الماء ومن ينقل هذا الماء إليها ويشرف على نظافته فضلاً عن وجود عدد لا بأس به من طلبة العلم الذين يدرسون في هذه المساجد، ويحتاج قسم منهم إلى النفقة عليه (منام، طعام، شراب، كتب، أقلام وغير ذلك) من أجل ديمومة دراسته.

وللأمويين جهود كبيرة في نشر الثقافة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر مع شغلهم في الحروب فبنوا المساجد ودرسوا فيها وألقوا فيها الخطب، وكان للمساجد أثر

(617) ابن حوقل، صورة الأرض، (ص/ 420). المقدسي: أحسن التقاسيم، (ص/ 271)

(618) المقدسي، أحسن التقاسيم، (ص/ 272)

(619) ابن حوقل، صورة الأرض، (ص/ 419). المقدسي: أحسن التقاسيم، (ص/ 272)

(620) ابن حوقل، مصدر سابق. (ص/ 414-413). المقدسي: مصدر سابق (ص/ 282).

(621) ابن حوقل، مصدر سابق. (ص/ 413). النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 32)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

دعوي كبير، حيث أصبحت المساجد مراكز حيوية لنشر الإسلام وتعاليمه، ومن أبرز هذه الآثار:

- ترسيخ الإسلام كدين رئيس: كان بناء المساجد فعالة لنشر الإسلام بين سكان بلاد ما وراء النهر، الذين كان أغلبهم يدينون بالمجوسية أو البوذية.
- تعليم العقيدة والشريعة: استُخدمت المساجد لتعليم السكان المحليين أركان الإسلام والعبادات والأخلاق الإسلامية، مما ساهم في انتشار الإسلام بينهم وتعزيز فهمهم للعقيدة.
- نشر اللغة العربية: أصبحت المساجد مراكز لتعليم اللغة العربية، حيث ارتبطت اللغة بتلاوة القرآن وفهمه، ما جعل سكان المحليين يتعلمونها للتواصل مع النصوص الدينية.
- إعداد الدعاة والعلماء: وفرت المساجد بيئة لتعليم العلوم الإسلامية، ما ساعد في تخريج دعاة وعلماء نشروا الإسلام في المناطق النائية.
- نقل القيم الإسلامية: من خلال الخطب والمواعظ، نقلت القيم الإسلامية مثل العدالة، الرحمة والمساواة، مما جعل الإسلام جذابا للسكان المحليين.

المطلب الثالث: الاهتمام بالمدارس

شكلت المدارس الرافد الثاني للعمارة العامة في بلاد ما وراء النهر ، فقد انتشرت المدارس في بلاد المشرق قبل أية منطقة كما ذكرنا ذلك من قبل، بسبب وجود ديانات كانت تعتمد المدارس أساسا لتدريس معتقداتها كالبوذية والكنفوشوسية والبرهمية والهندوسية، فضلا عن الديانة الزرادشتية.

إن عملية بناء المدارس في بلاد ما وراء النهر وما خصصت له تدفعنا إلى التفكير عن كيفية بناء هذه المدارس وأشكالها وتصاميمها، ولا يمكن أن نتخيلها إلا على شكل

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

مبسط وهو وجود فناء تحيط به عدد من الغرف المخصصة للتلاميذ، والتي يجب أن تتوفر فيها التهوية والنوافذ، وغرفة للمشرف، وناظر المدرسة، فضلا عن وجود مكتبة تسد غرض المدرسة ومستوى التعليم فيها ووجود شخص يتولى الإشراف على هذه المكتبة، مع وجود عدد من العلماء المختصين للتدريس فيها. هذه هي فكرة موجزة ومبسطة للمدرسة في بلاد ما وراء النهر، اذ لم تبق آثار أية مدرسة حتى نستدل عليها، حيث دمر الغزو المغولي كل ما يمس إلى الدين الاسلامي أو العقيدة الإسلامية من كتب ومؤسسات علمية أو ربط وخانقاهات. أما المدارس التي ذكرها المؤرخون والجغرافيون المسلمون فسوف نكتفي بتعدادها وأماكن وجودها في بلاد ما وراء النهر، وغالبا ما تكون هذه المدارس في المدن الرئيسية في بلاد ما وراء النهر. وإن أحد الأسباب التي تحول دون وجود المعلومات الكافية بصورة مجدية هو ببساطة عدم كفاية المعلومات المتوافرة لدينا.

وقد أشار فامبري إلى كثرة عدد المدارس في مدينة بخارى فقال: "ويقال إن عدد المدارس الجامعة ببخارى كان في عهد الأمير إسماعيل الساماني، يزيد على نظائره في كل مدن آسيا، حتى لنرى بلخ، وهي التي تعرف بقبة الإسلام، لم تستطع أن تبرز لمنافستها، إلا بعد ذلك بكثير."⁽⁶²²⁾

وتشير كثرة هذه المدارس إلى حركة فكرية كبيرة شهدتها هذه المنطقة من العالم الإسلامي، وتشير أيضا إلى الرغبة في طلب العلم فضلا عن الحاجة لوجود هذه المدارس، فلو لم تكن حاجة لإنشاء هذه المدارس لما كانت هنالك ضرورة من انشائها ووجودها أصلا، كما تشير من ناحية أخرى إلى الأوقاف الموقوفة على هذه

(622) ارمنيوس فامبري، تاريخ بخارى، ترجمة احمد محمود الساداتي، تقديم يحيى الخشاب، مطابع شركة الاعلانات الشرقية-القاهرة، 1965 م، (ص/ 190)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المدارس وطلبتها، فقد ورد نص عن النرشخي يشير إلى عظم الأوقاف في منطقة واحدة ذكرت من بين مناطق كثيرة لم تذكر من قبل المؤرخين أو الجغرافيين هذا نصه عند حديثه عن قصبة أفشنة: "وهي من قرى بخارى... وتتبعها عدة نواح... وضياع وفلوات هذه القرية وقف على طلاب العلم".⁽⁶²³⁾

ومن مدارس مدينة بخارى مدرسة فارجك، ومدرسة جوبارو، ومدرسة كولارتكين ومدرسة أرسلان خان ومراكز علمية للجنود ما يسمى بالروابط والزوايا، وهي نوع من الثكنات العسكرية، تبني على الحدود وقرب الثغر، والتي يبلغ عددها مائة رابط، وكان في كل قرية ربط للقوافل التجارية للتعليم فيها⁽⁶²⁴⁾، ومدرسة الإمام أبي حفص⁽⁶²⁵⁾، ومدرسة بناها الأمير إسماعيل ولم يذكر اسمها، حيث أوقف عليها الأوقاف⁽⁶²⁶⁾، وقد خصص لها مكتبة خاصة ليستفيد منها طلبة العلم.⁽⁶²⁷⁾

أما مدارس مدينة سمرقند فنذكر منها، مدرسة سيد بغداد ومدرسة الب جعفر بيك، ومدرسة بالقرب من قبر قثم بن العباس بن عبد عرفت باسم مدرسة قثم بن العباس⁽⁶²⁸⁾، ومدرسة المشرب، ومدرسة المداح⁽⁶²⁹⁾، والذي لم نجد تفاصيل كافية لكل هذه المدارس. واشتهرت مدينة سمرقند بالمكتبات الضخمة التي حولت الآلاف من الكتب،

(623) تاريخ بخارى، (31-32)

(624) كولارتكين هو تربة الأمير، اسمه طغرل بيك الملقب بكولارتكين. انظر: النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 30). بارتولد، تركستان، (ص/ 197)

(625) السمعي، الأنساب، (8/ 47)

(626) فامبري، تاريخ بخارى، (ص/ 109). احمد محمود الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1979 م، (ص/ 181)

(627) النرشخي، تاريخ بخارى، (ص/ 128)؛ عبد الله، دور العرب الحضاري (ص/ 136)

(628) محمود شاكر، تركستان، (ص/ 19). عبد الله، دور العرب الحضاري (ص/ 135)

(629) عبد الله، دور العرب الحضاري، (ص/ 136) الب تكين، قضية تركستان الشرقية، (ص/ 50-51)

الْجُهُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةِ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

ومن أهم هذه المكتبات: مكتبة سمرقند الكبيرة. ولو تكلمنا عن مدينة فرغانة، فكان بها روابط كثيرة، وانتشرت هذه الأربطة الجهادية بكثرة، بسبب موقعها الجغرافي المحاذي لبلاد الترك والصين.

ومع كل هذه الجهود العظيمة كانت هناك بعض التحديات التي واجهها الأمويون في إنشاء المدارس المتنوعة هي التنوع الثقافي والديني، فكان سكان بلاد ما وراء النهر يتبعون أديانا وثقافات متنوعة، مما تطلب جهودا كبيرة لإقناعهم بالانضمام إلى المدارس الإسلامية. ثانيا: المسافات الشائعة من أحد التحديات بأن طبيعة بلاد ما وراء النهر الجغرافية صعبت من عملية إنشاء المدارس في جميع المناطق.

فكان اهتمام الأمويين بالمدارس في بلاد ما وراء النهر كان جزءا أساسيا من مشروعهم الحضاري والدعوي، فكانت المدارس لم تكن مجرد أماكن تعليم، بل مراكز لنشر الإسلام وتعزيز الهوية الإسلامية والثقافة العربية، وكانت المساجد بمثابة مدارس تعليمية حيث يتم تدريس القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الدينية، كما قام الولاة الأمويون بدعم العلماء والدعاة لنشر العلم بين هذه المناطق. وعلى الرغم من التحديات التي واجهها الأمويون، إلا أن جهودهم أسفرت عن نتائج إيجابية طويلة الأمد، حيث أصبحت بلاد ما وراء النهر من أهم الحضارة الإسلامية والعلمية في العصر العباسي والعصور اللاحقة. فشهدت بلاد ما وراء النهر تطورا علميا كبيرا في ظل العباسيين، الذين دعموا الترجمة والعلوم. ازدهرت المدارس في المدن الكبرى مثل بخارى وسمرقند وأصبحت مراكز للعلم والفكر الإسلامي، كما تم تأسيس "المدارس النظامية" لاحقا، والتي قدمت تعليما متناهما في الفقه والحديث واللغة والفلسفة وغيرها، مما ساعد في ترسيخ الهوية الثقافية الإسلامية لسكان هذه البلاد.⁽⁶³⁰⁾

(630) فكان مدرسة القيروان ومدرسة الفسطاط وغيرها من أهم مدارس عهد العباسيين. أنظر: بشار عواد معروف، التربية والتعليم في العراق حتى نهاية العصر العباسي، ط 2010، (8/ 198-200). وانظر: أحمد نصيف الجنابي، علوم ومعارف القرآن، (7/ 7 و 17)

المطلب الأول: الاهتمام بالترجمة

خلال فترة الدولة الأموية برز اهتمام كبير بنشر العلوم الإسلامية والثقافة العربية في بلاد ما وراء النهر، والترجمة كانت أحد الوسائل التي استخدمها الدولة لتعزيز التواصل الثقافي والديني بين السكان المحليين الذين يتحدثون لغات فارسية وتركية وغيرها، وبين الحضارة الإسلامية الناشئة. فالترجمة لعبت دورا مهما في نشر الإسلام ونقل المعارف والثقافات بين المسلمين وغيرهم في بلاد ما وراء النهر.

من المعلوم أن جذور الترجمات وأصلها من اللغة العربية إلى غيرها من اللغات يرجع إلى عهد رسول الله بصفة عامة كما جاء في حديث البخاري⁽⁶³¹⁾ أن هرقل دعاهم - أي أبا سفيان ومن معه من كفار قريش - ودعا بترجمانه، ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه. والأمر في بداية الدولة الأموية قد يرجع إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، حيث أنه كان محبا للاطلاع على سياسات الملوك وسيرهم، وكان لديه من ينسخون له الكتب التي يبدو أنها كانت مترجمة عن اللغات المختلفة، على إثر تسلمه لهدية من ملك الصين كانت كتابا ترجم في عهده، أو بعيد عهده.⁽⁶³²⁾

كما ذكرنا أن بلاد ما وراء النهر كانت موطنًا لأديان وثقافات متعددة، لتسهيل فهم السكان المحليين للإسلام وتعاليمه حرص الأمويون على ترجمة معاني القرآن الكريم والكتب الفقهية والتفسيرية إلى لغات الفارسية والتركية المحلية. ولم

(631) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، (1 / 23). رقم الحديث: (7). صحيح مسلم، كتب الجهاد والسير، باب:

كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، (3 / 1393)، رقم الحديث: (1773)

(632) لطف الله القاري: بدايات الترجمة في العهد الأموي، (ص / 285 و 300). في: أبحاث المؤتمر

السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب .

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

يقتصر الأمويين بترجمة العلوم الإسلامية إلى لغات محلية، بل قاموا بترجمة العلوم والفلسفات المتنوعة، خصوصا في الطب والفلك والرياضيات. فساهمت الترجمة في نقل هذه المعارف إلى الحضارة الإسلامية، مما شكل أساسا للنهضة العلمية التي ازدهرت لاحقا في العصور الأخرى.

في مجال الترجمة من اللغات الأخرى، استعان الأمويون بالعلماء والمترجمين المحليين الذين كانوا على دراية باللغتين العربية واللغات المحلية الأخرى لنقل النصوص الثقافية والعلمية والفنية. فكان خالد بن يزيد اهتم بالترجمة بالكتب الكيميائية... واهتم معاوية بن أبي سفيان، حجاج بن يوسف الثقفي، مروان بن الحكم، عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك بترجمة الكتب الطبية عن طريق الأطباء الخاصة بهم.⁽⁶³³⁾

ويكفي هنا أن نؤكد قول ابن النديم وغيره: "كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلا في نفسه، وله همة ومحنة للعلوم، وهو الذي أمر بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة".⁽⁶³⁴⁾

كلف مروان بن الحكم أحدا على ديوان الشام بنقل الديوان إلى اللغة العربية، وكذا فعل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق. لم يخل الأمر من النقل عن الثقافات الأخرى؛ إذ يذكر القفطي في "أخبار الحكماء" أنه زمن خلافة مروان بن الحكم نقل أول كتاب طبي إلى العربية هو كناش القس أهرن (هارون) بن أعين، نقله

(633) ابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، (ص/ 24)

(634) يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية؛ (ص/ 142)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

ماسرجويه⁽⁶³⁵⁾؛ الطبيب البصري من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، واستمر الوليد بن عبد الملك على خطى أبيه عبد الملك بن مروان في تعريب الدواوين، وتعريب الدولة.⁽⁶³⁶⁾

وكان عمر بن عبدالعزيز قد وجه الخلافة الوجهة التي كان ينبغي أن تستمر عليها، على غرار ما كان عليه الخلفاء الراشدون، وكان لظاهرة النقل والترجمة في عهده نصيبٌ يكاد يأتي بالمقام الثاني بعد اهتمام خالد بن يزيد.

ويذكر ابن أبي أصيبعة⁽⁶³⁷⁾ في معرض ترجمته لمتطبب البصرة ماسرجويه: أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى وجد ترجمة كتاب أهرن في الطب في خزائن الكتب، "فأمر بإخراجه ووضع في مصلاه، واستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به، فلما تم له في ذلك أربعون صباحاً أخرجه إلى الناس، وبثه في أيديهم".

وهذا الكتاب هو الذي عد أول ترجمة لكتاب في الإسلام - كما مر بيانه - في الطب، وكان الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى قد طلب من طبيبه وصديقه

(635) شحادة الخوري: الترجمة ومهمتها الحضارية - ص / 149. في: أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب.

(636) لم أجد ما يفيد أنه في زمن الخليفة مروان بن الحكم ترجم ماسرجويه أهرن، وإنما ذكر القفطي في "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" أن سرجويه نقل كناش أهرن إلى اللغة العربية، وهو ثلاثون مقالة، وزاد عليها ماسرجيس مقالتين؛ انظر: القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء؛ (ص / 57). ووجدت في "المنجد في الأعلام" (ص / 468) أن الخليفين مروان وابنه عمر بن عبدالعزيز (!) - وهذا وهم من المنجد، ولعله عبد الملك - طلبا منه نقل كتاب الطب للقس هارون، وقد صحح هذا الوهم في طبقات لاحقة للمنجد، فنسب الأمر إلى مروان فقط.

(637) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (ص / 232 - 234).

الْجُهْدُ الدَّعْوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

عبد الملك بن أبجر الكناني⁽⁶³⁸⁾، نقل مدرسة الطب من الإسكندرية إلى أنطاكية ثم إلى حران.⁽⁶³⁹⁾

وتخفت ظاهرة النقل والترجمة نوعاً ما، حيث يبدأ العد التنازلي لسقوط الخلافة الأموية في الشرق، ومع هذا فهناك آثار تدل على عدم الانقطاع في العلم والتأليف والنقل والترجمة.

ومع هذه الجهود القيمة في التشجيع على النقل من اللغات الأخرى يظهر رأي يقول: "ولم يسجل الخلفاء الأمويون عناية كافية بالترجمة العلمية، بسبب ما كان يغلب عليهم من الشغل السياسي والعسكري وعدم استقرار الدولة لا سيما في بلاد ما وراء النهر، واستهلاك الجهد العلمي في تدوين السنن وتحرير العلوم الشرعية. ورغم هذا فإنه لا يستبعد حصول ذلك على نطاق محدود، حيث كانت مدن الشام خصوصاً، لا تزال تعج بالجاليات اللاتينية البيزنطية".⁽⁶⁴⁰⁾

ولقد نظر إلى ظاهرة النقل والترجمة في هذا العهد على أنها "محاولات فردية حيث أن كتاب "كليلة ودمنة" هو الكتاب المترجم من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية في بلاد ما وراء النهر⁽⁶⁴¹⁾. ولم تتخذ شكل حركة علمية منظمة؛ كتلك التي حدثت في العصر العباسي".⁽⁶⁴²⁾

(638) ابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، (ص/ 24). النديم: الفهرست؛ (ص/ 591).

(639) لطف الله القاري: بدايات الترجمة في العهد الأموي (40 - 132هـ) - ص/ 285 - 300. في: أبحاث

المؤتمر السنوسي السادس لتاريخ العلوم عند العرب؛ ص/ 407

(640) محمد حبش، المسلمون وعلوم الحضارة، دار المعرفة - دمشق، 1992م. (ص/ 20 - 23)

(641) الذهبي، تاريخ الإسلام، (3/ 910)

(642) انظر: عثمان موافي: التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث

الهجري؛ (ص/ 114)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

لم تكن الترجمة أمراً سهلاً في بلاد ما وراء النهر للدولة الأموية، فكانت تعدد اللغات تشكل تحديداً أمام توحيد اللغة ونقل المعارف، فضلاً على المقاومة الثقافية، فكان بعض السكان المحليين تمسكوا بثقافتهم الأصلية وواجهوا التغيرات التي فرضتها الحضارة الإسلامية. وهكذا قلة المترجمين سبباً آخر لصعوبة الترجمة في مجالات مختلفة، فكان الاعتماد على عدد محدود من العلماء والمحليين الذين يجيدون اللغتين أو اللغات المختلفة. ومن قلة الترجمة في ذلك العصر في بلاد ما وراء النهر بأن الدولة الأموية اعتمدت بالترجمة على ما كان أقرب له وذلك في العاصمة والبلدان أقرب منها، وبعد مرور العصور انتشرت الترجمة إلى الضفة الشرقية لا سيما بلاد ما وراء النهر.

المطلب الثاني: الاهتمام بالتعريب⁽⁶⁴³⁾

اهتمت الدولة الأموية اهتماماً كبيراً بعملية التعريب في بلاد ما وراء النهر، وهي منطقة شهدت تنوعاً ثقافياً ولغوياً كبيراً نتيجة لتعدد أعراقها ودياناتها. كانت جهود التعريب جزءاً من استراتيجية أشمل لتعزيز الهوية الإسلامية وتوحيد الشعوب المختلفة تحت مظلة الدولة الإسلامية. ومن خلال التعريب، سعى الأمويون إلى تحقيق أهداف دينية وثقافية وسياسية.

أحد أبرز الدوافع وراء اهتمام الأمويين بالتعريب كان نشر الإسلام وتسهيل فهم تعاليمه. فاللغة العربية كانت لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، وبالتالي كان من الضروري أن يتعلم السكان المحليون اللغة لفهم النصوص الدينية واستيعاب مبادئ الإسلام. كما كان التعريب وسيلة فعالة لإزالة الحواجز الثقافية بين العرب

(643) المعجم الوسيط، (2 / 591)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

والشعوب المحلية، مما ساهم في تسريع عملية اعتناق السكان للإسلام وتعميق ارتباطهم بالدين الجديد.⁽⁶⁴⁴⁾

على الصعيد السياسي والإداري، ساهم التعريب في توحيد الدولة الأموية من خلال استخدام اللغة العربية كلغة رسمية في إدارة شؤون الدولة. هذا القرار عزز من مركزية الحكم وقلل من التعقيدات الناجمة عن التعدد اللغوي في المناطق المفتوحة. كان تعريب الدواوين، الذي بدأه الخليفة عبد الملك بن مروان، خطوة حاسمة في هذا الاتجاه، حيث أصبحت جميع المعاملات الحكومية تُدار باللغة العربية، مما جعل تعلمها ضرورة عملية للسكان المحليين الراغبين في الانخراط في النظام الإداري للدولة.⁽⁶⁴⁵⁾

لتحقيق أهدافهم، استخدم الأمويون وسائل متعددة لتعزيز التعريب في بلاد ما وراء النهر، فكانت المساجد والمدارس من أبرز الأدوات التي اعتمدوا عليها، حيث لعبت دورًا مهمًا في تعليم اللغة العربية ونشرها بين السكان.

كما أرسل الأمويون علماء ودعاة من شبه الجزيرة العربية لتعليم السكان المحليين اللغة العربية وتعاليم الإسلام. في الوقت نفسه، تم تشجيع العلماء المحليين الذين اعتنقوا الإسلام على تعلم العربية والمساهمة في نشرها بين شعوبهم. علاوة على ذلك، كانت الترجمة أداة فعالة في جهود التعريب، حيث تمت ترجمة النصوص الدينية والعلمية إلى اللغة العربية، مما أتاح للسكان المحليين التعرف على الثقافة الإسلامية والانخراط فيها.

(644) علي حسين الشطشاط: الطبيب والمترجم الناقل ثابت بن قرة الحراي؛ (ص/ 63 - 64)

(645) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي (4/ 65)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْطَائِيَّةٍ

هذه الجهود أثمرت عن نتائج ملموسة، حيث أصبحت اللغة العربية اللغة المشتركة بين العرب والسكان المحليين، مما ساعد في بناء هوية ثقافية موحدة، فعلى المستوى الديني، سهّل انتشار اللغة فهم تعاليم الإسلام، مما أدى إلى اعتناق أعداد كبيرة من السكان المحليين للدين الإسلامي. كما ساهم التعريب في تحويل بلاد ما وراء النهر إلى مركز حضاري بارز داخل الدولة الإسلامية، حيث بدأ العلماء المحليون الذين تعلموا العربية في إثراء الحضارة الإسلامية بإسهاماتهم في العلوم والفنون.

لقد أثرت حركة الفتح الإسلامي للعراق وفارس وبلاد ما وراء النهر والشام ومصر تأثيرا كبيرا في حياة المجتمع الإسلامي لأن التوسع الإسلامي بمظاهره العسكرية والبشرية والفكرية أحدث توسعا ثقافيا وحركة علمية كبرى نابعة من الإسلام وهدفها الدعوة إلى العقيدة الإسلامية فأقبل سكان البلاد المفتوحة على تعلم العربية وآدابها، فبرز فيهم الكثير من العلماء الذين أصبح لهم أثر في الثقافة العربية ونشر الحركة الفكرية ونرى أسماء كثير منهم في كتب التاريخ والتراجم والطبقات، كما أن ظهور الفرق الإسلامية ومذاهبها كان لها أثر أيضا في توسع الثقافة في البلاد المفتوحة حيث التقت الثقافة العربية بالثقافات الفارسية واليونانية والهندية ولكل منها صفاتها وميزانها.

لقد أقبل سكان البلاد المفتوحة على تعلم اللغة العربية ودراسة آدابها - كما أشرنا قبلا - وأخذوا يصوغون أفكارهم وعلومهم وآدابهم بما ينسجم مع الدين الإسلامي والتقاليد العربية فأصبحت اللغة السياسية والثقافية السائدة هي العربية ولذلك فقدت الشعوب (غير العربية) ذاتيتها اللغوية بمرور الزمن للتقرب من الفاتحين وقد أدى انتشارها إلى شعور شعوب هذه البلدان بالانسجام والتجانس رغم اختلاف

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

قومياتهم وأديانهم. فوحدت اللغة العربية انتماءهم وشعورهم وأهدافهم وكان لها أثر في إقبال الكثير من غير المسلمين على الدخول في الإسلام.⁽⁶⁴⁶⁾

ولم يكن إقبال الشعوب غير العربية على تعلم العربية وترك لغتها الأصلية بسبب الإكراه أو الإكراه وإنما كما يقول المستشرق بارتولد⁽⁶⁴⁷⁾: "إن غلبة العربية كان بالاختيار لا بسلطان الحكومة وإن تسامح العرب أدى إلى انتشار العربية فدرس حنين بن إسحق الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه حتى أصبحوا شيوخا في العربية".⁽⁶⁴⁸⁾

إن إقبال أهل الذمة بأعداد كبيرة على الدخول في الإسلام ساعد كثيرا على انتشار اللغة العربية بينهم لإتقان القرآن وفرائض الإسلام واقتضت الحاجة بالنسبة لهؤلاء إلى تنقيط الحروف العربية وإلى إيجاد قواعد اللغة العربية وهو ما اصطلاح على تسميته فيما بعد بعلم النحو⁽⁶⁴⁹⁾، ولعل من أقوى الشواهد على المكانة التي أصبحت للغة العربية في الحياة الفكرية اهتمام المثقفين آنذاك بفقهها وتاريخها والاهتمام بفقه اللغة قوى الصلة بالقرآن فكان من الضرورة الماسة أن يفهم العدد الغفير من الداخلين بالعربية التي هي لغة التعبد الإسلامي، وقد دعت الحاجة إلى تمهيد السبل أمام هؤلاء الأعاجم إلى امتلاك ناصية الدقائق المعنوية في العربية والتضلع في متنها الزاخر بالمفردات⁽⁶⁵⁰⁾. ولذا كان على سكان البلاد المفتوحة أن يتعلموا

(646) ديمويين، النظم الإسلامية، (ص/ 11)

(647) الحضارة الإسلامية، (ص/ 30)

(648) ابن أبي أصيبعة، عبون الأنبياء، (1/ 185 و 189)

(649) ابن خلدون، المقدمة (ص/ 454 - 455).

(650) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ص/ 26 - 27).

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

العربية وأن يقرأوا ويكتبوا بها ليستفيدوا منها لدينهم ودنياهم حتى اضطروا أن يتعلموا النحو لإصلاح لغتهم.⁽⁶⁵¹⁾

ويبدو أن إقبال المسلمين على تشجيع حركة التعريب يعود أيضا إلى ظهور الفرق الإسلامية وبروز فكرة الاعتزال والقول في القضاء والقدر واحتدام الجدل بين هذه الفرق الإسلامية ثم اتساع نطاق الجدل الديني بين المسلمين وأهل الذمة ولا سيما النصارى واليهود وقد وجد المسلمون أن هؤلاء يقارعونهم الحجج للدفاع عن آرائهم ومعتقداتهم بالمنطق والفلسفة فأقبل المعتزلة على دراسة كتب الفلسفة اليونانية المعربة للاستفادة منها في الدفاع عن الإسلام تجاه أقرانه من الذميين⁽⁶⁵²⁾.
وقد لعبت الفتوحات الإسلامية والفكر الإسلامي دورا كبيرا في عملية التعريب حيث أقبل العرب تحت شعار المساواة بين مختلف الشعوب على التزوج بالأجنبيات من البلاد المفتوحة هذا الإقبال الشديد كان له أثره في إقبالهم على تعلم العربية وإتقانها.

وفي عهد عبد الملك بن مروان بدأ بتعريب الدواوين من اللغة الفارسية إلى العربية في مختلف أنحاء الدولة بما في ذلك بلاد ما وراء النهر، هذا القرار جعل اللغة العربية ضرورية للتعامل مع الحكومة والإدارة. أما الدواوين الأولى (الجند وبيت المال) فقد كانت باللغة العربية منذ نشأتها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.⁽⁶⁵³⁾

أما تعريب العلوم فقد بدأت المحاولات الأولى فيه خلال العصر الأموي وكانت على الأغلب جهود فردية وعلى نطاق ضيق واقتصرت على العلوم العملية كالطب

(651) أحمد أمين، فجر الإسلام، (ص / 175)

(652) البيوزبكي: تاريخ أهل الذمة في العراق، (ص / 383)

(653) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، (ص / 38)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْطَائِيَّةٌ

والفلك والعلوم العقلية (كالمنطق والفلسفة والهندسة) كما عربت بعض الألفاظ اليونانية واطلقوا عليها كلماتها الأصلية مثل البرجد (وهو كساء غليظ مخطط)، وأسماء أشياء عرفها العرب بعد إتصالهم بالروم كالزبرجد والزمرد والياقوت ومقاييس وأوزان رومانية كالقيراط والأوقية وأسماء طبية أو نباتية كالقولنج والبرقوق أو كلمات نصرانية كالجاثليق والبطريق وغيرهم⁽⁶⁵⁴⁾. وقد توسعت حركة التعريب خلال القرن الأول الهجري بتأثير المسيحيين ورغبة بعض الأمويين فإن خالد بن يزيد بن معاوية كان عالما وأديبا ومن أول المحبين لعلوم اليونان فأمر بترجمة الكتب في علم الهيئة والطب والكيمياء حتى روى أنه وجد الحجر الفلسفي الذي يصنع به الذهب الإصطناعي⁽⁶⁵⁵⁾.

وشجع عمر بن عبدالعزيز تعريب كتب الطب فأمر بنشر كتاب الطب الشرعي الذي نقله إلى العربية متطبب البصرة مارسرجونة في عهد الخليفة مروان بن الحكم وقد وجده في خزائن الكتب بالشام⁽⁶⁵⁶⁾.

وكان للقائد الأموي البارز قتيبة بن مسلم الباهلي دور كبير في التعريب، حيث أنه أسس العديد من المساجد والمدارس في بخارى وسمرقند وغيره من البلاد، التي كانت مراكز لنشر الإسلام وتعليم اللغة العربية، وهكذا أنه شجع السكان المحليين على تعلم اللغة العربية من خلال دعمه للدعاة والعلماء.

ونختتم بحثنا هذا بالقول أن نشاط حركة التعريب كان بدافع، رسمي وشعبي وكان للإسلام أثر كبير في نجاح عملية تعريب الأمم التي انتشر الإسلام فيها كما لعبت الحركات السياسية والفكرية والإزدهار الثقافي والحضاري ورغبة بعض خلفاء

(654) أحمد أمين، ضحي الإسلام، (1/ 281)

(655) بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، (ص/ 69).

(656) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (1/ 163)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المسلمين دورا بارزا ومهما في توسع هذه الحركة وانتشارها بين أغلب الشعوب التي خضعت لدار الإسلام.⁽⁶⁵⁷⁾

رغم ذلك، لم تكن عملية التعريب خالية من التحديات. فواجه الأمويون مقاومة من بعض السكان المحليين الذين تمسكوا بلغاتهم وثقافتهم. كما أن التنوع اللغوي في المنطقة شكل عقبة أمام جهود توحيد اللغة. ومع ذلك، تمكنت الدولة الأموية من التغلب على هذه العقبات بفضل سياساتها المنظمة ودعمها المستمر لجهود التعريب.

في النهاية، لعبت سياسة التعريب دورًا محوريًا في توطيد الحكم الأموي في بلاد ما وراء النهر. من خلال تعزيز مكانة اللغة العربية، استطاع الأمويون تحقيق أهدافهم الدينية والسياسية والثقافية، مما أسهم في بناء حضارة إسلامية موحدة امتدت آثارها لعصور طويلة.



(657) توفيق سلطان اليوزبكي، التعريب في العصري الأموي، مجلة آداب الرافيدين، العدد 7، (ص 41-

كان العصر الأموي امتدادا لفترة الخلافة الراشدة، وهو عصر صغار الصحابة رضي الله عنهم الذي بدأ من ولاية معاوية بن أبي سفيان إلى الوقت الذي عرضت فيه بوادر الضعف في الدولة الأموية وذلك في أوائل القرن الثاني الهجري.

ولقد شهد هذا العصر المبارك بداية نمو الحركة العلمية الإسلامية التي كان قوامها القرآن وتفسيره، والحديث وشرحه والفقه وأصوله، والتاريخ والسير والمغازي، واللغة العربية وآدابها. فكان ابن المقفع⁽⁶⁵⁸⁾ من أشهر العلماء والمترجمين في العهد الأموي في بلاد ما وراء النهر، حيث أنه عرف بدوره البارز في ترجمة ونقل المعارف من الثقافة الفارسية إلى اللغة العربية، مما ساهم في تشكيل الفكر الإسلامي، ويعتبر أعماله من الجسور التي ربطت بين الحضارتين في تلك الحقبة. وللأمويين فضيلة أخرى، تلك هي حفاظهم على التراث العلمي الأجنبي الذي وجدوه في البلاد المفتوحة، فقد عرفنا فيما سبق أن الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي امتدت إلى آفاق بعيدة، شملت مساحات واسعة في قارات الدنيا القديمة الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا، وهذه المناطق التي حوتها الدولة الإسلامية، كانت هي موطن الحضارة في العالم يومئذ، وفيها مدراس علمية وفكرية تركز فيها كل ما أنتجه العقل البشري من علوم على مدى آلاف السنين، فعلم الهنود والفرس والإغريق على اختلاف أنواعه كان منتشرا في البلاد التي فتحها المسلمون في العصر الأموي، ووضع المسلمون أيديهم على هذا الكنز العلمي الذي كان موزعا على مدن زاهرة تعج بالنشاط العلمي، وكانت العلوم التي تدرس في أغلب المدارس هي علوم

(658) عبد الله ابن المقفع (ت 141 / 142 هـ - 724 / 759 م)، وله كتاب كلیلة ودمنة، ترجمه من الفارسیة إلى العربیة، وله كتاب المدخل إلى علم المنطق المعروف بإيساغوجي، وله رسائل، واشتهر عنه: علمه أكثر من عقله. أنظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (3 / 910). الزركلي، الأعلام (4 / 140)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْطَائِيَّةٌ

الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والهندسة والطبيعة والكيمياء والجغرافيا، وكانت تقوم على أساس وثني، فماذا صنع المسلمون في العصر الأموي بهذه المدارس ؟ هل أغلقوها وعطلوا الدراسة فيها؟

لم يحدث من ذلك شيء على الإطلاق، بل أبقوا هذه المدارس على ما كانت عليه وتركوا الأساتذة يعلمون والطلاب يتعلمون في جو من الحرية لم يسبق له مثيل، بل لم يتدخلوا مطلقاً في شؤون هذه المدارس وتركوا كل شيء للقائمين عليها، فلما رأى العلماء والطلاب هذه الحرية وهذا التسامح مع العلم والعلماء الذي أبداه المسلمون نحوهم والذي هو في الواقع من وحي الدين الإسلامي نفسه الذي يحترم العلم والعلماء ويكرمهم، بل يحث الناس على العلم والتعليم ويعتبر التفكير فريضة من فرائضه، أقبلوا على العلم والتعليم بصدور منسوحة وعقول منفتحة، وأخذت هذه المراكز العلمية تؤدي عملها تحت الحكم الإسلامي حتى جاء العصر العباسي الأول، وكانت الدولة الإسلامية قد استقرت والعلوم الإسلامية الأصيلة قد تأصلت ووضعت قواعدها وأصبحت لها مدارس شهيرة في مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط وغيرها.⁽⁶⁵⁹⁾

عند اتساع رقعة الاسلام بدأ المسلمون يتجهون للعلوم الأجنبية والتي كانوا يسمونها العلوم الدخيلة وهي الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والطبيعة والكيمياء، اتجهوا إلى هذه العلوم وبدأوا يترجمونها إلى اللغة العربية وكان الخلفاء العباسيون يشجعون حركة الترجمة ويجزلون العطاء للعلماء على عملهم ويحترمونهم وينزلونهم منزلة كبيرة، فقد كان الخليفة العباسي المأمون يعطي العالم الذي يترجم كتاباً علمياً من لغة أجنبية إلى اللغة العربية وزن هذا الكتاب من الذهب

(659) بشار عواد معروف، مرجع سابق، (8 / 198 - 200)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

الخالص، لذلك أقبل العلماء على الترجمة في همة ونشاط حتى لم يكد يمضي قرن واحد على بداية حركة الترجمة حتى أصبح ذلك التراث العلمي العظيم الذي خلفته البشرية على مدى أجيال عديدة يُقرأ باللغة العربية، والتي كانت أكثر اللغات انتشاراً في العالم لأنها لغة الإسلام والمسلمين.

والخلاصة، أنه لولا سماحة الخلفاء الأمويين وسعة أفقهم وحفاظهم على هذا التراث لما رأينا هذه النهضة العلمية الكبيرة التي كان لها الأثر الكبير على حياة البشرية.

لقد كانت الحياة العلمية على اختلاف أنواعها سائرة سيراً حسناً، ولم يأل الخلفاء والأمراء جهداً في تشجيع مسيرتها وتعزيزها، واعتنوا بحسن خدمتها وإيضاحها مما جعل عصرهم عصراً تنتعش فيه دولة العلم، وحظوا بصحبة كثير من الصحابة ونخبة علماء التابعين، واستفادت الدولة منهم وأفادوا، وكانوا يكرمونهم ويؤيدونهم في دفع نشاط الحركة العلمية، فتنوع الإنتاج العلمي يومئذ تنوعاً واسعاً في مختلف العلوم من تفسير وحديث وفقه وعربية وغيرها، وكل علم في رقي وتكامل وظهر تظاهرة بذور التدوين العلمي في معظم العلوم، وتبينت مشاهدها ومدارسها.

إن فكرة إستقرار العرب في المناطق المفتوحة من خراسان وما وراء النهر، ظهرت في مدة ولاية زياد بن أبي سفيان بشكل واضح، بعد أن أدرك أن الحملات المتفرقة لا يمكن أن تحقق الفتح المنظم لهذه البلاد، إذ أمر الربيع بن زياد الحارثي⁽⁶⁶⁰⁾ بنقل خمسين ألف مقاتل مع عيالهم من أهل البصرة والكوفة، وأسكنهم في تلك البلاد،

(660) أنظر ترجمته، الذهبي، تاريخ الإسلام، (2 / 487)

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

ليكونوا النواة العسكرية الأولى للفتح، وليستقروا في خراسان ومن ثم بلاد ما وراء النهر.⁽⁶⁶¹⁾

والفتوحات العربية الإسلامية أسهمت بشكل كبير في انتقال العرب من العراق وبلاد الشام ومصر إلى بلاد ما وراء النهر وإمتزاجهم مع سكانهم الأصليين. وعلى ما يبدو أن إقامة العرب الطويلة في خراسان والمشرق قد ساعدت على عملية الاندماج السكاني بين العرب والسكان المحليين⁽⁶⁶²⁾، كما سهلت عملية نشر الإسلام بينهم ونشأ شعور اجتماعي بين الطرفين وأصبحت خراسان والمشرق، أشبه بشبه جزيرة عرب ثانية.

فيما يخص الجانب الاجتماعي للعرب في بلاد ما وراء النهر، فقد إتسم بعد استقرار العرب في المدن المفتوحة بتغلغل العناصر العربية داخل مجتمع بلاد ما وراء النهر نتيجة عملية الإسكان والمشاركة في المسكن مع أهالي السكان المحليين، حتى انتشر الدين الإسلامي في تلك البلاد. وتعلموا اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، وبدأت عملية التأثير تستشري ما بين الطرفين وذلك منذ العصر الأموي، مروراً بالعصر العباسي حتى ظهر على أثره جيل جديد منصهر بين العرب والقوميات الأخرى.

ثم إن النهضة العلمية التي امتازت بها بلاد ما وراء النهر كانت تعتمد في الأساس على اللغة العربية، والتي كان إتقانها شرطاً أساسياً لتحصيل العلوم وكتابة البحوث.

(661) غريب محمد/ الميلود، المؤسسات العلمية في بغداد ودورها في إزدهار الحركة العلمية في المشرق خلال القرن 2 هـ) أ/ المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة- مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية العدد السابع.

(662) البلاذري، فتوح البلدان، (ص/ 396). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (3/ 83)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

وكانت المؤسسات العلمية في هذا الوقت تسمى بـ "البيهقيات" وكان أهم ما تقدمه هو علوم اللغة العربية ثم العلوم الدينية والطبيعية.

الفصل الثالث

الوسائل والأَساليب المستخدمة في مجال الاجتماعي والثقافي

المبحث الأول: الوسائل المستخدمة فيها

وسائل الدعوة في مجال الاجتماع والثقافة في العصر الأموي كانت متعددة ومتنوعة وقد أجاد المشتغلون بالدعوة استخدامها، ووظفوها لخدمة الدعوة بما يتناسب مع متطلبات عصرهم، حيث بلغت الدعوة الإسلامية في تلك الفترة الزمنية أقصى انتشار لها، وأشرقت شمس الهداية على أمم لم تكن تعرف الإسلام أو تدين به.

كانت جهود التعليم في هذه المنطقة جزءاً من سياسة الدولة الأموية لتعزيز الإسلام وترسيخ الثقافة العربية والإسلامية بين السكان المحليين، الذين كانوا من خلفيات لغوية وثقافية مختلفة. وفيما يلي استخدام الدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر تلك الوسائل في بلاد ما وراء النهر:

• إنشاء المساجد كمراكز تعليمية

من الوسائل التي استخدمتها الدولة الأموية بالجهود الدعوية في بلاد ما وراء النهر هو: إنشاء الأمويون العديد من المساجد في مدن بلاد ما وراء النهر لتكون مراكز لنشر التعليم الديني. وممن أبرز هذه المساجد المسجد الكبير في بخارى، الذي أصبح ليس فقط مكاناً للصلاة، بل أيضاً مدرسة تُدرس فيها علوم القرآن والسنة واللغة العربية، (وقد ذكرنا سابقاً له تفصيلاً كافياً). فلعبت المساجد دوراً محورياً في تعليم السكان المحليين الدين الإسلامي وإدماجهم في الثقافة الإسلامية.

• إرسال العلماء والدعاة

إرسال العلماء والدعاة من أحد الوسائل المستخدمة للدولة الأموية في بلاد ما وراء

الْجُھُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

النهر. أرسل العلماء والدعاة من العرب إلى بلاد ما وراء النهر لتعليم السكان المحليين تعاليم الإسلام واللغة العربية. فكان العلماء والدعاة يمارسون التعليم في المساجد والكتاتيب، إضافة إلى التجول في القرى والبلدات لتعليم الناس الدين الجديد. ففي هذا المجال كان لقتيبة بن مسلم الباهلي دور بارز، فإنه لعب دورًا بارزًا في نشر الإسلام والتعليم في المنطقة، حيث شجع العلماء على العمل في هذه المناطق.

• تعريب العلوم والمعارف

عملت الدولة الأموية على تعريب المعارف التي كانت موجودة في بلاد ما وراء النهر، حيث تمت ترجمة الكتب الفارسية والبوذية واليونانية التي تتعلق بالعلوم والفلسفة إلى اللغة العربية. ساعدت هذه الجهود في تقريب الثقافة الإسلامية إلى السكان المحليين، مما جعلهم أكثر تقبلاً للإسلام.

• التعليم المتنقل

اعتمد الأمويون على التعليم المتنقل في المناطق الريفية والنائية في بلاد ما وراء النهر، حيث كان الدعاة والعلماء يسافرون لنشر الإسلام وتعليم اللغة العربية. فهذا الأسلوب ساعد على الوصول إلى فئات واسعة من السكان الذين كانوا بعيدين عن مراكز المدن والمساجد الكبرى.

• بناء مكتبات ومراكز علمية

على الرغم من أن بلاد ما وراء النهر لم تشهد بناء مكتبات كبيرة في العصر الأموي كالتى ظهرت لاحقاً في العصر العباسي، إلا أن المساجد في المنطقة احتوت على مكتبات صغيرة لتوفير المصادر التعليمية للطلاب والعلماء.

• نشر قيم الزكاة والصدقات

كانت الدولة الأموية تشجع الصدقات التطوعية والحث على الإنفاق في سبيل الله من خلال الخطب والدروس الدينية، وهكذا تخصيص الدواوين لضمان توزيعها العادل بين المحتاجين، فضلاً على إطعام الفقراء والمحتاجين بتأسيسي بيت مال المسلمين. ونحن خير شاهدين عصر عمر بن عبد العزيز في بلاد مختلفة.

• دعم العمل والانتاج بدل الاتكال

من وسائل الدعوة المستخدمة للدولة الأموية هو نشر مفهوم العمل كعبادة، والتأكيد على أن الكسب الحلال خير من التسول. واستقطاب الدعاة لحث الناس على تعلم الحرف والمهن بدل الاتكال على المساعدات.

• اختلاط العرب مع سكان ما وراء النهر وامتزاجهم بهم، والزواج مع بناتهم.

• عموم الزواج في عهد عمر بن عبد العزيز، والمساعدة الحكومية الكاملة لتحقيق الأسرة.

• انشاء المستشفيات بكافة أنواعها وتخصصاتها المختلفة.

فكان استخدام هذه الوسائل أدى إلى إقبال السكان المحليين على الإسلام وتعلم اللغة العربية، وأصبحت مدن مثل بخارى وسمرقند مراكز علمية وثقافية مهمة بفضل هذه الجهود التي بدأتها الدولة الأموية، والتي مهدت الطريق لإزدهار هذه المنطقة في العصر العباسي.

هكذا نجحت هذه الجهود في دمج السكان المحليين في الحضارة الإسلامية وتكوين طبقة من العلماء الذين ساهموا في تطور العلوم الإسلامية لاحقاً.

طبيعة بلاد ما وراء النهر وما كانت عليه أحوالها السياسية والاجتماعية يرينا إلى أي مدى كان الموقف صعبا، ولقد قاومت تلك البلاد الفاتحين المسلمين بضراوة، وكانت تلك المقاومة ظاهرة من عدم فهمهم لطبيعة الإسلام وما يحمله لهم من خير وسعادة وعزة وكرامة.

ولكنهم بعد أن عرفوا قيمة الإسلام وأهدافه غيروا موقفهم من العداء الشديد إلى الحماس الشديد للإسلام، ومن خير ما يصور هذا التغيير ما يقرره المؤرخ والمستشرق المجري أرمينيوس فامبري في كتابه حيث يقول: "إن بخارى التي قاومت العرب في البداية مقاومة عنيفة، قد فتحت لهم أبوابها لتستقبلهم ومعهم تعاليم نبهم، تلك التعاليم التي قوبلت في البداية بمعارضة شديدة، ثم أقبل القوم من بعد عليها في غيرة شديدة، حتى لترى الإسلام- الذي أخذ شأنه اليوم يضعف في جبهات آسيا الأخرى- وقد غدا في بخارى اليوم (١٨٧٣م) على الصورة التي كان عليها أيام الخلفاء الراشدين".^(٦٦٣)

فلو تكلمنا عن الأساليب الدعوية التي استخدمتها الدولة الأموية، فإن الدولة أولت اهتماما كبيرا بالمجال الاجتماعي والثقافي، خاصة في بلاد ما وراء النهر، بهدف تحقيق استقرار المجتمعات المحلية وربطها بالحضارة الإسلامية. ومن الأساليب الدعوية التي استخدمتها الدولة الأموية في المجال الاجتماعي والثقافي:

- تعزيز القيم الإسلامية

(٦٦٣) تاريخ بخارى (ص / ٦٧).

الْجُھُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

أكدت الدولة على مبدأ المساواة بين المسلمين بغض النظر عن أصولهم العرقية أو مكانتهم الاجتماعية، استناداً إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى﴾⁽⁶⁶⁴⁾.

- التسامح الديني والاجتماعي
- تعامل الأمويون مع السكان المحليين من غير المسلمين بأسلوب التسامح، ما ساعد على كسب ولائهم وفتح الطريق أمامهم للاندماج في المجتمع الإسلامي.
- تعريب الدواوين
- ساهمت الدولة الأموية في توحيد لغة الإدارة وجعل اللغة العربية وسيلة للتواصل الرسمي، مما خفف التفرقة بين الطبقات المختلفة.
- تشجيع الدخول في الإسلام
- عبر إعفاء المسلمين الجدد من الضرائب (كالجزية) وتقديم مزايا اجتماعية واقتصادية.
- تنظيم الأحوال الشخصية وفق الشريعة الإسلامية
- تم الاهتمام بقوانين الزواج والطلاق والميراث لضمان استقرار الأسرة.
- دعم الأسرة والمرأة
- توفير أدوار محددة للمرأة ودعمها في التعليم والمشاركة الاجتماعية بما لا يتعارض مع القيم الإسلامية.
- الزواج بين العرب والسكان المحليين

(664) سورة الحجرات، الآية رقم (13)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

شُجِعَ عَلَى الزَّوْجِ الْمُخْتَلَطِ لِتَقْوِيَةِ الرُّوَابِطِ الْاجْتِمَاعِيَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ الْجَدَدِ، أَرَادَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ زَوْجَ الْبَنَاتِ الْمُحَلِّيْنَ بِالْعَرَبِ الْفَاتِحِينَ لِتَقْوِيَةِ الرُّوَابِطِ الْاجْتِمَاعِيَةِ وَحَظَرَ بَعْضَ الْخَطَرِ.

• احترام التقاليد المحلية

من الأساليب الدعوية المستخدمة هو دمج القيم المحلية بما بطريقة تتوافق مع الشريعة الإسلامية.

• إنشاء نظام قضائي عادل و حماية حقوق المستضعفين.

من أساليبها، حيث كانت المحاكم الإسلامية تُطبق العدالة بين مختلف الفئات، مما عزز الثقة في الدولة. وكذا تطبيق نظام الزكاة والصدقات لرعاية الفقراء والمحتاجين، وإرجاع حقوقهم لهم.

• بناء المدن والمراكز التعليمية والحضارية

مثل بخارى وسمرقند، التي أصبحت مراكز اجتماعية ودينية تجمع السكان. إنشاء المراكز التعليمية مثل المساجد والمدارس لتعليم الدين الإسلامي واللغة العربية، مما ساهم في تعزيز وحدة المجتمع.

• إنشاء الأسواق والتجمعات التجارية

قامت الدولة الأموية بإنشاء الأسواق والتجمعات التجارية في مختلف أنحاء بلاد ما وراء النهر لتشجيع النشاط الاقتصادي وربط المجتمعات المحلية.

• تشجيع العلماء

الاعتراف بدور العلماء المحليين ودعمهم لنشر العلم والقيم الإسلامية.

• تعيين شخصيات محلية في المناصب الإدارية

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

مما ساعد على تقبل الحكم الأموي والاندماج معه. فإن الدولة الأموية فعل ذلك في مختلف أنحاء دولتهم لضمان الاستقرار الاجتماعي ولتقرب الشخصيات المحلية إليهم والاستفادة منهم في أمور السكان المحليين.

ومن الأساليب الاجتماعية الأخرى هي مجال الصحة والفقر، فكانت الدولة الأموية أولت اهتماما وتخفيف معاناة الفقراء وتحسين الصحة العامة، لاسيما في المناطق المفتوحة في بلاد ما وراء النهر. أدركت الدولة أن معالجة الفقر واهتمامها بالصحة يمثلان أساسا لاستقرار المجتمع وتعزيز الولاء للحكم الإسلامي. لذلك اعتمدت على مجموعة من الأساليب التي جمعت بين الدينية والابتكار الإداري، بهدف تحسين ظروف الحياة وتوفير الاحتياجات الأساسية للفئات الضعيفة وتقوية الطريقة للدعوة الإسلامية. هذه الأساليب التي سنذكرها لاحقا لم تقتصر على تقديم المساعدات المباشرة، بل شملت تعزيز التكافل الاجتماعي، تطوير البنية التحتية وتوفير مستدامة لتحسين مستوى المعيشة، ومنها:

• الإِستعانة بالأطباء النصرانية

مثل ما فعل ذلك معاوية بن أبي سفيان، عمر بن عبد العزيز و الجاج بن يوسف وغيرهم.

• توفير البيئة النظيفة وبناء المستشفيات والمدارس الطبية

اتخاذ تدابير الجانب الصحي عند عمارة المدن، وفي هذا قول ابن خلدون الواضح "أن يراعى فيه دفع المضار...".

• توفير المناخ المناسب للتنمية

ونحن خير شاهدين برد الحقوق لأصحابها وإعطاء الحرية للتجار والكسب كما ذكرنا أنفا لا سيما في عهد عمر بن عبد العزيز.

- اتباع سياسية زراعية جديدة
- كما فعل الأمويون في منع بيع الأرض الخراجية والعناية بالمزارعين وتخفيف ضرائبهم في معظم الأحوال، وكذلك إحياء الأرض الموات والإصلاحات الأخرى مع الاهتمام بالمشاريع.
- فرض الزكاة
- فرضت الدولة الزكاة كركن أساسي من أركان الإسلام، وتم جمعها من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين.
- إعفاء المسلمين الجدد من الجزية
- كوسيلة لتشجيعهم على الدخول في الإسلام وتخفيف الأعباء المالية عنهم، ودعمهم اقتصاديا لتثبيتهم في المجتمع.
- الرقابة على عمال الخراج والزكاة
- ضمان أن الأموال تُجمع وتُوزع بطريقة عادلة ولا تذهب إلى الأغنياء أو النخب الفاسدة.
- أساليب الدولة الأموية في معالجة الصحة والفقير ساهمت في تحسين الأحوال المعيشية، تحقيق العدالة الاجتماعية وتعزيز التماسك المجتمعي، مما أدى إلى زيادة الاستقرار ونشر الإسلام.
- والظاهر من الشرع المطهر أن الحكام والدعاة يلزمهم ما يستطيعون، وما يرون أنه أقرب إلى النجاح حسب الحال، فإذا رأوا البداءة بالقول والتوجيه، ثم إذا قبل الإسلام تبين له أحكام الشرع، وإذا رأوا أن الدعوة تكون بالمكاتبة دون المشافهة، ليسبوا له القول في ذلك، أو رأوا أن يبدأ بالقول والعمل جميعا، فكل ذلك منوط

الْجُھُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

بالمصلحة الشرعية التي يرونها⁽⁶⁶⁵⁾ والقاعدة في اتخاذ الوسائل والأساليب الدعوية هي مراعاة حال الدعوة زمانا ومكانا.

فأساليب الدعوة في العصر الأموي كانت تنطلق من خلال المعالم التي رسمتها لها المناهج الدعوية، فقد اهتمت بهداها، حيث كان الكتاب والسنة هما الأساس الذي من خلالهما استخلصت تلك الأساليب الدعوية، على مستوى العلماء. فإن أبرز الأساليب الدعوية التي استخدموها في مجالات مختلفة كانت على أساس الحكمة، الموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وعلى مستوى الخلفاء، على أساس الترغيب والترهيب.

(665) إبراهيم بن عبد الله المطلق، التدرج في دعوة النبي (ص/ 148)

الباب الثالث

آثار الجهود الدعوية المترتبة للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر

الفصل الأول

الآثار المترتبة على الجهود الدعوية في المجال السياسي

المبحث الأول: الآثار الدعوية المترتبة على نشر الإسلام والجهود الدعوية

عصر الدولة الأموية كان امتدادا للقرون المفضلة لهذه الأمة فقد شهد العصر الأموي بناء قوة بحرية وبرية إسلامية مهيبية وامتدت فتوحاتهم من الصين شرقا إلى بلاد الأندلس غربا ومن شواطئ البحر المتوسط شمالا إلى بلاد السودان جنوبا. وحرص خلفاء بني أمية على أن يصاحب الفقهاء والعلماء جندهم ليشدوا أزرهم ويبينوا لهم فضيلة الجهاد ومميزات الشهادة والشهيد. ويقوم هؤلاء العلماء والفقهاء كذلك بتعليم أهالي البلاد المفتوحة القرآن الكريم والحديث والسنن واللغة العربية ويبينون لهم الحلال والحرام وما ينفعهم في دينهم ودنياهم⁽⁶⁶⁶⁾.

و كانوا يأمرؤن أعدادا من المسلمين العرب أن ينتقلوا بعوائلهم للسكنى في الأراضى الجديدة المفتوحة، ليحتك بهم المسلمون الجدد ويتعلموا منهم الدين والعلم والخلق وسائر الأمور، هذا فضلا عن نقل عدد من العلماء إلى الأراضى الجديدة ليقوموا بتعليم الناس وتدريسهم أمور الدين الحنيف وبخاصة الإمامة والخطابة إضافة إلى القيام بمهام القضاء⁽⁶⁶⁷⁾.

وقد أدى انتشار التعليم ونشوء مراكز العلم في المدن الرئيسية مثل بخارى، وسمرقند وغير ذلك إلى ازدهار الحركة الفكرية في العصر الأموي. وقد ساهم الخلفاء الأمويون وولاتهم على الأقاليم، بدور فعال في دفع هذه الحركة إلى الأمام، بطريق

(666) تاريخ الدولة الأموية، عمر بن سليمان العقيلي، الجمعية التاريخية السعودية بجامعة الملك سعود، الرياض، 1426هـ، ص 170.

(667) حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية وأثرهما في الدعوة إلى الله تعالى وانتشار الإسلام، ناصر الأحمد، رسالة دكتوراه، معهد الدعوة الجامعي، بيروت، 1429هـ، ص 214.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

مباشر أو غير مباشر⁽⁶⁶⁸⁾. وبدأ الفقهاء والعلماء ينتقلون من بلد إلى آخر. ولذلك أصبحت الرحلة في طلب العلم وسماع الشيوخ ضرورة ملحة. وقد أولى بعض خلفاء بني أمية هذا الجانب اهتماما خاصا، فيروى أن الوليد بن عبد الملك كان يعطي إعانات للقراء المتفرغين لطلب العلم في بيت المقدس. وأن عمر بن عبد العزيز كتب إلى والي حمص: انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقهاء، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين وإن خيرا لخير أعجله⁽⁶⁶⁹⁾.

وكان من اهتمام بني أمية بالرحلات والبعوث الدعوية ودعمها ما جاء من أن عمر ابن عبدالعزيز رضي الله عنه الخليفة الزاهد الرشيد، والداعية الناصح كان يحرص على نشر العلم في الأمصار والبوادر حيث بعث يزيد بن أبي مالك الدمشقي، والحاتر بن يمجدة الأشعري يفقهان الناس في البدو⁽⁶⁷⁰⁾.

وبهذا يتضح أثر الدعم السياسي التي لاقته رحلات وبعوث الصحابة والتابعين الدعوية والتي كانت أحد أسباب نجاحها.

وعلى هذا النحو اتضحت سياسة الأمويين إزاء بلاد ما وراء النهر منذ بداية الفتح ونشر الإسلام بينهم، الذي كان يتوقف على اتحاد القبائل العربية في خراسان تارة ثم تضامنهم مع الفرس والترك تارة أخرى، وفقا للاستراتيجية التي انتهجها القائد المخضرم قتيبة بن مسلم والجنوح شرقا للصين، إلى أن تراجع العرب في المنطقة

(668) عمر بن سليمان العقيلي، تاريخ الدولة الأموية، (ص/ 172)

(669) المرجع السابق، (ص/ 161). انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، (46 / 320)

(670) ابن عساكر، تاريخ دمشق، (11 / 510)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

عقب وفاته جراء الصراع بين الأمراء الأتراك الثائرين بينه والولاة الأمويين باستثناء بعض الخلفاء والولاة، وحصرهم نشر الإسلام ببلاذ ما وراء النهر فقط.

فمن الآثار الدعوية لنشر الإسلام والجهود الدعوية في بلاد ما وراء النهر خلال الدولة الأموية في نقاط تالية:

- انتشار العقيدة الإسلامية، من الآثار الدعوية لنشر الإسلام هو دخول أعداد كبيرة من سكان بلاد ما وراء النهر في الإسلام نتيجة للجهود الدعوية والتعليمية.
- تحول المجتمعات إلى الثقافة الإسلامية، تبني القيم والتقاليد الإسلامية في الحياة اليومية في تلك المناطق.
- تعزيز الوحدة السياسية والدينية، من آثارها، أن الإسلام ساهم في توحيد القبائل والشعوب تحت سلطة واحدة.
- ازدهار العلوم والفكر الإسلامي، فكان من آثارها ظهور علماء المسلمين من المنطقة ساهموا في العلوم الدينية وغيرها.

الْجُهُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْطَائِيَّةٌ

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الجهود في المجال السياسي والأخلاقي

يعد عهد الامويين أعظم عهد بعد الصحابة حافظ على الأمانة، ونقلها بصدق إلى الأجيال القادمة، فهم الذين حولوا الإسلام من دين محلي إلى دين إقليمي، وهو دين عالمي بمضامينه القرآنية والنبوية، وعلى سواعدهم تحول إلى دين عالمي، ثم إلى دين إنساني، فارتقوا إلى تعاليمه الربانية وصاغوها في الواقع بأبعادها المحلية والإقليمية والعالمية والإنسانية وهم الذين نقلوا تعاليمه إلى أصقاع الدنيا كلها بعد جهاد دام ومرير مع سدنة الكفر والطغيان في بلاد ما وراء النهر، فاهتموا بهداية الناس والدعوة إلى الإسلام أشد الاهتمام ، وتبين ذلك من عدة وجوه منها:

- كانوا يبدؤون بالدعوة قبل القتال كقاعدة جهادية بأنهم خيروا الشعوب بين الإسلام والجزية والقتال، ويحثون الناس على قبول الإسلام ويحذرون من الإعراض عنه.
- كانت الدولة الإسلامية في عهدهم ترسل دعاة ومعلمين لتعليم الناس الإسلام وتلقيهم أمور الدين.
- قاموا بالدعوة إلى الله تعالى في كل الأحوال في اليسر والرخاء والعسر، حتى آخر لحظات حياتهم.

قال ابن كثير⁽⁶⁷¹⁾: كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي، من سادات الأمراء وخيارهم، وكان من القادة النجباء الكبراء، والشجعان وذوي الحروب والفتوحات السعيدة، والآراء الحميدة، وقد هدى الله على يديه خلقا لا يحصيهم إلا الله، فأسلموا ودانوا لله عز وجل.

(671) ابن كثير، البداية والنهاية (9 / 167)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

ثم إن الفتح الإسلامي كان مقصده نشر الدعوة الإسلامية وتوسيع دائرة الإسلام في كل أرجاء العالم، ولتحقيق ذلك المقصد فقد مر الفتح الإسلامي بعدة مراحل والتي كان لها الأثر البالغ في دخوله لتلك البلدان التي تم فتحها وذلك بفضل الله ثم لما كان يتمتع به القادة المسلمون من الإيمان والخبرة والشجاعة والقدرة على قيادة المعارك وتحقيق الانتصارات، فبعد أن استكمل القادة المسلمون فتح بلاد العجم كان لزاما عليهم التوجه إلى نشر الدعوة الإسلامية فيها، إلا أن الفتح الإسلامي في تلك البلاد عامة كان يختلف عن غيره من الفتوحات الإسلامية حيث استغرق أعواما كثيرة ويرجع السبب في ذلك إلى العامل الجغرافي وطبيعة تلك البلاد الجبلية ووعورة مسالكها واختلاط الفئات الاجتماعية فيها، ورغم هذه الصعوبات التي واجهت المسلمين في الفتح إلا أنه كان يوجد عامل مشجع لتقدم المسلمين في المنطقة والمتمثل في السكان الأصليين (الترك) الذين أرادوا التخلص من الحكم البوذي والتركي حيث كانوا ساخطين عليه كارهين لحكمهم الجائر وتعسفهم في جباية الضرائب منهم و كثرة مظالمهم، ولما وجدوه في الإسلام والمسلمين من المبادئ السامية من الحرية والعدالة والتسامح خلاصا لهم، فقامت عدة حملات في عهد الأمويين رضي الله عنهم وبقيادة القادة العرب الفاتحين والتي كللت كلها بالنجاح وأنهت الحكم البوذي والتركي في تلك البلاد.

وقد فصل ابن كثير ذلك بقوله: "فقتيبة بن مسلم يفتح في بلاد الترك، يقتل ويسبي ويغنم، حتى وصل إلى تخوم الصين، وأرسل إلى ملكه يدعوه، فخاف منهم، وأرسل له هدايا وتحاييف وأموالا كثيرة هدية". وبعث يستعطفه مع قوته وكثرة جنده، بحيث إن ملوك تلك النواحي كلها تؤدي إليه الخراج خوفا منهم.⁽⁶⁷²⁾

(672) ابن كثير، البداية والنهاية (9 / 104).

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

ومن الآثار الدعوية المترتبة في المجال السياسي في نقاط تالية:

- اتساع رقعة الدولة، من الآثار الدعوية في المجال السياسي هو اتساع رقعة الدولة الإسلامية وامتدادها من بلاد ما وراء النهر إلى أقصى بلاد الصين.
- الاستقرار السياسي، أسهمت الدعوة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر خلال الدولة الأموية في تحقيق الاستقرار السياسي من خلال ترسيخ شرعية الحكم وتوحيد مختلف الطوائف والقبائل حول هوية دينية مشتركة، مما قل من النزاعات الداخلية وأسس نظاما مركزيا متماسكا.
- إحكام فتح مدن قوية ومنيعة، من الآثار الدعوية في المجال السياسي هو إحكام مدن قوية ومنيعة مثل بخارى وسمرقند والذي فتحها قتيبة بن مسلم بعد جهود وضحية عظيمة.

الفصل الثاني

الآثار الدعوية في المجال الاجتماعي

المبحث الأول: الآثار المترتبة على تقسيم طبقات المجتمع

فإن عملية توطين العرب بعد الفتح في الأمصار الجديدة قد تمت بحيث أخذ التخطيط شكل التنظيم القبلي، فعرفت كل قبيلة أو مجموعة من القبائل بخطة محددة معينة يرتبط الأفراد فيها برؤساء خططهم ويعرفون بها، ويؤخذ الرؤساء أحيانا بجرائر أفرادهم.

وبذلك أصبحت القبيلة تدور في فلك التنظيم الحكومي الإداري العام الذي يخضعها للتوطين في أماكن محددة، ويخضع رؤساءها للعزل والتعيين من قبل الإدارة العليا.

وعلى هذا النحو من التنظيم الذي أحيطت به القبائل سار العرب إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر فاتحين، ومستقرين، ونتج عن الفتح والتوطين إسهام كبير من القبائل في نشر الإسلام، والتعريب اللغوي، ودفع الآداب العربية المشبعة بالروح الإسلامية إلى آفاق بعيدة كل البعد عن صحراء العرب، ومواطنهم الأولى.

وانتشر الإسلام في خراسان وبلاد ما وراء النهر، وتعربت تلك الأقاليم في فترة وجيزة، وانتمى أهلها إلى القبائل العربية ولأى بالحلف، وإلى الإسلام فكراً وعقيدة، وانتمى العرب إلى الأمصار التي حلوا بها؛ فحصل احتكاك مباشر بين العنصرين العربي والعجمي أدى إلى الانصهار في بوتقة الحضارة الإسلامية، وأثمر علماً وأدباً وحاكى العرب أهل البلاد الأصليين في الملبس والمطعم، وبنوا الدور والمساكن، وأصبحوا ذوي أملاك زراعية يحرقونها، ويجرون إليها الماء مع بقاء الأراضي الخراجية بوضعها الذي لا يؤثر في إسلام مالك الأرض ولا عدمه، ولا كونه عربياً

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

أو عجميا، وبقاء الإدارات المحلية، وجباية الخراج بأيدي الدهاقين والمرازبة من العجم.

وبرز من العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر قادة وأمراء تولوا مناصب مهمة في العصر الأموي، وظهر فيهم علماء وأدباء وشعراء في أماكن مختلفة متباعدة تبعاً لمواطن الاستقرار المتباينة بتباين الأمصار واختلاف التضاريس، وانضوت الفروع الصغرى في المسميات الكبرى مع بقاء القبائل ذاتها مرتبطة بمسميات التخطيط الخماسي الذي كان صورة طبق الأصل لمخطط إنزال العرب في البصرة.

ومع أن النظام القبلي وما يتصل به من النسب والولاء للقبيلة يعد ركيزة أساسية في البنية الاجتماعية العربية، فقد ظلت العصبية حييسة خافتة لا تحرك الحوادث السياسية، وإذا ظهرت فإنما تظهر في غياب الأمن، وتستغل لرفد المصالح الشخصية، وتستفز لخدمة الفتن المذهبية، ونأى الولاة هناك بأنفسهم عنها، وتعرض من يثيرها منهم للمؤاخذه، مع أن إعراض الولاة عن تبني العصبية لم يمنع من استفادة بعض القبائل ونموها في ظل الولاة المنسوبين إليها.



الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الاهتمام بقضايا الفقر والصحة

المطلب الأول: الآثار المترتبة على الاهتمام بقضايا الفقر

يستهدف الإسلام من محاربة الفقر، تحرير الإنسان من برائته، بحيث يتهيأ له مستوى من المعيشة يليق بكرامة الإنسان، وهو الذي كرمه الله .

وإذا ضمن الإنسان الحياة الطيبة، وشعر بنعمة الله، أقبل على عبادة الله في خشوع وإحسان، ومن ثم لا ينشغل بطلب الرغيف، ولا يبتعد عن معرفة الله وحسن الصلة به .

ومن هنا فرض الله الزكاة، وجعلها ركناً من أركان الإسلام، تؤخذ من الأغنياء لترد على الفقراء، وبهذا يستطيع الفقير أن يشارك في الحياة، ويقوم بواجبه في طاعة الله، كعضو حي في المجتمع وليس كمّاهملاً.

إن شعور الفقير بذلك يعتبر في حد ذاته ثروة كبيرة، وموردًا بشريًا يساهم في تقدم مجتمعه، وأمتة الإسلامية .

وإذا كان القرآن الكريم قد نص على سبيل الحصر على مصارف الزكاة، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾⁽⁶⁷³⁾، فإن هذه الآية الكريمة قد حصرت مصارف الزكاة، ولكنها لم تحدد مواصفات وشروط كل مصرف، وتركت ذلك للفقهاء ليواكب استخدام حصيلة الزكاة وتطور المجتمع وظروفه .

وفي تخصيص جزء من حصيلة الزكاة للفقراء والمساكين، استهدفت الآية أن تجعل من الزكاة أداة لتحقيق مجتمع إسلامي متضامن ومتعاون بين الأغنياء والفقراء، ولعل ذلك يؤدي بنا إلى ضرورة تحديد مفهوم الفقر في الإسلام .

(673) سورة التوبة، الآية رقم (60)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

ومن الآثار الاقتصادية والاجتماعية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان للفتوحات؛ ظهور التجار برفقة العسكر بشراء بعض ما يغنمه الجند من العدو، فبذلك تنشط الحركة التجارية وتزدهر، كما أنه أثناء سير العسكر نحو العدو وحين يصادف مروهم بالمدن والقرى المتواجدة في طريقهم يقومون بشراء احتياجاتهم منها، وحين انتقلت الخلافة إلى الوليد كانت إدارته من أفضل الإدارات في تقديم الخدمات الاجتماعية والاقتصادية بين أفراد المجتمع.

أثر التكافل الاجتماعي في علاج مشكلة الفقر حيث يولد ذلك التكافل شعوراً بالرحمة والرأفة بخلق الله بعيداً عن الأنانية وحب الذات ، كما يشيع ذلك الشعور جواً من المحبة والوئام بين أبناء المجتمع الواحد بحيث يرقُّ قلوبهم للضعيفهم ، ويعطف غنيهم على فقيرهم، ويحسن قادهم على عاجزهم ، مما ينشئ مجتمعاً متعاوناً متراحماً متماسكاً كالجسد الواحد يعيش فيه الفقير في كنف الغني ، ويستظل فيه الضعيف بمظلة القوي ، وهذا من أهم الآثار المترتبة على الاهتمام بقضية الفقر.⁽⁶⁷⁴⁾

ومن الآثار المترتبة على الاهتمام بقضية الفقر حفظ التوازن الطبقي سواء أكان بين الأفراد على مستوى المجتمع، أم بين الأقطار على مستوى الأمة، أو بين الدول على مستوى العالم، في حال انتشار الإسلام في ربوعه وتلك الضوابط هي:

- عدم السماح بالثروة والغنى إلا بعد ضمان حد الكفاية لكل فرد من أفراد الأمة فضلاً عن عدم السماح كلية بكنز المال وحبسه عن التداول أو إنفاقه في سرف

(674) علاج مشكلة الفقر دراسة قرآنية موضوعية د. عبد السلام حمدان اللوح و د. محمود هاشم عنبر الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية - غزة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) ج 17، العدد 1، (ص/ 315 - ص 359) يناير 2009م.

أو ترف.

- عدم السماح باستئثار أقلية بخيرات المجتمع
ذلك لأن المجتمع الإسلامي يقوم على العدل والمحبة والتعاون، فالتفاوت الفاحش في توزيع الثروة واستئثار أقلية بخيرات المجتمع يتنافى العدل بل يؤدي إلى الجور وتحكم الأقلية واستبدادها، كما يولد الكراهية والحسد في نفوس الأكثرية الكادحة ويخلق الطبقية والصراع في المجتمع مما يؤدي إلى عدم الانسجام بين أفراد المجتمع لذلك جاء النص القرآني صريحاً بقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾⁽⁶⁷⁵⁾. بمعنى أنه لا يقبل في الإسلام أن يكون المال متداولاً بين فئة قليلة من الناس وهم الأغنياء دون الفقراء، لأن ذلك يجعل المال في أيدي معينة مما يؤدي إلى الاختلال في التوازن الاجتماعي.
- إعادة التوزيع عند افتقاد التوازن: فانطلاقاً من حفظ التوازن الاقتصادي يتعين على الحاكم أو ولي الأمر أو أهل الحل والعقد التدخل من وقت لآخر لإعادة ذلك التوازن عند افتقاده.



(675) سورة الحشر، الآية رقم: (7)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

المطلب الثاني: الآثار المترتبة على الاهتمام بالصحة

اهتمام الدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر بالصحة والمستشفيات لم يكن مجرد جانب حضاري أو اجتماعي فحسب، بل كان له آثار دعوية مهمة أثرت في نشر الإسلام وتعزيز قيمة الإسلام، ومن أبرز هذه الآثار الدعوية:

- إظهار الجانب الإنساني للإسلام، فالإسلام دين يدعو إلى الرحمة والتكافل، اهتمام الأمويين بإنشاء المستشفيات وتجهيزها يعكس التزام الدولة بتطبيق هذه القيم، والمستشفيات في تلك الدولة لم تقتصر على علاج المسلمين فقط، بل قدمت خدماتها لكل سكان الدولة الإسلامية، بما فيهم غير المسلمين. وخير مثال ذلك الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الذي أنشأ أول مستشفى منظم في الإسلام، وهذا المستشفى كان يخصص جزءاً من ميزانيته لعلاج المرضى المحتاجين، وتعيين أطباء مهرة، بغض النظر عن أديانهم، مما رسخ قيم العدل والإحسان.⁽⁶⁷⁶⁾

- نشر الإسلام عبر تقديم الرعاية الصحية، تقديم الخدمات الطبية بشكل مجاني وبأعلى مستوى ممكن في ذلك العصر جعل الناس يلمسون القيم العملية للإسلام، كما أن بعض المرضى كانوا يتأثرون بمعاملة الأطباء المسلمين وكرمهم، ما جعلهم يتقبلون الإسلام كدين يحرص على رفاهية الإنسان، ونحن خير شاهدين بأثناء توسع الدولة الأموية في بلاد الشام والعراق وما وراء النهر، كانت المستشفيات إحدى الوسائل الدعوية غير المباشرة التي ساعدت في تقبل السكان المحليين للإسلام.

- تعزيز الوحدة المجتمعية، كما ذكرنا أن المستشفيات كانت مراكز للرعاية بغض النظر عن الخلفيات الاجتماعية أو الدينية، مما خلق شعوراً بالمساواة بين الناس. هذا التوجه جعل

(676) حيدر بامات، مجالي الإسلام، نقله إلى العربية: عادل زعير، طبع بدار أحياء الكتب العربية، 1956م. (ص/ 82)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

الدولة الأموية نموذجاً حضارياً يعكس عدالة الإسلام واهتمامه بالمجتمع ككل. في دمشق، عاصمة الدولة الأموية، أنشئت مستشفيات قدمت الرعاية الطبية للجميع، مما عزز من لحمة المجتمع في فترة انتشار بعض الأمراض.

- تعزيز صورة الدولة الإسلامية، تطور المستشفيات في العهد الأموي كان دليلاً على تقدم الدولة الإسلامية، مما أكسبها احترام الشعوب الأخرى وجعلها بيئة جاذبة للإسلام، والقوة الحضارية المرتبطة بالرعاية الصحية زادت من احترام الشعوب المفتوحة للدولة الإسلامية. ففي المناطق المفتوحة حديثاً مثل شمال إفريقيا وبلاد ما وراء النهر، كانت جهود الأمويين في نشر التعليم والصحة تعطي صورة إيجابية عن الدولة الإسلامية وتُظهر الإسلام كدين حضاري.

- إعداد بيئة مواتية للدعوة، إنشاء مستشفيات وعلاج الأمراض أدى إلى استقرار المجتمعات وتقليل المعاناة، مما أفسح المجال لنشر الدعوة الإسلامية بشكل فعال. والأطباء المسلمون كانوا في كثير من الأحيان دعاة عبر سلوكهم وأخلاقهم. فكانت في بلاد ما وراء النهر، حيث كان الإسلام في بدايات انتشاره، ساعدت الجهود الطبية على كسب قلوب السكان المحليين، مما مهد الطريق لتقبلهم الدعوة الإسلامية.

- التأثير الثقافي والحضاري، ازدهار الطب في الدولة الأموية جعلها مركزاً علمياً وثقافياً جذب الباحثين من مختلف الأديان والثقافات. وعبر هذه التبادلات العلمية، نقلت قيم الإسلام إلى الشعوب الأخرى. ترجمة النصوص الطبية اليونانية والسريانية في عهد الأمويين، خاصة في المراكز العلمية المرتبطة بالمستشفيات في بلاد ما وراء النهر ودمشق وغيرها من البلاد.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

فكان اهتمام الأمويين بالصحة والمستشفيات كان أكثر من مجرد عمل حضاري؛ كان استراتيجية دعوية غير مباشرة أثبتت فاعليتها فالقيم الإسلامية التي ظهرت عبر هذه الجهود، مثل الإحسان، العدالة والرحمة، لعبت دوراً مهماً في نشر الإسلام وترسيخ دعائمه في المجتمعات الجديدة.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الاهتمام بالقضايا الأسرية

الأسرة والعائلة والبيت الزوجي هي المدرسة الأولى للأطفال، والاهتمام بها يضمن تعليم الأبناء القيم الإسلامية الصحيحة. فيمكن للأبناء أن يصبحوا دعاة إلى الإسلام من خلال أفعالهم وأخلاقهم إذا أنشأوا في بيئة أسرية مستقرة، فتشجيع الأسرة للطفل على إقامة الصلاة وحفظ القرآن والأخلاق النبوية يعزز من قوة الدعوة بين أفرادها وخارجها. ومع أن الزواج فطرة وضرورة وحاجة إنسانية طبيعية، إلا أنه في الإسلام شريعة وأمر، وسنة وطهر، وكيان تسخر لقيامه وتمامه وصلاحه كل الإمكانيات، وتزداد عنه المعوقات والمنغصات والمجتمع الإنساني مجتمع تحكمه معايير في تعامله وعلاقاته مع الآخرين.

والدعوة ترتقي بالإنسان وتصلح أحواله الاجتماعي والأسري. ويرتقي بها المجتمع بتحلية أفراد الأخلاق الإسلامية السامية ولهذا فالاهتمام بالقضايا الأسرية تسهم في إنتاج أفراد يتسمون بالسلوكيات والصفات الجيدة، وتهيئ لهم اختيارات معينة تحدد السلوك الصادر عنهم، والاهتمام بالقضايا الأسرية المبني على الإيمان سبب لتوفيق الإنسان إلى تصرفات سوية؛ وفي تكوين الشخصية الفردية.

والاهتمام بالقضايا الأسرية يعمل على إصلاح الفرد نفسياً وخلقياً، وضبط دوافعه وشهواته ومطامعه؛ كيلا تتغلب على عمله، وتوجهه نحو الخير والإحسان والواجب؛ ولهذا تراجع أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قراره قطع النفقة عن مسطح، بعد أن خاض مسطح في حديث الإفك الذي مس عائشة رضي الله عنها؛ وذلك بعد نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁽⁶⁷⁷⁾ فقال أبو بكر الصديق: (والله إني لأحب أن

(677) سورة النور، الآية رقم (22)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً).

كما أن الاهتمام بالقضايا الأسرية يدفع الفرد إلى العمل وتوجه نشاطه، وتعمل على حفظ نشاطات الأفراد، وبقائها موحدة ومتناسقة، وصيانتها من التناقض والاضطراب.

ومن الآثار المترتبة على الاهتمام بالقضايا الأسرية أنه يحفظ للمجتمع بقاءه واستمراريته وتماسكه، فتحدد له الأهداف ومُثُلُه العليا، ومبادئه الثابتة والمستمرة. ومن الآثار المترتبة على الاهتمام بالقضايا الأسرية أنه يقي المجتمع من الأنانيات المفرطة والنزاعات، والأهواء والشهوات الطائشة، التي تضرب في عمق وحدته. وفيما يلي الآثار الدعوية المترتبة على هذا الاهتمام:

- تعزيز القيم الإسلامية في المجتمع، الأسرة كانت الأساس التي يغرس في الدين والقيم الإسلامية، وقد شجع الأمويون على تربية الأبناء على المبادئ الإسلامية مثل الطاعة والعدل والتسامح. وهكذا وجود أسرة مستقرة متمسكة بالقيم الإسلامية قدم صورة إيجابية عن الإسلام والمسلمين في المناطق المفتوحة، فكان تأثير القبائل المحلية في بلاد ما وراء النهر بأخلاق العائلات المسلمة وإدخالهم في الإسلام تأثير أسرة مستقرة متمسكة بالقيم الإسلامية.

- الاستقرار المجتمعي ونشر الدعوة، الاهتمام بالقضايا الأسرة ساعد في تقليل النزاعات والانحرافات داخل المجتمع، مما خلق بيئة مستقرة ومواتية للدعوة. والاستقرار الأسري مكن الدعوة من التركيز على نشر الإسلام خاصة في المناطق الجديدة. واستقرار المجتمع كان أداة قوية لجذب غير المسلمين للإسلام في بلاد ما وراء النهر، إذ رأوا في المسلمين وحدة أسرية ومجتمعية مفقودة في مجتمعاتهم.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

- دعم التعليم والتربية، شجعت الدولة الأموية الأسر على تعليم أبنائها، بما في ذلك العلوم الشرعية واللغة العربية والتي كانت مفتاحاً لفهم القرآن والسنة. فالأسر المسلمة اهتمت بنقل العلم لأبنائها، ما ساهم في ظهور علماء ومربين دعويين مبارزين. فدعم الأمويين لإنشاء الكتاتيب والمساجد ساهم في تعليم الأجيال الجديدة في الإسلام، وكان هذا سبب لنشر العلوم الإسلامية بين المسلمين الجدد في المناطق المفتوحة مثل خراسان وبلاد ما وراء النهر.
- نشر الإسلام في المناطق المفتوحة، كان اهتمام الدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر بالأسر المسلمة ودعمها بالأمان والتعليم عاملاً مهماً في تثبيت الإسلام ونشره بين السكان المحليين. الدعاة والمسلمون الجدد تأثروا بالقيم الأسرية الإسلامية، ما ساعد في تعزيز دعوتهم للآخرين. فالعائلات المسلمة التي عاشت في المناطق المفتوحة مثل بخارى وسمرقند قدمت نموذجاً عملياً للثقافة الإسلامية، مما ساعد في السكان المحليين للإسلام.

الفصل الثالث

الآثار الدعوية المترتبة في المجال الثقافي

المبحث الأول: الآثار المترتبة على الاهتمام بالمساجد والمدارس

انتشرت الكتابات في العصر الأموي وفي غالب الأحيان كان يتعلم فيها الناشئ مبادئ القراءة والكتابة وبعض سور القرآن وشيئا من الحساب وبعض الأشعار والأمثال، كما كان بعض معلمي الكتابات يعلمون الناشئة أيضا السنن والفرائض والنحو والعروض، وكانوا يؤثرون في تعليم البنات تحفيظهن القرآن الكريم وخاصة سورة النور.⁽⁶⁷⁸⁾

أما المساجد فتعتبر من أقدم مؤسسات التعليم عند المسلمين فهي لم تكن أماكن للعبادة فقط وإنما كانت تعقد فيها حلقات العلم والدراسة، وقد شكلت علوم الشريعة الإسلامية أساس مواد الدراسة في حلقات المساجد خاصة علوم القرآن الكريم كالتفسير والحديث والقرآت والفقه والكلام بالإضافة إلى علوم اللغة والأدب.⁽⁶⁷⁹⁾

أما في العلم والثقافة؛ فقد كان الفتح الإسلامي أكبر حادث علمي، لأنه حمل إلى البلاد التي فتحها علم السماء والأرض، فحرر عقولها بالتوحيد، وأعتقها من عبودية الأحجار والأشجار، والنيران والأخشاب، والقسس والأشراف.

(678) أبو عثمان عمر بن بحر الكيناني البصري، المعروف بالجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة الجانخي، القاهرة، ط: 7، 1998م (2/ 180). وانظر: أحمد أمين، ضحي الإسلام، المكتبة العصرية - بيروت، ط: 1، 2006م (2/ 42)

(679) محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب العربي، الإمارات العربية المتحدة - ط: 1، 2000م، (ص/ 136)

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

ثم وضع في أيديها القرآن الذي يأمر بالتفكر في خلق السموات والأرض، ويحفز إلى البحث والنظر والاستدلال، والسنة التي ترغب في العلم وتدعو إليه، وتجعل طلبه فريضة على كل مسلم؛ وكان الفاتحون أنفسهم علماء فما إن فرغوا من الحروب حتى وضعوا السيف وحملوا القلم، وألقوا الدروع وأخذوا الكتب، وجلسوا في المساجد يدرسون ويقرؤون ويبحثون، فكان من تلاميذهم المفسرون والمحدثون، والفقهاء والأصوليون، والأدباء، والنحويون، والقصاص والمؤرخون، والفلاسفة والباحثون، والأطباء والفلكيون.

فكان من ثمرة الفتح أن هذه البلاد الأعجمية التي كانت تنن في ظلام الجهل والظلم لم تلبث أن ظهر منها علماء فحول، كان لهم الفضل على العقل البشري، ولا تزال أسماؤها خالدة، تضيء في جبين الدهر.

فالاهتمام بالمساجد والمدارس في عصر الدولة الأموية لا سيما في بلاد ما وراء النهر كان له أثر دعوي كبير على نشر الإسلام وترسيخ تعاليمه، بالإضافة إلى تعزيز الهوية الإسلامية بين المسلمين، سواء في المناطق المفتوحة حديثاً أو داخل الدولة الإسلامية نفسها، فما يلي أبرز الآثار الدعوية المترتبة على هذا الاهتمام:

- نشر التعليم الشرعي، المساجد والمدارس كانت مراكز أساسية لتعليم القرآن الكريم، والحديث النبوية والفقه الإسلامي. فإنشاء هذه المؤسسات ساعد على تعليم المسلمين الجدد أصول الإسلام وشعائره مما عزز من إيمانهم والتزامهم الديني. والأثر الدعوي في هذا الاهتمام هو انتشار العلوم الشرعية أدى إلى فهم أعمق لتعاليم الإسلام مما جعل المسلمين الجدد أكثر قدرة على الدعوة إلى الإسلام بأنفسهم. والجدير بالذكر أن هذه المؤسسات لم تكن مجرد أماكن للعبادة والتعليم، بل مراكز اجتماعية وثقافية لتعزيز الروابط مع السكان المحليين.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

- تعزيز اللغة العربية، ربط التعليم في المساجد والمدارس باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والسنة. سعدت هذه المؤسسات على تعريب الشعوب المفتوحة، مثل سكان بلاد ما وراء النهر مما قربهم من الإسلام وثقافتهم. فالأثر الدعوي واضح في هذا الأمر بأن تعريب السكان المحليين ساهم في تقريبهم من الدين وجعلهم جزءاً من المجتمع الإسلامي، فالمثال البارز فيه تعريب الدواوين والتعليم في بلاد ما وراء النهر كان له أثر في انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية.
- إعداد العلماء والدعاة، المساجد والمدارس في عصر الأمويين كانت مراكز لتخريج العلماء الذين حملوا رسالة الإسلام ونشروها في مناطق متعددة. دعم الدولة لهؤلاء العلماء ساعد على توجيه الجهود الدعوية نحو الشعوب المفتوحة حديثاً. فظهر مئات العلماء في مناطق بلاد ما وراء النهر وما حولها خير أمثلة دعوية، الذين تربوا في هذه المؤسسات.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الاهتمام بالترجمة والتعريب

الاهتمام بالترجمة والتعريب في العصر الأموي، لاسيما في بلاد ما وراء النهر، كان له دور بارز في دعم الدعوة الإسلامية وتعزيز انتشار الإسلام شكّل هذا الاهتمام جزءاً من استراتيجية متكاملة لنقل العلوم والمعارف إلى الدولة الإسلامية وربط الشعوب المختلفة بالحضارة الإسلامية، ولعل من أبرز الآثار الإيجابية للنقل والترجمة الآتي:

- نشر تعاليم الإسلام، من خلال ترجمة النصوص الدينية والشروحات المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية إلى لغات الشعوب المفتوحة، أصبح فهم الإسلام أيسر على غير العرب. تم تعريب المصطلحات الدينية وتبسيطها ليمكن أهل بلاد ما وراء النهر من استيعاب العقيدة والشرعة. فالأمر الدعوي فيه أنه ساعد ذلك في تقريب تعاليم الإسلام إلى قلوب غير العرب، مثل سكان بلاد بخارى وسمرقند. فأدى هذا إلى دخول الكثير من السكان في الإسلام بعدما فهموا مبادئه بلغتهم الأم.
- تيسير العلوم الشرعية ونقلها، بفضل الترجمة، تم نقل وتدوين العلوم الشرعية كالفقه والتفسير، مما مكّن العلماء والدعاة من تعليم السكان الجدد أمور دينهم. فالترجمة كانت أداة لنقل الفكر الإسلامي الصحيح والتصدي للمفاهيم المغلوطة. فإعداد طبقة من العلماء المحليين في بلاد ما وراء النهر الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية بعد تعلمهم العلوم الشرعية، وجهود العلماء الذين تلقوا علوم الدين عن التابعين والدعاة العرب الأوائل في تلك المناطق.
- نشر الثقافة الإسلامية بين الشعوب المفتوحة، أسهمت الترجمة في نقل المعارف والعلوم من الحضارات الأخرى، مثل الفارسية والهندية، إلى اللغة العربية، ما أظهر الإسلام كدين علم ومعرفة، هذا الاهتمام دفع سكان بلاد ما وراء

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

النهر وغيرهم إلى احترام الإسلام والانضمام إلى الحضارة الإسلامية، وجذب غير المسلمين إلى الإسلام بسبب انبهارهم بمكانة العلم والثقافة في الحضارة الإسلامية. فترجمة الكتب العلمية والطبية الهندية واليونانية، والفارسية حفّز غير المسلمين على الانفتاح على الإسلام.

• قيام حضارة إسلامية راقية، جمعت بين العلوم النقلية والعقلية، بعد تخطي مرحلتي الأخذ والتأمل، مما أكسبها طابع الديمومة والتميز عن الحضارات السابقة واللاحقة. وقد ساعد النقل والترجمة على بروز الاتجاه العقلي بوضوح في أفكار المسلمين، وكانت حركة النقل والترجمة "القوة الدافعة للمذهب العقلي".⁽⁶⁸⁰⁾

• الاستفادة من علوم الشعوب الأخرى لخدمة الإسلام، اهتمت الدولة الأموية لا سيما في بلاد ما وراء النهر بترجمة العلوم والمعارف من حضارات أخرى، مثل الطب والفلك والرياضيات، والاستفادة منها في خدمة المجتمع الإسلامي. العلماء المسلمون أعادوا صياغة هذه العلوم بما يتوافق مع تعاليم الإسلام. فالترجمة من التركية والفارسية كانت عاملاً مؤثراً في ترسيخ الإسلام في آسيا الوسطى.

• اتّسع اللغة العربية، اتسعت بالمصطلحات العلميّة، والتعبيرات الفلسفيّة، التي انتقلت إلى العالم مع انتقال نتاج الحضارة الإسلامية إلى اللغات الأخرى، وانتشرت اللغة كذلك، لقابليتها للانتشار، وقدرتها على استيعاب المعارف

(680) انظر: عامر النجار: حركة الترجمة وأهم أعلامها في العصر العباسي - القاهرة: دار المعارف،

1993م - (ص/ 14).

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

والعلوم⁽⁶⁸¹⁾ عندما أصبحت هي اللغة العلمية.⁽⁶⁸²⁾

(681) شحادة الخوري، حنين بن إسحق، أحد بناء النهضة العلمية في العصر العباسي-التعريب؛ (ص/ 146).

(682) فاضل محمد الحسيني: أثر الترجمة في رفد الحضارة العربية الإسلامية-تاريخ العرب والعالم؛ (ص/ 44-60).

تميز القرن الثاني للهجري بتمايز العلوم بعضها عن بعض إضافة إلى اتجاه المسلمين إلى التدوين والتصنيف وترتيب مسائل العلم وتميز كل علم عن غيره، كما وضعوا إلى جانب ذلك علوماً أخرى كعلم اللغة والنحو وعلم الحديث والعروض والأدب والتاريخ وقد تجاوزوا هذه المرحلة وذلك بترجمة العلوم الأجنبية، كما تميز هذا العصر بظهور الكثير من العلماء المجتهدين الذين دونت مذاهبهم وقلدت أراؤهم واعترف لهم بالإمامة والزعامة الفقهية فأصبحوا هم القادة والقدوة.

كما لعب الخلفاء دوراً هاماً في دفع هذه الحركة العلمية وبناء دولة قوية فغربوا العلماء وشجعوا على ترجمة العلوم وكانت مجالسهم عامرة بالعلماء والفقهاء واقتدى بهم في ذلك الولاة الذين حذو حذوهم وهذا ما شوهده في المؤسسات العلمية التي كانت تعج بالعلماء والطلبة.

ثم الحركة العلمية التي بدأت في عهد الأمويين لها دور واضح في تحديثها وانتشارها في زمن بني العباس، ومن أبرز الأعمال التي دفعت الحركة العلمية لتقدم تدوين شتى العلوم ونقلها للغة المشرقية، ليتمكن العرب من الاطلاع عليها بكل سهولة ويسر، ولن ننسى دور الفتوحات حيث ساعدت على التعرف على قبائل أعجمية والاندماج معهم والاستفادة من حضارتهم وعلومهم.

وقد برز الازدهار العلمي في ذاك الوقت في مجال العلوم الإسلامية واللغوية وكذلك التاريخ والطب وعرف عن الخلفاء الأمويين ولعهم بالأدب بجميع أشكاله وخصوصاً الكلام المنظوم، ونوع ذلك إلى النزعة المشرقية القديمة التي عرفوا بها

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

ونرى منهم من يتوجه إلى دعم العلوم المختلفة كالفلسفة والطب وغيرها أمثال خالد بن معاوية وكذلك عمر بن عبد العزيز الذي ساند الحركة الدينية.

كما قد ساهمت حركة الترجمة في إثراء الحركة العلمية في العالم الإسلامي وازدهارها وذلك من خلال ما نقل العلوم اللغات القديمة إلى اللغة العربية، حيث كان للخلفاء دور بارز في هذه الحركة وتدعيمها كتشجيع العلماء والمترجمين والعمل على إستجلاب الكتب وترجمتها، كما كان لبعض الأسر وذوي النفوذ بالغ الأثر فيها.

هذا، وقد احتضنت الحركة العلمية في مسيرتها الطيبة ميادين أخرى ذات أهمية قصوى نالت محل العناية والإقبال كذلك في تلك الحقبة مثل: السيرة والأنساب والمغازي دليلاً على مدى حركة علمية ناشطة، وكان للدولة الأموية في ذلك - بعد الله - فضل عظيم ودور حاسم في ترقية العلم وأهله.

وختاماً لما سبق يتضح أن المؤسسات العلمية في القرن الثاني انتشرت بشكل واسع وتنوعت بداية من المساجد والكتاتيب وصولاً إلى المدارس وانعكس انتشارها إيجاباً على الحركة العلمية التي ازدهرت ونشطت واعتني بها من طرف الخلفاء والولاة الأمويين فأصبحت بغداد في العصر العباسي حاضرة علمية تعج بالعلم والعلماء وهذا ما ساهم بقوة تطور الحياة العلمي في العالم الإسلامي عموماً من خلال رحلة العلماء وطلبة العلم.

ومن الجدير بالذكر أن نقول بأن أحد الأسباب التي تحول دون اهتمام بعض القضايا - ومنها الحركة العلمية أو الاهتمام بالمصنفات - بصورة مجدية هو ببساطة عدم كفاية المعلومات المتوافرة لدينا، ورغم أن اهتمام الدولة الأموية بالمجال العلمي

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

في بلاد ما وراء النهر لم تظهر آثاره بوضوح في عصرهم، إلا أن هذا الاهتمام أرسى الأسس التي ازدهرت في العصر العباسي، حيث تجلت نتائجه بشكل لافت.

الخاتمة

أولاً: أهم النتائج

توصل الباحث إلى مجموعة من الاستنتاجات المهمة، وهي كما يأتي :

- 1 - الفتوحات كمدخل للدعوة الإسلامية، حيث أثبتت أن الفتوحات العسكرية في بلاد ما وراء النهر كانت تُدار بحنكة سياسية ودعوية، حيث اعتمدت على التسامح الديني وتعزيز العدل، مما مهد لقبول الإسلام لدى السكان المحليين.
- 2 - توصيف كامل لمناطق بلاد ما وراء النهر جغرافياً وأهم المدن التابعة لهذا الإقليم المهم استراتيجياً.
- 3 - بيان أهمية هذا الإقليم بعد أن تصدرت مدنه دور الريادة في العلوم والمعارف وما أخرجته من علماء كان لهم الأثر الكبير في تاريخ الدولة الإسلامية بشكل عام.
- 4 - التفاعل مع طبقات المجتمع لتحفيز التحول الثقافي والديني، حيث ركزت الدولة الأموية على إدماج جميع طبقات المجتمع، بما في ذلك النخب العلمية والقبائل المحلية، من خلال توفير الحقوق والفرص المتساوية، مما ساهم في نشر قيم الإسلام بشكل تدريجي.
- 5 - أن مكونات البيئة الاجتماعية - من أسرة ومجتمع - هي الميدان الأول للدعوة وأن صلاح البيئة الاجتماعية له آثار معينة على الدعوة، وعناد البيئات الاجتماعية له آثار معيقة على الدعوة.
- 6 - مكافحة الفقر وتحسين الصحة كوسائل دعوية، فأظهرت الدراسة أن جهود الدولة الأموية في محاربة الفقر وتقديم الخدمات الصحية كانت جزءاً من الجهود الدعوية، حيث عززت ثقة السكان في النظام الإسلامي وقيمة الرحمة.

- 7- إحياء الحركة الثقافية لتعزيز الدعوة، تبين أن جهود الترجمة والتعريب إلى جانب تشجيع التأليف، لم تقتصر على تعزيز العلوم، بل استخدمت لنقل تعاليم الإسلام بلغة السكان المحليين، مما ساهم في نشر الدين وتعزيز مكان اللغة العربية.
- 8- تنوع الوسائل والأساليب، كشفت الدراسة عن تنوع الوسائل بين التعليم، الخطابة، بناء المساجد والتواصل المباشر مع السكان، مع أساليب تميزت بالتدرج والترغيب، مما أدى إلى انتشار الإسلام بطريقة سلمية ومستدامة.
- 9- أن وسائل وأساليب الدعوة تختلف باختلاف حالات البيئة الاجتماعية والاقتصادية، والاجتماعية والعلمية.
- 10- التأثير الأسري على المدعوين، كشفت الدراسة بأن الأسرة تتأثر المدعوين، أو المجتمع بالوسط الذي يعيشون فيه، وظهور ذلك في مدى قبولهم للدعوة.
- 11- التعريف بالأثر المهم للقبائل العربية التي استقرت في خراسان وبلاد ما وراء النهر وما قامت به هذه القبائل من نشر اللغة العربية والإسلام في هذه المناطق البعيدة عن مركز الدولة الإسلامية.
- 12- توضيح أثر العلماء العرب في ردف الحضارة الإسلامية بشتى العلوم والمعارف في تلك المناطق البعيدة من خلال ما قدموه من علوم كثيرة.
- 13- إبراز الأثر البالغ الذي قام به العرب في تلك البقاع بعد استقراء مهمتهم في اندماج الحضارة العربية الإسلامية مع حضارة سكان بلاد ما وراء النهر الأصليين وإخراج المثال الشاخص للحضارة الإسلامية وطبيعة هذا التمازج والاندماج.

ثانيا: التوصيات

بالنظر إلى نتائج الدراسة، يمكن تقديم التوصيات التالية:

- 1 - تعزيز الدراسات المقارنة حول الجهود الدعوية بين الدول الإسلامية، يوصي بإجراء دراسات مقارنة بين الجهود الدولة الأموية والدول الإسلامية الأخرى في نشر الإسلام، للاستفادة من التجارب المختلفة في تطوير أساليب دعوية.
- 2 - إبراز الجوانب الإنسانية في الدعوة الإسلامية، يوصي بالتركيز على الجوانب الإنسانية مثل مكافحة الفقر وتحسين الصحة، التي استخدمتها الدولة الأموية، في الخطاب الدعوي المعاصر لإبراز شمولية الإسلام وقيمه الرحيمة.
- 3 - إعادة قراءة التراث الثقافي الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، يوصي بدراسة عميقة لحركة الترجمة والتعريب والآثار الثقافية للأمويين في تلك المنطقة، وتسليط الضوء على دورها في توطيد القيم الإسلامية ونشر العلوم.
- 4 - الاستفادة من أساليب التدرج والترغيب في الدعوة الحديثة، يوصي بتطوير وسائل دعوية حديثة تستفيد من أساليب التدرج والترغيب التي استخدمتها الدولة الأموية، مع مراعاة السياقات الاجتماعية والثقافية المختلفة.
- 5 - الاستثمار في البحوث حول أثر الفتوحات على الدعوة، يوصي بإجراء بحوث موسعة حول كيفية توظيف الفتوحات كوسيلة دعوية سلمية تُبرز عدالة الإسلام وتسامحه، لإزالة الالتباسات التاريخية المتعلقة بانتشار الإسلام.
- 6 - إعطاء الدراسات الدعوية لعناصر البيئة الاجتماعية، الأسرة، المجتمع، المؤسسات الاجتماعية المختلفة (المدرسة، المسجد، الإعلام، ... إلخ) - أهمية؛ لكونها تلامس واقع المجتمع.

7- الاستفادة من وسائل الإعلام، يوصي بإجراء بحوث عميقة بالاستفادة من وسائل الإعلام والتقنية الحديثة للرد على الشبهات والشهوات، التي يثيرها أعداء الدعوة.

8- توصي الدراسة بتكثيف الجهود في كشف خفايا الغزو الأخلاقي والفكري الذي يستهدف أفراد الأمة، من خلال إجراء دراسات معمقة تُبرز أبعاده وآثاره السلبية، والعمل على توعية المجتمعات بمخاطره، ووضع استراتيجيات فعالة لحماية الهوية الإسلامية والقيم الأخلاقية من تأثيراته.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

- (أ)وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^ط
- (أ)رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
- (د)وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا^ج
- (هـ)يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ^ط
- (38)أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ^ط
- (38)لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ^ط
- (41)يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
- (41)أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
- (42)فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ^ط
- (42)وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ
- (42)لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
- (43)وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
- (48)رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
- (48)إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ^ط
- (48)إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا
- (49)فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ
- (49)مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ

- (49)فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ
- (51)فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
- (51)أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا
- (52)يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
- (52)وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
- (53)وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً
- (53)وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً
- (53)الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ
- (63)يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
- (76)وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ
- (83)وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ
- (92)مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ
- (94)وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ
- (97)وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ
- (97)وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
- (102)الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
- (102)قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ
- (103)وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ

الْجُهْدُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

- (103) قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا
- (103) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
- (104) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ
- (111) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
- (113) قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
- (127) أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
- (145) إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
- (147) يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
- (147) وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
- (150) قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
- (152) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
- (153) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا
- (153) إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
- (154) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ
- (155) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ
- (157) وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى
- (157) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
- (157) وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ

الْجُهُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

- (162) قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.
- (163) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ^ص.
- (164) لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ.
- (167) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ.
- (171) وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا.
- (206) فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ.
- (253) إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ.
- (255) مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ.
- (259) وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ.

فهرس الأحاديث النبوية

1. لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ.....(أ)
2. مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ.....(أ)
3. أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي..... (83)
4. إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ..... (86)
5. وَإِذَا أَنْتَ لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثٍ..... (98)
6. أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ..... (114)
7. أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ..... (144)
8. نِعَمَ الْمَالِ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ..... (146)
9. كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا..... (146)
10. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ..... (147)
11. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ..... (147)
12. إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرَوْجُوهُ..... (151)
13. مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ..... (153)
14. مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَاعِي غَنَمٍ..... (154)
15. فَأَعْلِمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ..... (154)
16. بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ..... (156)
17. مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً، فَهِيَ لَهُ..... (157)
18. مَنْ عَمَّرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا..... (157)

الْجُھُودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

19. خُذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءٌ..... (170)
20. لَا يَقْضِينَ حَكْمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانُ..... (170)
21. لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ..... (171)
22. مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً..... (176)
23. مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا..... (177)
24. مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ..... (179)
25. اجْعَلُوهُ فِي خِيَمَةِ رَفِيدَةٍ حَتَّى أَعُوذَهُ مِنْ قَرِيبٍ..... (185)
26. يَمِيطُهُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ..... (195)

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

كتب المصادر والمراجع:

1. آ.آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة وتحقيق: عبد الهادي عبله، أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، 1985م.
2. آ.بلنيتسكي (الروسي)، خراسان وما وراء النهر، ترجمه إلى الفارسية: برويز ورجاوند، مؤسسة المطالعة وتحقيق الثقافة-تهران.
3. إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الدار العالمية 2003م.
4. إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي الشهير بابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المطبعة الأميرية الكبرى 1309هـ.
5. إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
6. ابن النديم محمد بن اسحاق، الفهرست، محقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة-بيروت، الطبعة الثانية 1417هـ-1997م.
7. ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2000م.
8. ابن جليل أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي-القاهرة، الطبعة الثانية، 1347هـ/ 1955م.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

9. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري،
جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت،
الطبعة الأولى: 1403هـ / 1983م.

10. ابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي
المعروف بابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت -
1983م.

11. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي
الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب
والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، تحقيق: خليل
شحادة، دار الفكر-بيروت، الطبعة الثانية 1408هـ / 1988م.

12. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان
البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان
عباس، دار صادر-بيروت 1994م.

13. ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري
(ت ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم،
مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت 1397هـ.

14. ابن رجب البغدادي الدمشقي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق:
أبو معاذ طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي-السعودية، الطبعة الثانية،
1422هـ / 2003م.

15. ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية-القاهرة،
1343هـ / 1925م.

16. ابن قيم الجوزية، جمعها: صالح أحمد الشامي، مواعظ الإمام الشافعي.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

17. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية-بيروت 1411هـ/ 1991م.
18. ابن ماجة القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وغيرهم. دار الرسالة العالمية، ط / 1، 1430هـ، 2009م.
19. ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار احياء التراث العربي-بيروت 1996م
20. أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (ت ٣٤٦هـ)، المسالك والممالك، دار صادر-بيروت.
21. أبو الحارث محمد بن أحمد الفريغون، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمة: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 1423 هـ.
22. أبو الحسن بخشل، أسلم بن سهل بن حبيب الرزاز الواسطي، تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، عالم الكتب-بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ.
23. أبو الحسن علاء الدين علي البعلي الحنبلي المقرئ، قواعد المقرئ (القواعد)، تحقيق: أحمد بن عبد الله بن حميد، دار الكتب العلمية-بيروت 1403هـ.
24. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي-القاهرة.
25. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، دار الحديث - القاهرة.
26. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، مجمل اللغة لابن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة-بيروت، 1406هـ / 1986م.
27. أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراقي (ت ٦٨٤هـ)، الفروق=أنوار البروق في أنواء الفروق، عالم الكتب.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

28. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)،

الملل والنحل، مؤسسة الحلبي.

29. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت

٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة

الأولى 1408هـ / 1988م.

30. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤

هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية-

بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ.

31. أبو الفرج شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن قدامة (ت 682هـ)، الشرح

الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي.

32. أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي (ت 337هـ)، الخراج وصناعة

الكتابة، دار الرشيد، بغداد، الطبعة الأولى 1981م.

33. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى :

٨٥٢هـ)، الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني

المدني، دار المعرفة-بيروت.

34. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت

٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى

محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ.

35. أبو الفضل البيهقي، تاريخ البيهقي، ترجمه إلى العربية: يحيى الخشاب،

صادق نشأت، مكتبة الانجلو المصرية.

36. أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت نحو ٢٨٠هـ)،

المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن-بيروت ١٨٨٩م.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

37. أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي، تقريب الوصول إلى علم الوصول، تحقيق: محمد علي فركوس، الطبعة الأولى، مطابع سجل العرب - دار الأقصى 1410 هـ.
38. أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت 741 هـ)، القوانين الفقهية.
39. أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت 874 هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب - مصر.
40. أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463 هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى 1422 هـ / 2002 م.
41. أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، الحاوي في الطب، تحقيق: هشام خليفة طميمي، دار أحياء التراث العربي، ط - 1، لبنان بيروت، 1422 هـ / 2002 م.
42. أبو جنيبة أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1960 م.
43. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505 هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت.
44. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت.
45. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676 هـ)، المجموع شرح المذهب، دار الفكر.
46. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676 هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية 1392 هـ.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

47. أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان القرشي بالولاء، الكوفي الأحول (ت ٢٠٣هـ)، الخراج، تحقيق: حسين مؤنس، الطبعة الأولى: 1987م، دار الشروق-بيروت.

48. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال.

49. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب-التفسير الكبير، (تفسير الرازي)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.

50. أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية 1384هـ/ 1964م.

51. أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ)، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر-بيروت.

52. أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر-بيروت.

53. أبو عروبة الحسين بن محمد بن مودود الحراني، كتاب الأوائل، مشعل بن باني الجبرين المطيري، دار ابن حزم-بيروت، ط-1، 1424هـ/ 2003م.

54. أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن سالم، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ.

55. أبو عمر شهاب الدين أحمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: 1404هـ.

56. أبو محمد أحمد الكوفي المعروف بابن أعثم: كتاب الفتوح، مطبعة دائرة

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

- المعارف العثمانية، حيدر ر آباد الدكن، 1392هـ / 1972م.
57. أبو محمد جمال الدين، عبد الملك بن هشام أيوب الحميري المعافري، ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وغيرهم، الطبعة الثانية: 1375هـ - 1955م.
58. أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت/ 620 هـ)، المغني، تحقيق: طه الزيني وغيرهم، مكتبة القاهرة- 1388هـ، 1968م.
59. أبو محمد علي بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، 1403هـ / 1983م.
60. أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، 1407هـ / 1987م.
61. أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط- 4، 1407هـ / 1987م، (3 / 978).
62. أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت 430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، 1394هـ - 1974م.
63. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو 395هـ)، الأوائل، دار البشير- طنطا، الطبعة الأولى، 1408هـ.
64. أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الأنصاري (المتوفى : 182هـ)، الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث.
65. أبي الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب و معادن الجواهر، دار الكتاب العربي- بيروت 2004م، والمكتبة العصرية- بيروت.

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

66. أبي عبد الله محمد بن عبدوش الجهشياري، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده-القاهرة، الطبعة الأولى 1357هـ/ 1938م.
67. أبي علي أحمد بن عمر/ ابن رسته، الأعلام النفسية، دار الكتب العلمية-بيروت 1998م.
68. أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، الطبعة الأولى 1411هـ-1991م.
69. أبي منصور عبد الملك بن محمد اسماعيل الثعالبي، لطائف المعارف، طبعة 1867م.
70. أحمد أمين، ضحى الإسلام، المكتبة العصرية-بيروت، الطبعة الأولى، 2006م.
71. أحمد أمين، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي، 1928م.
72. أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت بعد 292هـ)، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ.
73. أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة، الطبعة الأولى: 1423هـ.
74. أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ.
75. أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الأعشى، دار الكتب العلمية-بيروت.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

76. أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت ٨٢١هـ)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، مطبعة حكومة الكويت- الكويت، 1405هـ / 1985م.

77. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة-بيروت 1379م.

78. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري- دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت.

79. أحمد بن فضلان، رسالة ابن فضلان (رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، دار السويدي، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2003م.

80. أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر-بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ / 1996م.

81. أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي-أبوظبي، الطبعة الأولى 1423هـ.

82. أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي-أبوظبي، الطبعة الأولى 1423هـ.

83. أحمد حسنين القرني، قصة الطب عند العرب، دار الكتب المصرية، 2018م. (ص:1)

84. أحمد رائف، مستقبل الإسلام في روسيا وما وراء النهر. الزهراء للإعلام العربي، 1414هـ / 1994م.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

85. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان- بيروت : دار الفكر ، 1415 هـ.

86. أحمد عبدالرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي- القاهرة، 1411 هـ/ 1991 م.

87. أحمد عيسى بك (ت 1365 هـ)، تاريخ البيمارستانات الإسلامية، دار الرائد العربي- بيروت، الطبعة الثانية 1401 هـ/ 1981 م.

88. أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون، مكتبة دار الكتب المصرية- القاهرة.

89. آدم منز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريذة، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الخامسة.

90. أرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمه: يحيى الخشاب و عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية.

91. أرمنيوس فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: محمود أحمد السادتي، مكتبة نهضة الشرق - جامعة القاهرة 1987 م.

92. إسماعيل مظهر، تاريخ تطور الفكر العربي بالترجمة النقل عن اليونان.

93. أمجد بوهميل بورخازكا، خوارزم الحضارة المنسية لمنطقة ما بين بحري قزوين وآرال، منطقة العواصم والمدن الإسلامية، جدة- 1991 م.

94. أمين عبد المجيد بدوي، القصة في الأدب الفارسي، دار الثقافة 1960 م.

95. أنور الجندي، بماذا انتصر المسلمون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1403 هـ/ 1983 م.

96. اورنكزيب ارشاد، معرفة أفغانستان (د افغانستان پيژندنه)

97. أوقطاي أسلام آبا، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة: أحمد محمد عيسى،

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

مطبعة رنكلر - استنبول، 1407هـ - 1987م.

98. أيرين فرانك و ديويد براونستون، طريق الحرير، ترجمه: أحمد محمود.
99. بسام العسلي، قادة فتح بلاد الشام والعراق (قتيبة بن مسلم)، دار النفائس - بيروت، الطبعة الأولى 1433هـ / 2012م.
100. بشير صالح الرشدي، إبراهيم محمد الخليفي، سيكولوجية الأسرة والوالدية.
101. بشير صالح الرشدي، إبراهيم محمد الخليفي، سيكولوجية الأسرة والوالدية، الكويت: ذات السلاسل، 1417هـ.
102. بشير صالح الرشدي، إبراهيم محمد الخليفي، سيكولوجية الأسرة والوالدية، ص 282.
103. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت 279هـ)، فتوح البلدان، مكتبة الهلال - بيروت 1988م.
104. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، الآثار الباقية في القرون الخالية، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة الأولى 1428هـ / 2008م.
105. التدرج في دعوة النبي.
106. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ / 1987م.
107. تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، رسالة في النقود الإسلامية، دار الزهراء للإعلام العربي 1988م.
108. توفيق سلطان اليوزبكي: تاريخ أهل الذمة في العراق، دار العلوم، الطبعة الأولى 1403هـ / 1983م.
109. توفيق سلطان اليوزبكي، التعريب في العصري الأموي، مجلة آداب الرافدين،

110. جاي ونت، أضواء على آسيا، ترجمة روفائيل جرجس، سلسلة الألف كتاب العدد (308)، الإنجاز المصرية، القاهرة.

111. جب Gibb، غزوات الرسول في آسيا الوسطى، (The Arab conquest in central Asia).

112. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، 1426هـ/2005م.

113. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ/1992م.

114. جمشيد يوسف، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع - مكتبة زين الحقوقية والادبية، الطبعة الأولى 2012م.

115. جميل عبد الله محمد المصري، أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة-كلية الدعوة وأصول الدين، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة.

116. جهاد عزت عبد الله، دور العرب الحضاري في سمرقند من الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جامعة بغداد-كلية الآداب قسم التاريخ 1985م.

117. جيمس هنري بريستد، الأستاذ بجامعة شيكاغو ورائد علم المصريات في أمريكا، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ترجمه: أحمد فخري، المركز القومي للترجمة 1809م.

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

118. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل-بيروت، الطبعة الرابعة عشرة 1416هـ/ 1996م.
119. حسن أحمد محمود، الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972م.
120. حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، 1998م.
121. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية-القاهرة 1989م.
122. الحسن بن أحمد المهلبى العزيزي (ت 380هـ)، المسالك والممالك.
123. حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمه: محمد نور الدين عبد المنعم، محمد السباعي، المركز القومي للترجمة-القاهرة، الطبعة الأولى 2013م.
124. حسن مصطفى عبد المعطى، الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة-القاهرة، دار القاهرة، 1421 هـ.
125. حسني محمد إبراهيم غيطاس، الدعوة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، المكتب الإسلامي - 1985م.
126. حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت 1978م.
127. حصة صباح السالم الصباح، (مشرفة) العلوم عند المسلمين - ط 3 - الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1990م.
128. حورية توفيق مجاهد، الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، الطبعة السادسة، مكتبة الإنجلو المصرية-القاهرة، 2013م.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

129. حيدر بامات، مجالي الإسلام، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، طبع بدار أحياء الكتب العربية، 1956م.

130. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر 2002م.

131. د. طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبَيَّْة، موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات - القاهرة.

132. الدكتور عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف.

133. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (ت: 748 هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1405 هـ / 1985م

134. راجع للأدلة والبراهين حول الطب في عهد الرسول [:صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث-القاهرة، 1421 هـ / 2000م.

135. زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي.

136. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهذاية.

137. زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: 682 هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر - بيروت.

138. زيغريد هونكة شمس، العرب تستطيع على الغرب، دار صادر-بيروت 1964م.

139. سعد زغلول، الإسلام والترك، وهي مقال في مجلة المختار التي تنشر من عالم الفكر -درسات إسلامية- وزارة الإعلام-الكويت، 1984م.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

140. سعيد نفيسي، نشأة وتاريخ حياة الشاعر الرودكي وأشعاره (محيط زندگی و احوال و اشعار رودکی).

141. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد. دار الحرمين-القاهرة.

142. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، الطبعة الثانية.

143. سمية محمد علي حجازي، تنظيم الإسلام للعلاقات الاجتماعية في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لجامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة بمكة المكرمة، 1406هـ.

144. سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية-بيروت، 1404هـ.

145. السيد أحمد المخزنجي، الأثر السيكولوجي والتربوي لعمل المرأة على شخصية الطفل العربي، مجلة رسالة الخليج، الرياض مكتب التربية العربي لدول الخليج، العدد 34، 1410هـ.

146. سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمه: رياض رافت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر-القاهرة 1938م.

147. سيد رضوان علي، العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية - الرياض: دار المريخ، (1407هـ - 1987م).

148. سير توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمه: حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية 1971م.

149. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)،

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين، مطبعة السعادة-مصر، 1371هـ/ 1952م.

150. شادية التل وشافي بن سفر الهاجري، وآخرون، التفكك الأسري دعوة للمراجعة، قطر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، سلسلة كتاب الأمة، العدد 85، 1422هـ.

151. شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، الطبعة الأولى 1988م.

152. شحادة الخوري، الترجمة ومهمتها الحضارية. في: أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب.

153. شحادة علي، تجديد الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، دار الكندي، 1996م.

154. شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، مكتبة المثنى-بغداد 1371هـ/ 1952م.

155. شمس الدين سامي فراشري، قاموس الأعلام، ترجمه: رفع محمود العثماني. مطبعة مهران 1889 م.

156. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر-بيروت، الطبعة الثانية 1995م.

157. شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر-بيروت 1996م.

158. الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي شيخ الربوة المعروف بشيخ حطين، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، الأكاديمية الإمبراطورية الروسية 1281هـ/ 1865م.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

159. الشيخ كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية-بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ / 2004م.
160. صلاح الدين الخالدي، السريان ونقلهم التراث العلمي اليوناني إلى الحضارة العربية، في: أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب.
161. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، باعثناء: محمد الحجيري - فيسبادن (ألمانيا): فرانز شتاينر، 1404هـ / 1984م .
162. صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الشعور بالعمور، تحقيق: عبدالرزاق حسين، دار عمان-الأردن، 1409هـ / 1988م.
163. طارق فتحي سلطان قسم التاريخ / كلية التربية جامعة الموصل، النشاط العمراني في بلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد، مجلة التربية والعلم - المجلد (19)، العدد (5)، لسنة 2012م.
164. طارق فتحي سلطان، النشاط العمراني في بلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد، مجلة التربية والعلم - المجلد (19)، العدد (5)، لسنة 2012م.
165. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، (تفسير الطبري)، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420هـ-2000م.
166. طه باقر، فوزي رشيد و رضا جواد هاشم، تاريخ ايران القديم، مطبعة جامعة بغداد-1990م.
167. عامر النجار، حركة الترجمة وأهم أعلامها في العصر العباسي - القاهرة: دار المعارف، 1993م).
168. عامر النجار، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار الهداية- القاهرة،

1406هـ / 1986م .

169. عبد الحليم عويس، بني أمية بين السقوط والانتحار، الطبعة الأولى، القاهرة
سويرلر للنشر.

170. عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت
١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن
كثير-بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ / 1986م.

171. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الجامع
الصغير وزوائده والجامع الكبير، تحقيق: يوسف النبهاني، دار الفكر-بيروت،
الطبعة الأولى 1423هـ / 2003م.

172. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة (مقدمة ابن خلدون)، تحقيق:
عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، الطبعة الأولى 1425هـ / 2004م.

173. عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الأمالي في آثار الصحابة، تحقيق: مجدي
السيد إبراهيم، مكتبة القرآن-القاهرة.

174. عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف-مصر
1961م.

175. عبد السلام عبد الله الجقندي، التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت
والمدرسة، دار قتيبة- دمشق 1424هـ.

176. عبد الشافي عبد اللطيف، بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار
السلام-مصر 1428هـ.

177. عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي (41 -
132 هـ / 661 - 750 م) - دراسة سياسية، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى،
1429 هـ / 2008 م.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

178. عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف.

179. عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ-1998م.

180. عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة-بيروت، الطبعة الثانية 1977م.

181. عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت ٥٦٢هـ)، الأنساب، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.

182. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة 1423هـ/2002م.

183. عبد الله بن سهل بن مهران العسكري، الأوائل، دار البشير-طنطا، الطبعة الأولى، 1408هـ.

184. عبد الله بن عبد الحكم أبو محمد المصري، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب-بيروت، الطبعة السادسة، 1404هـ/1984م.

185. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

186. عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفّي

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

الدين (ت ٧٣٩هـ)، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل- بيروت 1412هـ.

187. عبد الهادي الفضلي، مشكلة الفقر، دار الزهد-بيروت، الطبعة الرابعة، 1397هـ/ 1977م.

188. عبدالله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-السعودية، الطبعة الأولى 1422هـ..

189. عبدالمنعم ماجد، الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة السابعة 1996م.

190. عثمان موافي، التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري.

191. العز بن عبدالسلام الملقب بسلطان العلماء، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار الكتب العلمية-بروت 1414هـ/ 1991م.

192. علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت 587هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دارالكتب العلمية، الطبعة الثانية 1406هـ/ 1986م.

193. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، دارالكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ/ 1983م.

194. علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (ت 877هـ)، الصراط المستقيم، الطبعة الأولى، مطبعة الحيدري، 1384هـ.

195. علي حسني الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف 1959م.

الجُهود الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

196. علي حسين الشطشاط، الطبيب والمترجم الناقل ثابت بن قرة الحراني.
197. علي محمد الصلابي، خلافة امير المؤمنين عبد الله بن الزبير، مؤسسة اقرأ- القاهرة، الطبعة الأولى 1427هـ/ 2006م.
198. عماد الدين خليل، مؤشرات حول الحضارة الإسلامية - القاهرة: دار الصحوة.
199. عمر بن سليمان العقيلي، تاريخ الدولة الأموية، الجمعية التاريخية السعودية بجامعة الملك سعود، الرياض، 1426هـ.
200. عمر بن سليمان العقيلي، تاريخ الدولة الأموية، الناشر: الجمعية التاريخية السعودية 2022م.
201. عمر فرُّوخ ماهر عبد القادر حسان حلاق، العرب في حضاراتهم وثقافتهم إلى آخر العصر الأموي، دار العلم للملايين - بيروت، 1966م.
202. عمر فرُّوخ ماهر عبد القادر حسان حلاق، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية.
203. عمر فرُّوخ ماهر عبد القادر حسان حلاق، عبقرية العرب في العلم والفلسفة، دار العلم للملايين - بيروت، 1954م.
204. عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال-بيروت 1423هـ.
205. عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال-بيروت، ١٤٢٣هـ.
206. عيسى يوسف الب تكين، قضية تركستان الشرقية، ترجمة: إسماعيل حقي شن كولر، الناشر: السيد عبد الكريم يونس تركستاني، طبعة 1398هـ- 1978م.
207. غزي الهادي حمودة، الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية-

تونس 1976 م.

208. غودفروا ديموبين موريس (ديمومبين)، النظم الإسلامية، ترجمه: فيصل السامر، مطبعة الزهراء 1952 م.

209. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمه: عادل زعير، مؤسسة هنداوي.

210. فارمانيوس فامبري، تاريخ بخارى، ترجمة احمد محمود الساداتي، تقديم يحيى الخشاب، مطابع شركة الاعلانات الشرقية . القاهرة، 1965 م و 1979 م.

211. فاضل محمد الحسيني: أثر الترجمة في رقد الحضارة العربية الإسلامية - تاريخ العرب والعالم.

212. فتحية عبد الفتاح النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار المسيرة- عمان، الطبعة الأولى 1433 هـ/ 2012 م.

213. ف-هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمه: أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1985 م.

214. فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب، دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع، 1950 م.

215. قاسم غني، تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمه: صادق نشأت، مكتبة النهضة المصرية.

216. القاضي الرشيد ابن الزبير، الذخائر والتحف، تحقيق: الدكتور محمد حميد الله، مكتبة الدكتور مروان العطية.

217. قحطان أحمد سليمان الحمداني، الأساس في العلوم السياسية، طبعة دار مجدلوي للنشر والتوزيع- عمان 2004 م.

218. قحطان عبد الستار الحديثي، أرباع خراسان الشهيرة دراسة في أحوالها الجغرافية والإدارية والاقتصادية حتى نهاية الرابع الهجري، البصرة، مطبعة دار

الحكمة، 1990م.

219. قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت 337هـ)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد-بغداد 1981م.

220. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمه نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الخامسة 1968م.

221. كامل محمد محمد عويضة، بوذا والفلسفة البوذية، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: 1414هـ-1994م.

222. الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي (ت 443هـ) زين الأخبار، ترجمه: عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة-القاهرة 2006م.

223. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس و كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1405هـ/ 1985م.

224. لويس معلوف، النجد في اللغة والإعلام، المطبعة الكالوتية-بيروت 1973م.

225. مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الموطأ، مؤسسة زايد-أبوظبي، الطبعة الأولى: 1425هـ/ 2004م.

226. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي-محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية-بيروت 1399هـ/ 1979م.

227. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثامنة، 1426هـ/ 2005م.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

228. مجموعة المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
229. مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الملل والأديان، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.
230. مجير الدين العليمي الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس-عمان، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
231. محمد ابراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني. دار الفكر العربي-القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
232. محمد أحمد محمد، بخارى في صدر الإسلام، دار الفكر العربي ١٩٩٢ م.
233. محمد أمين بن عمر بن عادين الدمشقي، رد المحتار على در المختار، دار الفكر-بيروت، ط-٢، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
234. محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤٠٧ هـ.
235. محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤ هـ.
236. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: دكتور محمد جميل غازي، مطبعة المدني-القاهرة ١٩٦١ م.
237. محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، المبسوط، دار المعرفة-بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
238. محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله البلخي الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبْاطِيَّةٌ

239. محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه،

تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر-بيروت 1414هـ، 1994م.

240. محمد بن عبد الله بن أحمد أبو الوليد الأزرق، أخبار مكة وما جاء فيها من

الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس-بيروت، 1416هـ / 1996م.

241. محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن

بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار

وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي.

242. محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، الفخري في الآداب

السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي-

بيروت، 1418هـ / 1997م.

243. محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله،

الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى

1417هـ / 1997م.

244. محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف

الإدريسي (ت ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب-بيروت،

الطبعة الأولى 1409هـ.

245. محمد بن يوسف الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق:

محمد بن علي بن الحسين الأكوخ الحوالي، مكتبة الإرشاد-صنعاء، الطبعة الثانية

1995م.

246. محمد بيومي خليل، سيكولوجية العلاقات الأسرية، القاهرة: دار قباء،

1420هـ.

247. محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر

العربي.

248. محمد حبش، المسلمون وعلوم الحضارة - دمشق: دار المعرفة، 1992م.
249. محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب العربي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى 2000م.
250. محمد رأفت عثمان، النظام القضائي في الفقه الإسلامي، دار البيان، الطبعة الثانية، 1415هـ / 1994م.
251. محمد ضياء الدين الرئيس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار التراث.
252. محمد ضياء الدين الرئيس، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، الطبعة الثانية، 1969م.
253. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيس لبياني الحلبي ومشاركة للسنة 2.
254. محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس 2000م.
255. محمد عبد الحميد حمد: إسهام الرقة وديار مضر في الترجمة . في: أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب .
256. محمد عبد الحميد حمد، حوار الأمم، (تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان)، دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع - دمشق 2001م.
257. محمد علي البار، أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي.
258. محمد علي قطب، من أبطال الفتح الإسلامي، دار الدعوة، الطبعة الأولى، 1427هـ / 2006م.
259. محمد علي، أصول الاجتماع السياسي: السياسة والمجتمع في العالم الثالث،

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِنْبَاطِيَّةٌ

طبعة دار المعرفة الجامعية-القاهرة.

260. محمد عودة محمد، كمال إبراهيم مرسى، الصحة النفسية في ضوء علم النفس الإسلامي، الكويت : دار القلم، 1406هـ.

261. محمد فؤاد الذاكري، حول كتيب الترجمة - الفيصل ع 246 (ذو الحجة 1417هـ/ أبريل - مايو 1997م).

262. محمد قطب، واقعنا المعاصر، الطبعة الثانية، مؤسسة المدينة للصحافة- جدة، 1408هـ.

263. محمد ماهر حمادة، الكتب والمكتبات في العصر الأموي - المجلة العربية ع 4 - 5 مج 3 (جمادى الآخرة 1399هـ/ أيار (مايو) 1979م).

264. محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية-بيروت، 1388هـ.

265. محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1998م.

266. محمود محمد خطاب السبكي، المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، تحقيق: أمين محمود خطاب، مطبعة الاستقامة-القاهرة، الطبعة الأولى 1351هـ.

267. محي الدين أحمد حسين، التنشئة الأسرية والأبناء الصغار، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1407هـ.

268. مرتضى الزبيدي؛ محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت.

269. مفتاح محمد دياب، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية.

270. مفتاح محمد دياب، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، دار قتيبة

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

للطباعة والنشر، 2003م.

271. المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، 1411 / 1991م
272. المقرئزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئزي (ت ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ.
273. المكتب العالمي للبحوث، الخلافات الزوجية في نظر الإسلام بيروت منشورات دار مكتبة الحياة.
274. ملطبرون، الجغرافية العمومية (جغرافية ملطبرون)، ترجمه: الطهطاوي، طبعة مصر 1916م.
275. منجية منسية: حركة النقل والترجمة حتى العصر العباسي، في: الترجمة ونظرياتها .
276. موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5هـ، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة-المغرب، الطبعة الثالثة 1411هـ/ 1990م.
277. ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية، الطبعة الثالثة، دار الثقافة- بيروت، (1975م).
278. نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2000م.
279. ناصر الأحمد، حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية وأثرهما في الدعوة إلى الله تعالى وانتشار الإسلام، معهد الدعوة الجامعي، بيروت، 1429هـ.

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِنْبَاطِيَّةٍ

280. النظامي العروضي السمرقندي، المقالات الأربع (جهاز مقالته)، مطبعة لجنة التأليف 1949م.

281. نيكيتا إيليسيف، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمه: منصور أبو الحسن، دار الكتاب الحديث - بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ.

282. هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمه: إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين - بيروت 1964م.

283. هدى محمد قناوي، الطفل تنشئته وحاجاته، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية، 1416هـ.

284. و. بارتولد (المستشرق الروسي)، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمه: أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية 1958م.

285. ويليام جيمس وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمه: زكي نجيب محمود، محمد بدران، عبد الحميد يونس، محمد علي أبو درة، فؤاد أندراوس، عبد الرحمن عبد الله شيخ، المنظمة العربية للتربية والثقافة - دار الجيل - بيروت.

286. يحيى محمود ساعاتي، أستاذ مشارك في قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الوقف وبنية المكتبة العربية، استبطان للموروث الثقافي، الطبعة الثانية 1416هـ / 1996م.

287. يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي 2006م.

288. يوليوس فلهوزن (مستشرق ألماني)، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله عن الألمانية: محمد عبد الهادي أبو ريده، راجع الترجمة: حسين مؤنس.

289. Anette Gangler; Heinz Gaube; Attilio Petruccioli

Bukhara–The eastern Dome of Islam (17–12–2003)

C. E. Bosworth The Ghaznavids. Their Empire in .290

Afghanistan and Eastern Iran. Author: Ludwig W. Adamec.

.(Publish: (Edinburgh University Press 1963.

Hans Morgenthau Politics among nations Alfred .291

knopf New York 5th Ed 1975.

Siecle de larousse. 7017 xxe .292

فهرس الموضوعات

أ.....	كلمة الشكر والتقدير
ج.....	المقدمة
1.....	التمهيد
Error! Bookmark not defined.....	نبذة مختصرة لبلاذ ما وراء النهر
1.....	الأول: جغرافية بلاذ ما وراء النهر تاريخ أقاليمها وأديانها
1.....	أولاً: مفهوم بلاذ ما وراء النهر:
3.....	ثانياً: جغرافية بلاذ ما وراء النهر وتاريخ أقاليمها
14.....	ثالثاً: أنهار رئيسية لبلاذ ما وراء النهر
18.....	الثاني: المعتقدات والديانات
22.....	العادات والتقاليد
23.....	القاب ملوك بلاذ ما وراء النهر
25.....	الثالث: الوضع الاقتصادي في بلاذ ما وراء النهر
31.....	الرابع: التركيبة السكانية لبلاذ ما وراء النهر
37.....	الباب الأول.....
	الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاذ ما وراء النهر في المجال السياسي ونشر الإسلام
37.....	والوسائل والأساليب المستخدمة فيها
38.....	الفصل الأول.....
38.....	الجهود الدعوية في المجال السياسي
40.....	المبحث الأول: الأحوال السياسية في بلاذ ما وراء النهر قبيل الفتح الإسلامي
40.....	المطلب الأول: مفهوم السياسة
41.....	المطلب الثاني: مفهوم السياسة في الإسلام
42.....	المطلب الثالث: السياسة الإسلامية عبر العصور
45.....	المطلب الرابع: الأوضاع السياسية في بلاذ ما وراء النهر
48.....	المبحث الثاني: حركة الفتح الإسلامي في بلاذ ما وراء النهر
48.....	المطلب الأول: التعريف بالفتوحات الإسلامية وعوامل تشريعها
54.....	المطلب الثاني: بداية الفتوحات في بلاذ ما وراء النهر وربطها بفتح خراسان
57.....	المطلب الثالث: فتوحات الدولة الأموية في بلاذ ما وراء النهر
62.....	المطلب الرابع: إتمام الفتح الإسلامي في بلاذ ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم
72.....	المطلب الخامس: بلاذ ما وراء النهر بعد مقتل قتيبة بن مسلم
	المطلب السادس: فتوحات المسلمين في عهد عمر بن عبد العزيز والفرق بين سياسته
73.....	وسياسة من سبقوه

الْجُهْدُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ اسْتِبَاطِيَّةٌ

المطلب السابع: صعوبات واجهها القادة المسلمون أثناء فتوحات بلاد ما وراء النهر.....	75
المبحث الثالث: الدور الدعوي للقيادة والجيش.....	80
المطلب الأول: مفهوم الجيش وأحواله في عهد الدولة الأموية.....	80
المطلب الثاني: الدور الدعوي الإسلامي للخلفاء وقادة الجيوش.....	83
الفصل الثاني:.....	98
نشر الدعوة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر.....	98
المبحث الأول: عوامل نجاح الفتوحات ونشر تعاليم الإسلام في بلاد ما وراء النهر.....	102
المطلب الأول: عوامل نجاح الفتوحات الإسلامية.....	102
المطلب الثاني: عوامل انتشار تعاليم الإسلام.....	104
المبحث الثاني: نشر الدعوة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر وحل شبهة "عدم نجاح الأمويين".....	113
المطلب الأول: انتشار الدعوة الإسلامية.....	113
المطلب الثاني: حل شبهة "عدم نجاح الأمويين في توسع الدولة الإسلامية".....	118
الفصل الثالث.....	122
الوسائل والأساليب المستخدمة في المجال السياسي ونشر الإسلام.....	122
المبحث الأول: الوسائل المستخدمة فيها.....	122
المطلب الأول: مفهوم الوسائل.....	122
المطلب الثاني: الوسائل المستخدمة فيها.....	124
المبحث الثاني: الأساليب المستخدمة فيها.....	127
المطلب الأول: مفهوم الأسلوب.....	127
المطلب الثاني: الأساليب المستخدمة فيها.....	128
الباب الثاني.....	130
الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر في المجال الاجتماعي، والثقافي، والوسائل والأساليب المستخدمة فيها.....	130
الفصل الأول.....	131
الجهود الدعوية في المجال الاجتماعي.....	131
المبحث الأول: مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر.....	133
المطلب الأول: مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر.....	133
المطلب الثاني: الطبقات الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر.....	137
المبحث الثاني: الاهتمام بقضايا الفقر والصحة للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر.....	146
المطلب الأول: مفهوم الفقر، أسبابه، نظرة الإسلام له وحل هذه المشكلة:.....	146
المطلب الثاني: اهتمام الدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر بقضية الفقر وأثرها على المجتمع.....	156

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبْاطِيَّةٍ

المطلب الثالث: أثر الفقر على البيئة والمجتمع.....	172
المبحث الثالث: اهتمام الدولة الأموية بالرعاية الصحية في بلاد ما وراء النهر.....	176
المطلب الأول: نبذة مختصرة عن الرعاية الصحية قبل العصر الأموي.....	176
المطلب الثاني: الرعاية الصحية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر.....	183
المبحث الرابع: اهتمام الأمويين بالمشاكل الأسرية في بلاد ما وراء النهر.....	205
المطلب الأول: المشاكل الأسرية.....	205
المطلب الثاني: الاهتمام بمعالجة المشاكل الأسرية.....	208
الفصل الثاني.....	211
الجهود الدعوية في المجال الثقافي.....	211
المبحث الأول: اهتمام الدولة الأموية بالمساجد والمدارس في بلاد ما وراء النهر.....	211
المطلب الأول: مفهوم الثقافة.....	211
المطلب الثاني: الاهتمام بالمساجد.....	212
المطلب الثالث: الاهتمام بالمدارس.....	216
المبحث الثالث: الاهتمام بقضايا الترجمة والتعريب.....	220
المطلب الأول: الاهتمام بالترجمة.....	220
المطلب الثاني: الاهتمام بالتعريب.....	224
المبحث الرابع: الاهتمام بالمؤلفات والمصنفات.....	231
الفصل الثالث.....	236
الوسائل والأساليب المستخدمة في المجال الاجتماعي والثقافي.....	236
المبحث الأول: الوسائل المستخدمة فيها.....	236
المبحث الثاني: الأساليب المستخدمة فيها.....	239
الباب الثالث.....	245
آثار الجهود الدعوية للدولة الأموية في بلاد ما وراء النهر.....	245
الفصل الأول.....	246
الآثار المترتبة على الجهود الدعوية في المجال السياسي والأخلاقي.....	246
المبحث الأول: الآثار الدعوية المترتبة على نشر الإسلام والجهود الدعوية.....	246
المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الجهود في المجال السياسي والأخلاقي.....	249
الفصل الثاني.....	252
الآثار الدعوية في المجال الاجتماعي.....	252
المبحث الأول: الآثار المترتبة على تقسيم طبقات المجتمع.....	254
المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الاهتمام بقضايا الفقر والصحة.....	252
المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الاهتمام بالقضايا الأسرية.....	260
الفصل الثالث.....	263

الجُهودُ الدَّعَوِيَّةُ لِلدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.....دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ اسْتِبَاطِيَّةٍ

263 الآثار الدعوية في المجال الثقافي
263 المبحث الأول: الآثار المترتبة على الاهتمام بالمساجد والمدارس
266 المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الاهتمام بالترجمة والتعريب
269 المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الاهتمام بالمؤلفات والمصنفات
272 الخاتمة
272 أولاً: أهم النتائج:
274 ثانياً: التوصيات:
276 الفهارس
277 فهرس الآيات القرآنية
281 فهرس الأحاديث النبوية
283 فهرس المصادر والمراجع
283 كتب المصادر والمراجع
313 فهرس الموضوعات